الجزء الحادى والثلاثون من قصة فارس
الطراد من زلزل جميع الاوهاد
وأذل من فى الحصون والاوتاد
وحير العقول وفتت
الاكباد وأذل كل
بطل من الامجاد
ابو الفوارس
عنتر بن
شداد

هذه من السيرة الحجازيه

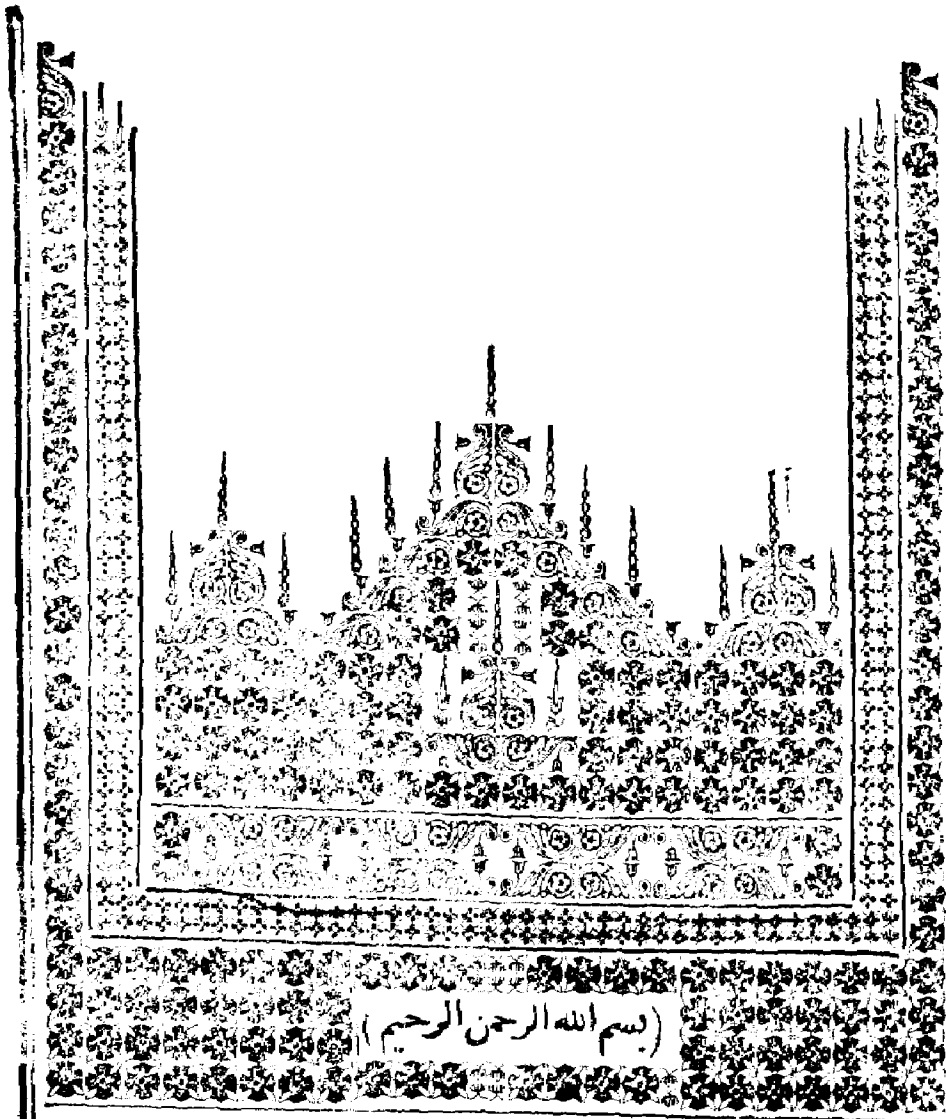

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الراوى وأما ما كان من عنتر لما قتل عمارة والربيع أولاد زياد وتركهما عبرة للعباد فأظهر عمر وذو الكلاب اهتمامه وجرب حسامه وبعد قتلهما طلب عنتر الخيام وفى يد كل واحد منهما الحسام وقدمت العبيد اليهما الخيل فركبا وعرجا على كل من تبعهما مدوه على الصعيد ومازال سائرين الى أن وصلوا الى أبياتهما فوجدا قناصة الرجال قد اعتدت بعدتها عندما سمعت الصياح هذا وعبلة قد بكت على عنتر وخافت عليه من البئس والضرر وما سكتت حتى رأته مقبل مع أصحابه كأنه الاسد الهصور وقد أقبل وعمر وذو الكلاب بجانبه وهو يقول له عن اذنك أقيم الحرب على ساق وقدم وأفنى بنى عبس وأشتت منهم الرخم وعنتر يهدر هدير السباع اذا كانوا جياع واذا بورقة بن الملك زهير وقد دخل عليه

والدموع

والدموع تناثر من أمآقي عينيه وهو يقول له يا أبو الفوارس قد بيضت وجهك اليوم وأرحت نفسك من التعب واللوم ولكن أخي الملك قيس يقول لك أما ان ترحل أنت أو يرحل هو ويفوت لك الاطلال فقال له أنا أرحل في عاجل الحال ولا بقيت أجاور بني عبس ان كان قيس أو خلفه لا وحق الملك المتعال ولا أتكل الا على حسامي الفصال ورمحي العسال ثم انه في عاجل الحال هدم خيامه وطوى أعلامه وكذلك فعل عمرو ذو الكلب وقناصة الرجال وفرسان بني قراد الابطال ورحل عنتر من بني عبس وأهابتهم العين والنفس وزعق في تفريقهم غراب البين وحان منهم الحين وأما عنتر سار بمن معه من الرجال يطلب له منزلا ينزل فيه ومسكنا يأويه وهو يقول اذا أبعدت عن بني عبس سوف يروا ما يذوقوا من الهوان فقال عمرو على ماذا عولت أن تنزل يا أبو الفوارس في أي الامكان فقال عنتر نقصد أرض العراق ونقيم هناك ونتوكل على الملك الخلاق وننزل على جانب من الفراه وأفني ما هناك من الجبابرة العتاه ولم يقيت أجاور عبسيا أبدا ولو شمتت بي العدا فقال عمرو الامر اليك وها أنا بين يديك فسار بالظعن والعيال والحريم والاموال وقطع المنازل والاطلال والعرب تجفل بين يديه وسارت تتدفق من قدامه ولا تقبل عليه وهم راحلين من منهل لمنهل وهم يقطعون بين أيديهم الوديان والطلل وما زالوا كذلك وعنتر بين أيديهم الى أن وصل الى بحر الفراة مقابل مدينة عانه ونصب بين الفراه ومدينة عانه وكان هناك خليج يسمى العارضيات فنزل عنتر وضرب خيامه ونصب أعلامه ومدت أطنابه وعلاقيابه وسرح أمواله ونوقه وجماله وأقام في ذلك المكان الخصب والمرعى والكلا والماء العذب وقال أنا أقيم في هذا الارض وأحميها طولا وعرضا ولا بد بني عبس ما تندم على بعدي غاية الندم لانهم كانوا في أمان وأطمان ثم انه أشرع مضرب من الحرير الاصفر بأعمدة من الصندل والعود القاقلي مطلي بالذهب الاحمر وأطنابه من الحرير الاخضر

ونصبه الى جانب الفراه وقد فرش فيها من الفرش والزرابى والنمارق من أخضر وأصفر وأحمر حتى صار بهجة لمن يراه وكان هذا المضرب وجميع مافيه من هذه الاشياء التى ذكرناها كان أخذه عنتر من الملك كسرى أنوشروان وكان اسمه نصف الدنيا وصار يصف فيه الطاسات والكاسات وهو كل يوم يشرب هو ومن معه من الفرسان ويلذو يطرب وكان عنتر قد نظر الى المضرب هذه المدة وتذكرها بعين المحبة والمودة والاذلال وطول الصحبة وصار هذه من محبتها حاصل وصار الحب على وجهه له علائم ودلائل وتجدد عليه ما كان فى زمن عبلة من الخصائل وما زال على هذا الحال الى أن قر قراره على جانب الفراه وتحدث مع عمرو أخيها فى زواجه لاخته واستشاره فيما يريدان يفعل ففرح عمرو بذلك وما صدق أن يصح له هذا الامر وقال يا أبو الفوارس أنا من جملة غلمانك وخدمك وقناصة أمتك وسار عمرو وتحدث مع أخته بهذا الحال وأخبرها بما قال عنتر من المقال ففرحت بهذا الكلام غاية الفرح وانسع صدرها وانشرح وقالت له يا أخى المراد ما أستغنى عن زوج وأنا ما أريد زوج أوفى من عنتر وما أطلب أعظم من هذا الفارس الغضنفر ففرح عمرو باجابة أخته بالزواج لعنتر وسار اليه وأعلمه بالخبر ففرح الآخر بفعله واستبشر من ساعته أخذ يبعد عنتر على الزواج وصافحه وناكحه واتفق الامر على ذلك وكلا منهم أراح واستراح ومن تلك الليلة ضربت خيمته الزفاف وانقضى الامر ولا بقى اختلاف وكان كله مخفى عن عبلة لان عنتر كان تقضى نهاره هو وعمرو ذو الكلب فى أكل وشرب ونعيم زائد ولم يزل على ذلك الى أن مضى من الليل القليل ولما جرى ما جرى لقناصة الرجال من ذلك القيل والقال وزواج عنتر لها ولما انقضت سبعة أيام من الولائم دخل بها وأقام الى آخر الليل وأتى الى عبلة وقت السحر وما عندها من ذلك خبر وأقام الامير عنتر على ذلك المنهاج وهو ومع قناصة الرجال وحاله مكتوم وقد التقوا بعضهم البعض وبقوا روحين فى جسد وأقاموا على ذلك مدة أيام وهو فى أهنى

عيش وانعام ونسى بنى عبس الكرام ﴿ قال الراوى ﴾ فهذا ما كان من عنتر وأما ما كان من الملك قيس وبنى عبس فانه بعد رحيله أمر بدفن الربيع وعمارة فدفنوهم وحزنوا عليهم ونحروا على قبورهم النحور ودام أمرهم فى حزن وثبور ثم انه بعد ذلك جمع قومه وأهله وعشيرته وما يلوذ به من يرمه وقال لهم اعلموا يا بنى عبس ان العرب بعد حاميتها عنتر تطمع فينا فكونوا الآن على أهبة الحرب والنزال وخذوا حذركم من أحد يطرقكم وكونوا محترزين على أموالكم وعيالكم لانى والله خائف عليكم لان سائر العرب ما كانت تهيبكم الا لاجل حاميتكم وابن عمكم عنتر فارس البدو والحضر والآن نفذ فى بنى عبس سهم القضاء والقدر فلما سمعوا بنى عبس من الملك قيس كلامه فما بقى أحد منهم الا وقد تحسر على فراق عنتر ولا بقى أحد منهم يقدر أن يخرج من الابيات وقد وقع بهم الخوف والفزع وخافوا أن تخطفهم العرب خطف النسور والعقبان بيبعد عنتر عن الاوطان وأيقنوا بالفناء والدمار وقطع الاعمار وضاقت بهم جميع الاماكن وحرموا شرب الخمور هذا وقد وصلت الاخبار الى جميع العرب الاخيار بأن الامير عنتر على بنى عبس غضبان وتركهم وراح ونزل على بحر الفرات وتلك الوديان مقابل أرض العراق وديار بنى شيبان فتباشرت بذلك جميع العربان ونووا على أخذ الثار من بنى عبس الاخيار وأن ينتقموا منهم غاية الانتقام ويكونوا يد واحده على هلاكهم والارغام وكانت العرب جميعهم من بنى قحطان لا يقدروا ان يمسوا بنى عبس وعدنان بسوء ولا ضرر مخافة من أبو الفوارس عنتر ولما اتفق لهم هذا الاتفاق وبلغهم ان عنتر سار الى العراق فاجتمعت خمس قبائل من العربان ونووا على هلاك بنى عبس والقلعان فهذا ما كان منهم وما اتفق من الكلام العجيب الذى يسطر فى الورق بأن فرقة من بنى عبس وعدنان كانوا مائتين فارس أعيان يقدمهم الامير قراوش بن هانى وبن عمه بشر النهانى والامير مجيد ابن مالك صاحب الوجه الضاحك وعياض بن ناشب وغالب بن ثابت

طلعوا بمن معهم من الفرسان قاصدين الغزو على أحياء العربان وكان ذلك بخلاف رأى الملك قيس بن زهير ولما سار واوجدوا المسير بالجد والتشمير الى أن وصلوا الى حلة من بعض حلل العرب يقال لها بنى فهد ولما حصلوا فى مراعيهم غاروا على أموالهم وأمروا رجالهم بالحملة وتراكضوا مثل العقبان وصاحوا يا لعبس وعدنان ثم انهم قطعوا من المرابى ألف ناقة وقد ساقوها بعظم استطاقة وصاحوا على العبيد الرعيان ويلكم يا أولاد الزوانى سوقوا المال قدامنا والا خضبنا من دماءكم سنابنا ثم انهم ساقوهم وعطفوا راجعين وهم مما قد كسبوا فرحين هذا وقد وقع الصوت فى الحلة فصاحت الرجال وركبت الابطال وقد أطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة وجدوا خلفهم الى أن أدركوهم وصاحوا عليهم الى أين تأخذون بأموالنا يا مذلولين ونحن لكم طالبين عندها برز اليهم من بنى عبس فارس كأنه الليث العابس وقال لهم ياويلكم يا لئام نحن بنى عبس الكرام أسود الحرب وصناديدها ولبوثها وأماجيدها فلما سمعوا تلك الفرسان نداهم وعلموا أنهم بنى عبس وعدنان ردوا الى قومهم وأعلموهم ان بنى عبس أغارة عليهم عندها فقرت الحلة عن بكرة أبيها وعولوا على الحرب والقتال والطعن والنزال ولازالهم سائرين الفرسان الى أن تلاحقوا ببنى عبس وعدنان وحملوا عليهم حملة واحده عندها تلقوهم بنى عبس وكان ذلك عند طلوع الشمس وصاحوا وفى أولهم قراوش بن دانى وقال يا بنى عمى دونكم وهؤلاء الاذال فنزلوا عليهم نزول السيل اذا سال وأثخنوهم بالطعن والنزال ولما حملوا بنى عبس الذياب الطلس وأنصبوا عليهم انصباب السيل واكتالوهم كيل وأى كيل وكردسوا الرجال من على ظهر الخيل وأنزلوا بركابها الذل والويل وقد ردوا أعدأهم غضبا ونهبوهم نهبا ومددرهم شرقا وغربا فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتفرقوا فى البرارى والقفار وعاد الامير قراوش وأصحابه وهم فرحين بالنصر والظفر مستبشرين هذا وقراوش سائر الى الديار وهو ينشد هذه الاشعار

قف بالمطى على الديار وقل لها ❁ حييت من طلل وعز مقام
أرأيت منا كل ليث باسل ❁ ذو هيبة كالاسد فى الآجام
نحن لنعمى فى الحروب حريمنا ❁ بالطعن صدقا فى الورى وكرام
سل بنى فهد وجمع عديدها ❁ عن مالقت فى يوم حرب خصام
حتى انتهوا المياه الجوف ظاهرة ❁ رغم وليث نظامها كنظام

﴿قال الراوى﴾ الا أنه ما فرغ من هذه الاشعار حتى طلع من بين يديه غبار علا وثار وبعد ساعة تمزق وانكشف وبان من تحته خمسمائة فارس أسود عوابس كأنهم الاسد القناعس وهم فى الحديد غواطس ومن تحتهم خيول أخف من الغزلان وهم فوقها كأنهم العقبان يقطعون بها الارض والقيعان وعلى أكتافهم عوامل الاشطان يقدمهم فارس كأنه قطعة جلمود وهو فى تقاطيع الاسود وهو غارق فى شكته خائض فى لامته وتلك الرجال والابطال كانوا أسد الرجال وهى من خلف مقدمها تسيرهم بنادوا يال قشير خلوا ياويلكم عن المال والتعائم من قبل أن تحل بكم العظائم ولا تترك أحدا منكم يعود سالم فلما علم بهم الامير قراوش وسمع منهم هذا المقال فنبه أبطاله والرجال فتقدم هو من دون بنى عبس الكرام الى أن صار بين يدى الخيل وقال ويلكم يا لئام غير كرام من تكونوا من عرب الآكام حتى تهجموا على بنى عبس الذياب الطلس والاسود العبس الذى قد فنت الابطال ومددت الاقيال وقطعت منهم الاوصال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع مقدم القوم من قراوش هذا المقال قال له من تكون أنت من بنى عبس الرجال فقال أنا قراوش بن هانىء صاحب الفضل والتهانىء فارس الخيل لعدوى الويل ولصديقى النيل فلما سمع المقدم على القوم ذكر بنى عبس اهتز على سرجه طربا ومال عجبا ونادى يال قشير وهل تكون طلبتى الا أنتم يا أشرار لعلى أقضى منكم الاوطار واستوفى بعض الثار ويقر منى القرار وكان هذا الفارس يقال له عبد الغزة وكان فارس جبار وبطل مغوار وكان عنترة قد أسره فى أوائل منشاه وقتل من عمه وأخاه

وذلك فى أيام قتل عون بن بدر وخلص منه أموال مالك بن زهير الذى كان أرسلها الى بنى غراب ثم ان عنتر أسره ورماه ولما جرى ماجرى وطالت الايام فبقى فى قلبه علة تزدلوعة تجدد وكانت العرب تعايره بأسر الامير عنتر فيقول لهم تمهلوا على ولا بد لى من أخذ ثارى وأبلغ أوطارى وكان كلما أراد المسير الى بنى عبس تمنعه المقادير ولا يجد الى ذلك من سبيل فكان من القضاء والقدر والامر الذى قد تجدد وتدبر ان هذا الفارس ركب فى بعض الايام فى خمسمائة فارس من قوم بنى قشير وسار يكبس بهم بعض أحياء العرب وعليهم يغير ولما كسب ما كسب من الاموال والنوق والجمال وسار طالب منازله والاطلال واذا به قد التقى ببنى عبس صدفة وجرى ماجرى من الكلام المسطر ولما تقابلت الجيشان وتصادمت الاقران قال قرارش لبنى عبس يا بنى عمى الغنيمة الغنيمة وأما عبد العزه فانه لما رأى تلك الاموال وأبصر قلة الرجال فد اخله فيهم الطمع وعلم أنه فيما يريد قد وقع ولما تحقق انهم بنى عبس وعدنان تذكر ماله من الثار ثم انه قفز ما بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بأعلى صوته وقال يا بنى عبس الامن عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فانى خفى أنا عبد العزة بن عبد اللات القشيرى وبعده ذا ما أبقى عليكم لان لى ثار قديم عندكم ولكن رأيت قلتكم فأخذتنى الشفقة عليكم وقد برزت فى الميدان ومحل الضرب والطعان لان لو أمرت هذه الفوارس أن تحمل عليكم بجمعها لطحنتكم طحن الحصيد وشتتكم فى القفر والبيد بل انى طلبت معكم الانصاف وقلت الاسراف فمن كان منكم فارس كريم يعرف بين الفرسان فليبرز الى حومة الميدان ثم انه صال وجال ولعب برمحه العسال وأنشأ وقال

اذا شئت أمطرت الدما لون عندم ﴿ وجندلت فرسان الهياج بلهدم
أنا ابن كرام الناس فى كل مشهد ﴿ أصول عليهم فى الوغا بتقدم
هلموا الى ضرب السيوف فانني ﴿ حرمت وما طعنى على بمحرم
أنا فارس الفرسان ليس مقصر ﴿ وأقطع رؤس الحاسدين بصارم

فمن كان منكم فارسا ذو حمية * يجول نهار الحرب عند التصادم
يجي يلتقي طعني وضربي في الوغا * ويصبر لمعسول السنان المقوم
(قال نجد) فما تم عبد العزة كلامه حتى صار الامير أسيد بن حذيمة قدامه وصاح فيه اسكت يا ابن اللخناء وتربية الزنا فقد أتيت بالبهتان والزور وتكلمت بكلام غير مشكور وأنت مذلول مدحور ولكن من أعتق مثلك فقد أخطأ وكان ذلك منه غيظا وقال له يا ويلك حامينا عنا أطلقك من الاسر والضرر وتعود بعد ذلك الى الخبث والغدر فابشر بالدمار وخراب الديار ثم انه أجاب بهذه الاشعار

ما الفخر الا ضراب الهام بالخدم * لم أخشى الحرب يوم الروع والعدم
أنا الذي ترهب الابطال صولتي * عند اشتباك القنا والخلق تصدم
هل فيكموا بطلا يدنوا الى بطل * عادته الضرب في الايثال والندم

(قال الراوي) وبعد ذلك حملا على بعضهما البعض وجال كلامنهما على صاحبه وقد احترز من طعنه ومضاربه وجالا طويلا واعتركا ميلا وغاصا في الاوابد وصبرا على الشدائد وقد علا عليهما الغبار حتى غاب عن الابصار وكان عبد العزة فارس جبار يرجح على خصمه الدرهم قطار واستجاده بطعنة في صدره أخرج سنان رمحه يلمع من ظهره فمال عن جواده وقد عدم ارشاده ثم ان عبد العزة صال وجال وطلب الحرب والقتال فلما رأى الامير قراوش الى ذلك ضاقت عليه المسالك لما رأى عمه هالك فصار النهار في أعينه كالليل الحالك فعند ذلك خرج اليه وقد هانت عليه نفسه وأيقن بحلول منيته وصاح فيه وقال له ويلك يا ابن الانذال لقد قتلت بطلا يسوى قومك وأهلك وبني عمك ثم أنشد وقال

لست أنسى والله ذات الوشاحي * حتى تأتي بخذف الوضاح
ثم مالت كغصن بان ولاحت * مثل بدر أو مثل ضوء الصباح
فترشفت ثغرها شهد خمر * ورحيق مازجته ماء القراح
ثم قالت يا فارس الخيل تخشى * في الهوى من مقالة اللواح

قلت لا والحطيم والركن والبيت * هو انى الفارس الجحجاح
بينما نحن فى الذعيش * اذ أتتنى رزية فى صباح
جفعتنى وأورثتنى نحبا * فسليت الاشواق والافراح
وقطعت الهامة وانفرجدا * آخذ الثار فى نهار الكفاح
وأثرها حرب عوانا وضربا * فى دجا الليل أو طلوع الصباح
وافتخارى بال عدنان دوما * اذا كنت فى جميع النواح
فابشروا يابنى القشير بليث * من بنى عبس مايل من الكفاح
قاتلا للرجال فى الحرب دوما * ومبيد العدا بحد الصفاح

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ شعر قراوش أجابه بهذه الابيات يقول

لست ممن يعنى بذات الوشاح * لا ولا يشتغل بحب الملاح
دع صفات الخدود والقد ايقنا * ثم وصف الكاسات والاقداح
مع سليمان ومع سعاد وليلا * وجميلة وأهل الوجوه الملاح
وصف الحرب والقنا عند طعن * وضرب الهند الصفاح
قسما لو لقيت بالاسود الليث * عنتر فارس الرباو البطاح
لم أخفه فى موقف الحرب يوما * ومن الطعن أسقيه كأس اطفاح
سوف أشفى نفسى وأبلغ سؤلى * من بنى عبس فى مقام الكفاح
وأنا الفارس القشيرى ليثا * واسمى بقابض الارواح

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ عبد العزة من شعره ونظمه حمل على قراوش فى مقام الطعن والهواش دجالا طويلا واعتركا مليا وتضاربا ضربا أحمر من الجمر وتطاعنا طعنا أمر من الصبر ودام بينهما القتال واشتد الحرب والنزال هذا وعبد العزة يصول وعلى قراوش يجول ويأخذ الميدان عرضا وطول كأنه الاسد الاكول الى أن أورثه الخبال وأشرف منه على الوبال وقد كثر منه الاغتباط وقل من عزمه النشاط وقد استظهر عبد العزة عليه وتيقن أنه قد وصل اليه فبينما هما على ذلك الحال واذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وباتت بعد ساعة وانقشعت وظهر من تحتها بريق

الصفاح ولمعان أسنة الرماح ثم انكشف ذلك الغبار وارتفع ذلك النقع
لعربان وكان من تحته ألف فارس كأنهم الاسود العوابس وعلى أكتافهم
عوامل الاشطان وهم ينادون يال عبس يال عدنان والامير عنتر فى أوائل
الفرسان كأنه الاسد الغضبان أو النمر الحردان وقد أخرج يده من جلباب
درعه لان الشجاعة أصله وفرعه وهو ينادى ويقول ويلكم يا أوغاد
عودوا عن السادات الاجواد فقد أتاكم عنتر بن شداد فابشروا
بالشتات والبعاد والتفريق فى سائر البلاد ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب
فى مجىء عنتر بن شداد فى هذا البر والوهاد عبلة بنت مالك بن قراد لانها
كانت جالسة بين انزالها واذا بعبد من عبيد الملك قيس قد أتاها وأعلمها
بهذه النوبة العظيمة على لسان الملك قيس لان الملك قيس لما أتى من
الصيد والقنص سأل عن عمه أسيد وابن عمه قراوش وابن أخيه مجيد بن
مالك فقالوا له المتخلفين من بنى عبس اعلم أيها الملك المفضال أنهم طلعوا
فى سبعين خيال قصدوا الغزو على أحياء العرب لاجل المعاش
والمكسب فلما سمع الملك هذا الكلام زادت ناره وعدم اصطباره ولما طالت
غيبة الرجال زاد عليه الحال أرسل خلف عنتر البطل الريال يحثه على
قضاء الاشغال ولما سار العبد الى بحر الغراء لم يدخل على عنتر كما وصاه
مولاه فسار الى عبلة وأعلمها بما جرى وقال لها يا مولاتى اعلمى ان الملك قيس
يقول للك ان بنى عبس ركبت فى سبعين فارس فى طلب غنيمة وانهم
قد انقطعت عنا اخبارهم واختفت آثارهم فلما سمعت عبلة من العبد هذا
الخبر صاحت بعنتر وقد بكت وانتحبت وقالت له اعلم يا ابن العم ان سبعين
فارس من بنى عبس وعدنان وفيهم مثل قراوش بن هانىء وبشر النعمانى
ومجيد بن مالك والامير أسيد بن حزيمة فارس الزمان ساروا فى طلب
المعاش والمكسب من بنى قحطان ولهم مدة طويلة من الزمان فما بان لهم
خبر ولا جنية أثر واعلم ان الملك قيس قد أرسل اليك عبد من عبيده
الانجاب يعلمك بهذه الاسباب واعلم يا ابن العم ان جرى على بنى عبس كائنة

وانت حى يعلم ما وافينا العربان وأنا أريد منك أن تقف على آثارهم وتكشف أخبارهم *قال الراوى* فلما سمع عنتر من عبلة هذا المقال ونظر بكاها والاهوال فركب فى عاجل الحال وأخذ معه عمرو ذو الكلب واخته قناصة الرجال وتمام المائة فارس من الرجال الاقيال وساروا فى طلب بنى عبس حتى وصل اليهم وكشف عن قراوش بن هانىء المجال وهو مشرف على الهلاك وسوء الارتباك الا ان بنى عبس لما نظروا عنتر عاشت أرواحهم وأيقنوا بنجاحهم وان عنتر لما أقبل حمل على الفرسان وطلب الميدان ثم صاح على قراوش فرجع الى وراء واستقبل هو سائر أعداه وجال وصال وطلب من عبد العزة الحرب والقتال والطعن والنزال فحمل عليه عبد العزة وهو يقول هذه الابيات

بنيت المعالى بالحسام وبالقنا * أجول عداة الروع يوما اذا خاف
ونحن أناس لا نهمل لثارنا * وكل فتى منا على الضد عطاف
وقومى تشير الخير من ظهر القنا * وأهل السقى والجود فى الفخر قد طاف
أنا البطل المندب الهمام لدى الوغا * أسمى عقاب الحرب للقرم خطاف
وانى لاعطى الرمح فى الحرب حقه * وفى الكف ماضى أبيض اللون شقاف

قال الراوى فما تركه الامير عنتر أن يتم شعره ومقاله حتى صاح عليه وقال له ياويلك يا أخس البشر أما كان لك عبرة بما جرى لك من العبر حتى اتيت تتعرض لبنى عبس مرة أخرى حتى قتلت فارس كريم وبطل عظيم يساوى قوما كثير وجم غزير لكن وحق زمزم والحطيم ومقام الخليل ابراهيم لاتركت منكم الا كل فارس رميم ثم انه أنشأ يقول

ندع عنك ياوغد العشيرة كلها * فخار واخساء لا تكن ويك هتاف
فكل بنى قحطان تعرف لانني * أنا الفارس الدعاس للحرب زحاف
ومن عظم بأسى تنثنى الخيل جزعا * وكل مقام فى الكريهة خواف
وان بارزونى كنت أول نازل * اليها وقد خاف الجبان وانتاف
وكم فارس خلفته رهن فى الثرى * فتاتى اليه الوحش فى البر زاحف

فلا

فلا تفتخر يا وغد قحطان كلها * لان ليوث الحرب للنقع كشاف
وانى أنا الدر اليتيم وقيمتى * تغيب على من لم يكن قط عراف

(قال الراوى) فلما سمع عبد العزة كلام عنتر انطبق عليه انطباق البحر اذا زخر ولكن أين الثريا من الثرى وأين المدن من القرى فجال معه عنتر ساعة زمانية الى أن عرقت الخيل وقل منهما القوى والحيل وتطاعنا بالرمحين الى أن كلت منهما الساعدين وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت الاثنين هنالك أيقن عبد العزة بالهم والخسران وقل الموت عندهما وهان فصرخ الامير عنتر عليه فأرهبه وانطبق عليه أرعبه واستحاده بطعنة فى دفافة صدره طلع الرمح يلمع من ظهره وبعدها حمل على بقية الخيل وانصب عليها انصباب السيل وحمل بعده عمر وذو الكلب وأخته القناصة وبنى عبس من اليمين والشمال واحتاطوا ببنى قشير فأنزلوا بهم بنى عبس الويل ولم يتركوا منهم الا القليل فولوا مدبرين والى النجاة طالبين عندها جمعوا الاسلاب والخيل والذهاب وأخذوا أسيدين حزيمة من حومة الميدان على جمل بعد ما صبروه وفى ثيابه لفوه وفى بعض الاماكن دفنوه ونحروا على قبره النحائر وبعدها أخذ عنتر يرثيه بهذه الابيات

يا لقومى من حرقة فى فؤادى * أحرمت عينى لذيذ الرقاد
قل صبرى وملنى استمادى * واعترانى الاساو طال سهادى
كيف صبرى بعد فقد رفاقى * كان فى ناظرى مكان السواد
لو وجدنا الى الفراق سبيلا * أو دليلا يهدى لطرق الرشاد
لفديناه بالنفوس وبالمال * وجميع أصحابنا مع الاولاد
سوف أبكيك يا أسيد حين يفنى * منى ذاك أقصى مراد
كنت عندى فى منزلة ليس تنسى * فى مدالدهر اذ ينادى المنادى
آه واحسرتى عليك ولهفى * يا قتيل الاوغاد والاضداد
يا قتيلا ساوى بأرض الاعادى * مالك اليوم لا تجيب المنادى
فعليك السلام من حامية عبس * ما دامت أيامنا فى ازدياد

﴿قال الراوى﴾ ثم ان الامير عنتر بعد نشد الاشعار سار وطلب البر والقفار الى أن قاربوا من الديار فودعهم عنتر وسار بعد ما سلمهم الغنائم والاموال من النوق والجمال وأرسل معهم السلام للملك قيس بن زهير ولما آمنوا على أنفسهم من الطلب والضير ساروا على أرض الشربة والعلم السعدى واعلموا الملك بما جرى عليهم فى سفرتهم منه واخبروه كيف ان الامير عنتر أنجدهم وهم مشرفين على الهلاك وسوء الارتباك فندم الملك قيس على فراقه وتأسف وأراد أن يسير بقومه يترضاه ويأتى به الى حماه فهذا ما كان من بنى عبس وعدنان ﴿قال الراوى﴾ وأما ما كان من عنتر والفرسان فانه سار بمن معه من الشجعان الى أن أتى الى منازله والاوطان ولما أن استقر به القرار وآنست به الديار فبينما هو جالس ذات يوم من الايام واذا بالاسد الرهيص قد دخل عليه وسلم عليه وكان الاسد الرهيص لما كواه عنتر على عينيه صار يبكى الليل والنهار ولكن فى هذه المدة تعلم فيها ضرب النبال وصار يرمى بها الطير على الحس والكلام حتى اذا سمع الطير على أعالى الاشجار يصيح خير عليه بسهم يقتله وكان الامير عنتر لما أكحله جعل له عليه رسم فى كل عام وكان يأتيه أرض الشربة والعلم السعدى ويأخذ رسمه منه ويعود الى حلته وعبد نجم فى صحبته ثم انه يعود من وقته وساعته وكان عبده نجم نار محرقة وصاعقة مبرقة هذا والاسد الرهيص يأكل كفيه ندما وهو يطلب هلاك عنتر وعدمه ومازال الاسد الرهيص فى التعس والنكس الى أن سمع ان عنتر غضب من بنى عبس بعد ما قتل عمارة والربيع وصنع بهم أيشم صنيع ورحل بقومه الى بحر الفراء فعند ذلك أيقن الاسد الرهيص ببلوغ مناه وأقام يشم الاخبار وهو على تلك الحالة ﴿قال الراوى﴾ هذا وعنتر غارق فى أكله وشربه ولهوه وطربه وهو فى عز وأمان وهنا وأطمان وكان خبره وصل وزير الملك قيصر فى هذه الايام عزل عمرو بن الحارث الوهاب عن ولايته دمشق الشام وقد ولى موضعه ملك من ملوك الروم الئام يقال له ضيغم بن قام ولما وصل

الخبر الى عنتر البطل الهمام فركب وسار من وقته وساعته الى دمشق الشام ولما وصل اليها قتل ضيفور ومن معه من الروم اللئام وعاد عمرو للملك والاحكام فوصل الخبر الى قيصر فخاف وفزع من شر الامير عنتر وقد اندهل من ذلك الخبر فعند ذلك أحضر وزيره حتى انه يستشيره فأشار الوزير عليه بأن يرسل الى الامير عنتر الهدايا على مهل وأن يشكره على ما فعل لان الملك كان قد عزل أن يرسل الى عنتر جيش كثير لما بلغه ما فعل من قتل الملك ضيفور وولى عمرو بن الحارث فلما أشار عليه الوزير بأن لا يفعل فاقتصر عن ذلك العمل وقال له الوزير أيها الملك عوض ما تفعل عنتر عدوا لنا وشقيق اجعله لنا صاحب وصديق والا ان كنت ما تسمع كلامي والا وحق ديني تحتاج ان ترتب الخراج الى عنتر بن شداد لان بلغني خبر انه غضب على قومه ونزل على جانب الفراء والرأي عندي أن تسمع مني وتهدي له هدية حسنة وتميل قلبه فان هو حضر الى عندك فتكرمه وترحب به فلعله ينفعنا في بعض المهمات وان أنت عاديته فربما ساعدته تنصره علينا لانه مسعود وما عاداه أحد الا ومات مكمود وتفكر يا ملك قبل هذه الايام ما فعل معك من الاكرام ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك قيصر هذا الكلام من وزيره فتميزه بعين خبرته فرآه صواب واستهم من وقته وساعته في تحصيل هدية وأعزل مائة وخمسين جنيب من الخيل العربيه بمراكب الذهب وعشر جوار رومیات ومع كل جارية صندوقين من القماش المفتخر وفي خدمة كل جارية عشر جوار من جميع الاجناس ومضارب وخيام وبوقات وأعلام وغلمان وخدام وأرسل الجميع مع الوزير وأوصاه بسرعة الجد والتشمير وأن لا يأتي من عند عنتر الا بأحسن خبر فعند ذلك سار الوزير بهذا المال الممدود وسار الليل والنهار وهو يقطع الفيافي والقفار الى أن وصل الى جانب الفراء وقد قرب من المنزل الذي نازل فيه عنتر فعند ذلك أرسل الوزير من يبشره بقدومه فسار البشير الى أن وصل الى الامير عنتر بن شداد واخبروه بخبر الوزير

فعند ذلك وثب عنتر كأنه الليث القسور وركب على ظهر جواده الابجر وركبت جميع رجاله وأقياله وسار عنتر والامير عمرو ذو الكلاب عن يمينه وقناصة الرجال عن يساره ومازالوا يجدون المسير الى أن التقوا بالوزير ونظر الى مامعه من الاموال والخير والنوال ففرح عنتر بهذا الحال وقد ترجل فى عاجل الحال اليه واعتنقه الوزير وسلم عليه فانحنى الوزير وقبل صدره فقبل عنتر يديه وشكره واثنى عليه ثم قال لاتحسب يا أبو الفوارس ان الملك نسيك لما نزلت الى جواره وحللت بالقرب من دياره ثم انه قدم الهدايا اليه وأحضرها بين يديه وقال له هذه تقسمها ثلاثة أقسام القسم الاول اليك والثانى الى صديقك عمرو وأصحابه والثالث الى محبيك فلما سمع عنتر من الوزير هذا الكلام والمقال فاستحسن منه ذلك الفعال ولاسيما لما رأى تلك الاموال والتحف الغوال فقال له أيها الوزير والسيد الكبير وحق ذمة العرب الكرام من معد وعدنان ما أنا للملك قيصر الا مثل بعض العبيد والغلمان وان كان له عدو ليس له به من طاقة وقد افترى عليه فأنا أسير اليه وآخذ روحه من بين جنبيه فقال له الوزير وحياتك يا أبو الفوارس هذه الهدية من عند الملك على سبيل المحبة والمودة ماهى من جهة عدو وانما هو أراد بها التقرب الى قلبك حتى تعلم ان الملك عنده جانب من حبك فحمد عنتر وشكر وأقام الوزير عند عنتر فى الضيافة احدى وعشرين يوما وهم فى أكل وشرب وفرح ولعب مايمضى عليه يوم حتى ينظر الوزير الهدايا داخلة على عنتر من مدينة عانة ومن حزت برت ومن بنى بكر والرحبه وبنى وائل ومن الحلة الكوفة والبصرة والنصرة ونصيبين وجميع ماحواليه من البلدان وجميع احكامها تهاديه وتتقرب بالهدايا اليه فلما نظر الوزير الى ذلك قال وحق المسيح لو كان الملك قيصر نزل بنفسه فى ذلك المكان ماكان أحد يهاديه مثل هذا الانسان *(قال الراوى)* ولما انقضت أيام الضيافة طلب الوزير الانصراف والعوده الى بلاده بلا اخلاف فأخلع عليه الامير عنتر

واعطاه وأكثر ويتصيدهم طول النهار ويهجم الغابات ويقتنص منها السباع الضاريات ويقهرها بقوة ساعده فى كل الاوقات وقد سار له بهذا عادات ومازال كذلك على ذلك الحال أيام عديدة وليالى الى أن بقى له من العمر عشرين سنة فسار يبارز الفرسان ويقهر الشجعان ويرميهم فى الميدان مدة من الايام وسطى على الفرسان وزاد أمره وعظم شره وما رأى قافلة دخلت عليه من تلك الارض يلقاها وحده ومامعه الا فرسان قلائل من جيشه وجنده ومازال على ذلك الشأن الى أن سمع بتلك الغنيمة التى هى سائرة الى كسرى أنوشروان من عند الملك المنذر وأخبره الذى أتى اليه باخبر أن معها ألفين فارس من بنى لخم وشيبان فقال وحق المسيح لاسرت اليهم الاوحدى ولا آخذ معى أحدا من جيشى ولا من جندى فقالت له والدته بحق المسيح ياولدى لاتفعل هذه الفعال وخذ معك مايعينك من الرجال وكذلك قامت عليه أرباب دولته وجماعة من أهله وعشيرته فصحب معه تلك الخمسمائة من الروم والالف من العرب المنتصرة وسار فى طلب الغنيمة وقد وقف مرتقبا للفرسان فى فم المضيق حتى أنهم يعبرون على الطريق وكان ذلك الموضع مسيرة يوم وليلة من القلعة فى ذلك البر الاقفر وسار الغضنفر وله قلب أقوى من الصخر ﴿ قال الراوى ﴾ فبينما هو كذلك سائر قدام قومه فى تلك القفار الى أن عبر عليهم نصف النهار وقد نفخ عليهم البرد وازاقد اعترضهم أسد فى تلك الطريق وهجم عليهم وأحل بهم عن المسير التعويق وكان ذلك الاسد قد خرج عليهم من بين الغابات والشجر وهو أسد أغبر المحجر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى بالصياح اذا زاد وزجر له أنياب أحد من النوائب ومخاليب أشد من المصائب واسع الاشداق عبوس ضيغم أفطس الانف أدغم يسمع من غرغرته الرعد اذا همزوهمهم وتنظر البرق من عينيه اذا أظلم الليل وأقتم وهو كأنه القضاء المبرم وهو كما قال فيه الشاعر كلام يفهم هذه الابيات

وليث عبوس يصدع القلب وثبته ✽ وترتعد الابدان من عزم صرخته

بشدق تراه * كالقليب وعجز * كشعلة نار فى الدياجى وظلمته
وأنيابه مثل الكلاليب اذا بدت * يروع قلوب الناظرين برؤيته
اذا مارأته الخيل صارت شوارد * الى القاع تخشى من تعاظم سطوته
قال الراوى ثم ان ذلك الاسد طلب الخيل وهو يتمايل على جنبيه
وفى مشيه يتمختر ولما رأى ذلك الغضنفر قال لاصحابه لا فيكم من يخطى
من مكانه حتى تنظروا مايكون من شأنى وشأنه ثم ان الغضنفر ترجل عن
ظهر جواده وخلع عن عدته وأدار أذياله فى دوره منطقته وأخذ سيفه بيمنه
وأخذ فى شماله درقته وتقدم يخطر الى الاسد بقلب أقوى من الصخر والجلمد
ومازال ماشيا على قدميه حتى قرب منه ووصل اليه فلما نظره الاسد امتد
حتى صار كمثليه ثم انجمع بعد ذلك حتى صار كثلثيه وحمل على الغضنفر
وحمل الآخر عليه وضربه بالسيف بين عينيه فمن قوة الضربة وشدة حيل
الاسد طلع السيف يلمع من بين فخذيه فعندها ارتاعت قلوب الفرسان
من تلك الضربة لما نظروا اليه *(قال الراوى)* هذا وقد رجع الغضنفر
بعد ما مسح سيفه فى جلد الاسد وقد تركه على التراب ممدودا ورجع ركب
جواده وقفى عاجل الحال وهو كأنه ما عمل شيئ من تلك الاعمال ولم يزل سائر
هو ومن معه من الفرسان الى أن التقى بماء السما بن عمرو بن هند أخو
النعمان وجرى له معه ومع قومه ما جرى من ذلك الشأن واحتوى
الغضنفر على جميع الغنية وطلبوا بنى لخم وبنى شيبان الهزيمة ورجع هو
وقومه قاصد الى قلعته وطلع اليها واجتمع بأهله وعشيرته ونظر والدته
الملكة مريمان الى ما قد أتى معه من الاموال والذخائر المثمنة والنوق
والجمال وتلك الصناديق المحملة على البغال ففرحت بما بان منه فرحا شديدا
زائد عن الحد لكون أن ولدها قد صار حامية تلك الارض *قال الراوى*
هذا ما كان من الغضنفر ورجاله وما جرى لهم وأما ما كان من حديث
المنهزمين الذى من بنى لخم وشيبان وأحوالهم فانهم لم يزالوا فى هزيمتهم الى
أن وصلوا الى مدينة الحيرة وكل منهم فى ذل وحيرة ودخلوا على الملك المنذر

وقد

وقد عميت منهم البصيرة وهم صارخين مولولين وقد حل بهم الذل والخبال وجعلوا ينادوا ويقولوا أيها الملك نهبت الخلل والاموال وقتلت الرجال وساءت بها الاحوال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك المنذر ذلك المقال تغيرت منه الاحوال وتغير لونه واضطرب كونه وقال للوزير أنظر ما ترى من الرأى والتدبير واصرف همتك الى ما ترى فى هذا الامر الذى قد صار عسير وكان وزير المنذر فى ذلك الزمان زيد بن عمرو بن نفيلة العدوى وزير الملك النعمان وكان قد طلع مثل أبيه رجل فاضل خبير وكان ذو عقل ورياسة وأدب وفضل وسياسة فقال له أيها الملك انى سمعت عن هذا الغضنفر أنه فى ذلك الزمان فارس البدو والحضر وأنه فارس لا كالفرسان وبطل تخضع لفروسيته الشجعان وماله الا فارس مثله وبطل شكله كشكله ويكون يفعل فى الحرب كفعله وما يوجد اليوم له مثيل فى الزى والمخبر الا ان كان أم الزعزع عنيترة بنت عنتر الذى من بعض فعالها أسرت ذوا الخمار وعامر بن الطفيل الفارس المغوار وقتلت مثل ملاعب الاسنة فارس بنى عامر وأحلت به الويل واذا أرسلنا اليها نعلمها بذلك الخبر فهى تأتى الى الخدمة بقوة قلبها وشدة عزمها وتكشف هذا الضرر ونرجو اعلى يديها النصر والظفر والا يا ملك ان أرسلنا الى الغضنفر جيش آخر فانه يكسره وتخرق الهيبة ويبقى أمر وضيع منكر ويزوح منك ناموس الملك ويحل بنا العبر وأنا الرأى عندى أيها الملك أن ترسل الى ابن خالك زهير بن قيس الذى قد بالك على بديه قبل الآن على الخير فانه يأمر ابنة عمه عنيترة بالمسير هى وبنى عبس وبنى قضاعة فانى أعلم منها انها اذا سمعت بذلك فتأتى ولم تتأخر وترسلها من هاهنا أنت الى الغضنفر فانها تزيقه الموت الاحمر وتنزل به شجاعتها الذل والعبر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك المنذر من وزيره ذلك الكلام فرح واستبشر بهذه الاسباب وأمر الوزير فى عاجل الحال أن يكتب اليهم كتاب وأن يسرع بأرساله مع النجاب ففعل الوزير ما أمره به لما سمع من المنذر ذلك الخطاب فأرسل بالوقت النجاب فسار من ساعته

طالب أرض الشربة والعلم السعدى وهو يلمع فى ذلك البر ولناقته يحدى
حتى وصل الى الديار والاطلال فرأى الى حلل ترتج بسكانها من كثرة
مافيها من الرجال والاموال فلقيه بعض العبيد فسأله عن ماجاء فيه من
الاحوال فقال النجاب أريد الاميره عنيترة بنت عنتر فقال له العبد الانتظر
الى ذلك البيت الرفيع العماد الاحمر فأمضى اليها واستأذن بالدخول عليها
واشرح لها حالتك فانها تقضى لك حاجتك وان كنت مظلوم فانها تعينك
على ظلامتك ﴿قال الراوى﴾ فسار النجاب قاصد المضرب فرأى العبيد
تمرح وتلعب وهم فى أمن من غير الزمان وفى غاية مايكون من الاحسان فلما
رؤا العبيد الى النجاب تسارعوا اليه وأعلنوا بالسلام عليه وسألوه عما جاء
فيه وأبدى لهم الامر ولم يخفيه فاستأذنوا اليه فى الدخول فأذنت لهم بدخول
الرسول وكانت جالسة وفى حضرتها من قدمنا ذكرهم من الاصحاب والى
جانبها الملك زهير بن قيس وهو كأنه الاسد الوثاب فدخل عليهم النجاب
فى عاجل الحال وقبل يديها وأوصلها الكتاب فأخذته وناولته لزيد بن
عروة وأمرته أن يقرأه حتى أن تسمع كل الحاضرين مافيه وتعرف معناه
﴿قال الراوى﴾ ورجعنا الى سياق الحديث والخبر فعند ذلك فضه زيد
وقرأه ولما سمعت عنيترة والملك زهير ومن حضرهم من الاصحاب ماقرأه زيد
ابن عروة من الكتاب فقالت عنيترة للملك زهير ماترى ياملك فى هذا الحال
وأى شئ الذى تراه من الاعمال فقال لها زهير مافى الامر الا المسير وسرعة
الجد والتشمير ونكشف عن ابن عمتى الملك المنذر هذا الامر العسير وكذلك
قال كل من كان حاضر قرأة هذا الكتاب وسمعوا ماجاء به النجاب وعرفوا
ماجرى من تلك الاسباب وهم كما قدمنا فرسان الاعراب الذى كانوا قد أتوا
للسلام والتهنئة مما وصل اليهم من الانعام فقالوا كلنا نسير فى خدمة
أم الزعازع ولبوة الوقائع فقالت عنيترة لا وحق ذمة العرب وشهر رجب
لا سار الى الملك المنذر فى قضاء حاجته الا أنا وحدى وبنى عمى لا غير ولا
يكون فى صحبتنا الا ابن عمى الملك زهير وأما أنتم أيها السادات الاخيار فانا

ماندخركم الالملهمات الكبار واذا أتانا شئ أقوى من هذا فذلك الوقت
يكون ماتريدوه من الاختيار فتعجبوا الحاضرين من قوتها ومامنهم الا من
اعزها واحبها وتمت فرسان العرب على ماهم عليه وماهم فيه بقية ذلك
اليوم فى أكلها وشربها ﴿قال الراوى﴾ ولما كان من الغدى ودعت عنيترة
والملك زهير من كان عندهم من الفرسان وسار كل منهم يطلب دياره
والاوطان ولما أن تفرقت سادات العرب من عند عنيترة وقد أوصلت اليهم
الخير الكثير فقالت للملك زهير ياملك مابقى غير المسير فقال لها نعم ماتفعلين
وما اليه يا ابنة العم تشيرين فعند ذلك أمرت عنيترة للفرسان بتجهيز حالها
فسمعوا الجميع لمقالها واهتموا فى اصلاح العدد والسلاح وقد تجهزوا للسفر
والرواح ﴿قال الراوى﴾ ولما كان بعد ثلاثة أيام سارت بنى عبس وبنى
قضاعة يقدمهم عنيترة وزهير وعتبة بن حصن وزيد بن عروة وسبيع
اليمن بن مقرى الوحش ومن يشاكلهم من الابطال وأقامت الهيفاء أم
عنيترة هى وبعض الرجال لاجل حفظ المنازل والاطلال وسارت الجيوش
والفرسان يقطعون الاودية والقيعان وينزلون على المنازل والوديان
والمناهل والغدران ومازالوا كذلك الى ان وصلوا الى الحيرة فوجدوا عليها
جيوش كثيرة فنزلت العشائر فى المضارب والخيام ودخل الملك زهير
وعنيترة على الملك المنذر لاجل السلام وفى حال دخولهم كانت عنيترة
داخلة والى جانبها اليمين زهير بن قيس البطل الهمام والى جانبها اليسار عتبة
ابن حصن وبين أيديهم العبيد والخدام ولما رآهم الملك المنذر فرح بهم وقام
لهم قائما على الاقدام وترحب بهم غاية الترحيب لان كل منهم له قريب
ونسيب وأجلسهم الى جانبه وسار واعنده أعز من أهله وأقاربه وقد قرب
عنيترة اليه من دونهم غاية التقريب لانه سمع عنها كل أمر عجيب وجعل
يحادثهم ويباسطهم فى الكلام الى أن حضرت الرجال بالطعام فأكلوا
ماطاب لهم ورفعت الاوانى الخدام وبعد ذلك قال الملك المنذر يا أم الزعازع
ولبوة الوقائع قد حدث علينا أمر مريع وحال شنيع وهو أنى أرسلت الحمل

الى الملك كسرى حكم الرسم والعادة وأرسلت معهم ألفين فارس والمقدم عليهم بن عمى ماء السما وذلك لما مشيئة والارادة فوافقتهم فى الطريق قلة السعادة والتوفيق فخرجت عليهم خيل من بريه برقعيد وهم مقدار ألفين فارس صناديد وقد بلغنى أنه قد كان مقدم عليهم بطل عنيد وفارس صنديد وذلك الفارس يقال له الغضنفر بن دادة الملك قيصر وقيل أنه بن ابنة أخو الملك وهكذا قالوا عنه فى الخبر وقد خرج منه فارس عظيم لا كالفرسان وبطل لا كالشجعان وقد قطع عليهم الطريق وأعدمهم السعادة والتوفيق وأخذ منهم الحمل بعد قتل الفرسان وأسر بن عمى وقد حل بهم الذل والهوان وقد زاد لذلك همى وغمى والمراد من احسانك يا أم الزعازع ولبوة الوقائع أن تسيرى بمن معك من بنى عبس وبنى قضاعة وأسعفك أيضا بعشرة آلاف فارس ممن يعرف بالفروسية والشجاعة ليوث عوابس وسيرى بهم الى قلعة برقعيد وتخلصى الحمل وابن عمى ماء السما من ذلك البطل العنيد وتخربى تلك القلعة وتعودى الى فى عاجل الحال مسرعة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت عنيترة ما أخبرها الملك المنذر من ذلك المرام فقالت أيها الملك الهمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وحرمة الواحد الاحد الفرد الصمد الذى خلق الانسان من ماء مهين وجعله أبيض وأسود وأحمر وأخرج الماء من ضم الحجر الجلمد ما تبغى من فرسانك أحدا لا أبيض ولا أسود ولا آخذ معى غير ألف فارس من بنى عمى وخمسمائة من بنى قضاعة واقضى حاجتك وأعود ممتثلة الامر بالسمع والطاعة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك المنذر من عنيترة ذلك الكلام تعجب وأخذه الفرح والطرب وقال ها قد أخلف الله على بنى عبس عنيترة ابنة عنتر بن شداد واحيا ذكره بين العباد فى سائر البلاد وقال يا أم الزعازع ليس بالكثرة من باس ولا نزمها أحد من الناس فقالت عنيترة أيها الملك وحق من يعلم تردد الانفاس وخلق لهذه الصورة الآدمى وما فيها من الحواس ما أسير الى هذا الامر فى أكثر من ألف فارس ممن يكونوا يحملوا عمى وضيرى ولا أرسل فى هذه

الحاجة غيرى والا أكون قد ساويت أكثر من الناس ﴿قال الراوى﴾ فقال لها الملك المنذر يا أم الزعازع افعلى ما بدا لك فها هنا أحد يخالف مقالك فلما سمعت عنيترة كلام الملك المنذر فرحت بمقاله وأعجبها سائر أحواله وانطلق عليها جميع أقواله ثم انها قامت من وقتها وساعتها وأخذت من بنى عمها ألف فارس ممن يبادروا الى طاعتها فيهم مثل خالها عمرو ذو الكلب والملك زهير بن قيس وزيد بن عروة وسبيع اليمن وعتبة ابن حصن ومن يجرى مجراهم من الابطال والشجعان وصارت تنتضيهم وتقول فلان وفلان الى أن عزلت ألف فارس من كل مدرع ولابس وبرزوا كأنهم الاسود القناعس وهى أمام القوم كأنها البوة شمطا ومازالت سائرة الليل والنهار تقطع البرارى والقفار الى أن وصلت الى برية برقعيد ونظرت الى ذلك البر والبيد وبانت لها الضياع والرساتيق ورأت الخيل سائبة ترعى فى تلك الاودية والآفاق ورأت الى شئ كثير من الخيل والجمال والنياق ﴿قال الراوى﴾ ولما رأت عنيترة الى تلك الاحوال أمرت الفرسان بنهب الاموال وأخذ الخيل والنوق والجمال فتبادرت الفرسان اليها ودارواوأحاطوا عليها وساقوا أيضا سائر الاموال وهربت الرعاة وطلبت الاودية والجبال ومنهم من طلب القلعة فوصلوا اليها فى عاجل الحال وألقوا النفير فى الرستاق وأكثروا من الصياح والزعاق ووصل الخبر الى القلعة وأعلموا فى عاجل الحال الغضنفر بما كان من تلك الفجعة وأنه لما سمع ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وزاغت عينيه فى أم رأسه واضطربت جميع حواسه ونهم ودمدم حتى هابته جميع جلاسه وصرخ فى العبيد وقال لهم ياويلكم يابنى الزوانى من ذا الذى طرق أرضى من قاص ودانى فقالوا له أيها الملك ما طرق ديارنا عشائر ولا جيوش ولا دساكر وما أغار على أموالنا وأخذ جمالنا والنياق غير ألف فارس ونظنهم من فرسان العراق لاننا سمعنا هم يتكلموا بلغة أهل تلك الآفاق ورأينا يا ملك يقدمهم فارس أسمر وله صوت مثل الرعد اذا هدر وكالاسد

اذا رأى الفروسية قدامه واندعر وسمعناه يتكنى ويقول أنا عنيترة بنت عنتر الذى كان فارس البدو والحضر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الغضنفر من العبيد ذلك الخبر هدر وزمجر وطار من عينيه لهيب الشرر وزعق على الفرسان فركبت والى نحو الصياح طلبت ثم انه فى عاجل الحال ركب جواده واعتد بعدته جلاده وركب أمام الخيل وطلب فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وقد انصب عليهم انصباب السيل فرآهم قد أخربوا الرستاق وأفسدوا جميع ما بين أيديهم من تلك الآفاق فلما رأى الى ذلك الشأن حمل وحملت معه الفرسان فتلقتهم بنى قضاعة وبنى عبس وعدنان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الفرسان والاقران بالاقران والشجعان بالشجعان وطلع على رؤسهم الغبار الى العنان ﴿قال الراوى﴾ هذا وعنيترة قد كر دست الابطال وأرمتهم ذات اليمين وذات الشمال وجندلت الاقران على الرمال وكذلك فعل الغضنفر ورأت فرسان بنى عبس وبنى قضاعة منه الموت الاحمر وعاينوا من طعنه وضربه الامر المنكر وقاتل قتال من لا يبقى ولا يذر وخسف الصدور وقلع العيون وأفسد الصور وما زال القتال يعمل والدم يسيل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والسؤل لا يقبل الى أن أظلم الظلام ومنع الناس من ضرب الحسام وقد افترقت الفئتان وانفصل الجمعان وأكثروا وقيد الناز وتحارست الفريقان ومازالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح واصطفت الصفوف وتعدلت الالوف وجردت وعزموا الفريقين على شرب كاسات الحتوف واذا بفارس قد برز الى الميدان ومشى فى ركابه مائتين فارس أعيان وهو بينهم كأنه الاسد الغضبان راكب على حصان خفيف الجريان أشقر اللون مليح الكون سابل الغرة مليح الطرة ظريف الوفرة تضرب شعرته الى حمرة راكبه من الحدثان فى أمان يطير فى الهوى كأنه الطير فى الطيران وهو كما قال فيه الشاعر

يسابق الريح فايسبقه * لانه يسبق الرمق البصر

كأنه فى حسنه عادة * بحسنها تسبى عقول البشر
راكبه فى عيشة راضية * لانه دومة قرير النظر

(قال الراوى) وعلى الفارس درع مكوكب مذهب مقصب وفى صدره مرآة من الجوهر ينبو اعليها الصارم الذكر يأخذ نورها بالبصر ومن فوق الكل ثوب أطلس أصفر مليح الزى والمنظر محشو بالمسك الازفر تتوه فى حسن نقشه الفكر وأكمامه قد عقدها الى وراه بشراريب ابريسم حرير أخضر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه فى ذلك الوقت والمنظر وفى كفه صارم ذكر لو ضرب به جبل لطير منه الشرر وعلى صدره صليب عجيب يسوى من الذهب الاحمر خرج اقليم والفارس له عينان كأنهما شواظان أو نجم بارق اللمعان والصليب مكلل بالياقوت والمرجان وقد خرج ذلك الفارس فى هذا الزى والمنظر الذى تحير فيه الفكر وكان هذا الفارس هو الغضنفر فلما توسط الميدان رجعت من حوله الرجال والاقران فوقف فى ذلك المكان ونادى يطلب البراز والطعان ولما تبينته فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وعرفته عنيترة من تلك الساعة وهمت أن تبرز اليه وتصل عليه واذا قد سبقها فارس مليح الشمائل ألبق الخصائل للفروسية عليه علائم ودلائل وهو راكب على حصان أبلق يحاكى النعم اذا زرق والطير اذا انطلق مليح الرونق سابل الغرة كبير الحدق وعلى ذلك الفارس زردية كثيرة العدد ومتقلد بحسام مهند ومعتقل برمح مسدد فتبينته فرسان بنى عبس واذا به زيد بن عمرو قذوا الفروسية والبراعة وقد برز الى لقاء الغضنفر وهو كأنه الاسد القسور *(قال الراوى)* ولما صار زيد فى الميدان ومعترك الجولان حمل عليه الغضنفر وانقض عليه مثل السيل اذا انحدر أو النمر اذا اندمر وصاح عليه ويلك من تكون من فرسان بنى عبس يا أخس من طلعت عليه الشمس فقال له زيد بن عمرو الويل لا بيك وأهلك وأقاربك وذويك يا ويلك أنا زيد بن عمرو بن الورد صاحب الفروسية والشجاعة والفتوة فقال له الغضنفر ئس الفارس المهين وأنت

أحقر أن تكون لى قرين ثم ان الغضنفر حمل عليه وهجم بالطعنة اليه فتلقا زيد الطعنة بحسن صناعته وقد سبق واعلى درقته وبطلها بقوة همته فسل سيفه الغضنفر وهجم عليه هجوم الاسد الهصور وتضاربا وتباعدا وتقاربا وتواصلا وتناصلا وتكاثروا تراحما وقد رأى زيد بن عروة من الغضنفر فارس لا كالفرسان و بطل تبطل عند قتاله قوة الشجعان وقد زاد عليه الدرهم قنطارا بالقبان هذا وقد قل من الاصطبار وسطى عليه الغضنفر سطوة جبار وهجم عليه هجمة الاسد الهدار وضربه بالسيف صفحا على رأسه كاد أن يخمد أنفاسه وانقلب الى الارض بثقل ما عليه من الزرد فصار كأنه الجذع الممدد وانقض عليه أخذه أسيرا وقاده ذليل حقير وانكشف بعد ذلك الغبار وبانر الاعين النظار واذا بزيد بن عروة منقاد قدام الغضنفر أسير فلما رأت عنيترة الى ذلك الحال همت أن تبرز اليه لعل أن تخلص زيد من الاعتقال واذا بفارس قد برز اليه وسبقها عليه ولم يقدم بين يديه لافرع ولا خيفة فتبينته عنيترة واذا به عتيبة بن حصن بن حذيفة وقد طلب البراز وسأل الانجاز فتلقاه الغضنفر بقلب أقوى من الجمر وجنان أقوى من تيار البحر اذا زخر وكذلك تلقاه عتيبة الآخر وتضاربا ضربا أحمر من الجمر وأمر من الصبر وتباعدا وتقاربا وتضاربا وتجاربا وتقاتلا لا ان الغضنفر همز بجواده وقصا فى بداده وطلب عتيبة الى أن حك الركاب بالركاب ومسك درع عتيبة من الجلباب وجره اليه بعد أن عرف دخله من خرجه وصاح به واقتلعه من سرجه وصار معلق فى يده بعد أن كان يغمى عليه وقد ملكه أسيرا وقاده ذليل حقير وسلمه الى بعض الغلمان وعاد بعد ذلك الى الميدان وطلب الضرب والطعان فبرز اليه عمرو ذو الكعاب ولم يخف من لوم ولا عتب فتلاقيا من غير كلام ولا خطاب وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار وجرى بينهما قتال يحير الافكار ويقصر الاعمار وما زالا كذلك الى آخر النهار وأقبل عليهم الليل بغياهب الاعتكار وافترقا على سلامة وكل منهما يأكل كفيه على صاحبه ندامه وباتوا الفريقين الى

الصباح

الصباح وكل منهما قد اراح واستراح ﴿قال الراوى﴾ ولما طلع النهار وبان ضوءه للابصار وبرز الغضنفر الى الميدان وطلب الضرب والطعان وما استقر به المكان حتى برز اليه عمرو ذو الكلب وصار قبالة بين الطائفتين واذا بعنيترة قد خرجت من حرقة قلبها على خالها وحسن وداده قد أطلقت فى عاجل الحال رأس جواده ومرت مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف وقد ردت خالها عن البراز وقد طلبت بذلك الانجاز فلما رآها الغضنفر داخله فيها الطمع وقد النقته عنيترة مثل الاسد الادرع وحملت عليه حملت البطل الصميدع وتضاربا ضربا يحير الافكار ويعمى الابصار وراى الغضنفر من عنيترة أمرا مهولا وقتالا يحير العقول وأخذ الميدان عرضا وطولا وكلما همت عنيترة أن تضرب الغضنفر يأخذها عليه الرأفة والفكر وتلحقها عليه الحنة وهى لم تعرف أى شئ لحق خالها من تلك المحنة ولم تدرى ما ذلك الحال وما وجدت لها بد تمد اليه بالحرب والقتال وحملت عليه وقومت السنان اليه وكذلك فعل الغضنفر وكان بينهما فى الحرب أمر منكر وقد أخذوا فى الكد والجد والاخذ والرد والملاصقة والمفارقة والمباعدة والمطابقة وسطى كل منهما على بعضهما بعض حتى ندكدكت من تحت أرجل خيلهما الارض وقد أخذوا فى الابرام والنقض فعند ذلك قام الغضنفر فى ركابه وتمطأ فى بداده وضرب عنيترة ضربة واصلة وقال انها تكون لعمرها فاصلة واليها قاتلة فتلقت الضربة بقوة ساعدها فنزلت على الدرقة أسرع من طبق العين فانقسمت الدرقة نصفين فأرمتها من يدها قطعتين وهجمت عليه أن تفعل به كما فعل بها وشالت بالسيف يدها وضربته بقوة جنان فتقهقر الى خلفه بالحصان واذا قد وقعت رجليه فى بيت اليربوع فما كان له بد من الوقوف فوقع الى الارض وقد تمدد عن جواده بالعرض فانقضت عليه أخذته أسير وقد جعلته حائل سيفها فى رقبته وسار بين يديها حقير وقد ضجت الجيشين وتعجبت من هذا الاتفاق الفريقين ﴿قال الراوى﴾ ولما رأت بنى عبس وابنى قضاعة الى عنيترة

وقد أسرت العضنفر أخذهم الفرح والطرب وأيقنوا بالنصر والظفر فعند ذلك حملوا حملة منكرة وكردسوا الروم خمسة خمسة وعشرة عشرة وعمرو ذو الكلب أمام الخيل وأنزلوا بالروم البلاء والويل وجعل عمر يكتال الرجال كيل وأى كيل وقد قتل من الروم القوى والحيل وأخذ فى الهرب وأعطت ظهورها للعرب واوسعت فى جنبات تلك الارض ولعب السيف فيهم طولا وعرضا وانهزموا طالبين قلعة برقعيد ومانجى منهم بنفسه الا من كان تحته جواد جليد وتبعوهم بنى عبس وبنى قضاعة الى منازلهم والخيام وقد كلوا وملوا من ضرب الحسام ولكن قد نهبوا فى أموال الروم ومضاربهم وخيامهم مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولما نزلوا واستقروا فى الخيام وأكلوا ما راج من الطعام فعند ذلك أحضرت عنيترة الى بين يديها العضنفر وقد بان منه ان قلبه قد انكسر وقالت له يا ويلك يا ولد الزنا وتربية اللئنا وحق الدائم الباقى بلا زوال ولا فناء الذى جعل الليل سكنا والنهار معاشا لئن لم تفدى نفسك بمن عندك من الاسرى والاموال والا عذبتك عذابا لا تحمله الارض ولا الجبال فهما زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن معهم من الرجال ثم ان عنيترة سلت سيفها ووثبت عليه وأرادت أن تبطش عليه فاطاوعها قلبها على ذلك ولكن لم تدر ما هذا الامر الموجب لذلك وقد ارتعدت يدها وتحرك كل عضو فى جسدها فأرمت السيف من كفها وأمرت العبيد أن تقيده بالحبال وتعيده الى ما كان فيه من الشد والاعتقال فقال لها العضنفر لما رأى نفسه قد صار فى هذا الحال قال أيها الاميرة كلما تريدين من المال وخلاص الرجال فاحملينى الى تحت القلعة الذى لنا ان أردتى نجات نفسك من المهالك فان أمى تفديني بكلما تملك يدها سرعة فقالت غدى أفعل ذلك ﴿قال الراوى﴾ ثم ان العبيد تسلموا العضنفر وأمرتهم بالحفظ عليه ولكن لا تأسى عليه من المحنة الذى اخذتها عليه فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم وأما ما كان من الروم المنهزمين واحوالهم ما زالوا فى هزيمتهم الى ان وصلوا الى القلعة وأكثر وا من الصياح

والزعاق وأخبروا بما نزل بهم من تلك الفجعة فوصل الخبر الى الست مريم أم الغضنفر الذي قدمنا ذكرها أنها ابنة أخو الملك قيصر وأن ولدها قد أسرته عنيترة بنت عنتر وقد حكم بذلك القضى والقدر فلما سمعت بذلك الحديث والخبر انقطف لونها وتغير كونها ثم ان رجال ولدها احضروا بين يديها المأسورين وهم زيد بن عروة وعتيبة بن حصن وما معهم من الرجال وأخبروها بما جرى لهم من الحرب والقتال فلما رأتهم قالت دعوهم في الشد والاعتقال ويتوكل بهم الى غداة غد جماعة من الرجال لعل أن أفدي بهم ولدي مما هو فيه من الخبال فقالوا لها سمعا وطاعة ثم انهم فعلوا ما أمرتهم به في تلك الساعة ﴿قال الراوي﴾ وأن هذا الغضنفر بن عنتر من مريم هذه وقد ذكرنا في كتابنا هذا فيما تقدم كيف تزوج بها في مدينة رومة الكبرى لما كان أرسله الملك قيصر الى بلاد الافرنج وقتل بهند أخو خيلمان ملك الافرنج وقد ذكرنا أصل زواجه بها وكيف أخذها من عند أخوها ابن أخو الملك قيصر وأتى بها الى القسطنطونية وخلاها عند عمها ويقال في بعض الاقوال أنها من بعض سراريه الخاص ﴿قال الراوي﴾ ان القول الصحيح الثابت الذي ليس ينكر أنها ما كانت الا بنت أخو الملك قيصر ولما أبقاها عنده وصار طالب بحر الفراء وجرى له ما جرى مع الاسد الرهيص وقتل ومات وكان موته بذلك الحال رخيص لكن ما تم نعيم الا ويكون وراءه تنغيص وذلك كما قيل في المعنى وأي نعيم لا يغيره الدهر وفلك ولدت مريم هذا الولد الغضنفر وكان أسمر أغبر وقد كان أشبه الناس بأبيه عنتر ولما رآه الملك قيصر نفر قلبه منه كما رآه على ذلك اللون الاحمر وقال في نفسه ان الذي أراه من الرأي المدبر أني أعطي هذا ولده بعض القلاع يعيشوا فيها ويكون معهم جيش فأخفاه عنده وما خلى أحدا ينظره لا من جيشه ولا من جنده وما زال عنده كذلك الى أن صار الغضنفر من العمر عشر سنين فأعطاه خمسة آلاف من خواص جيشه وأمره بالرواح الى قلعة برقعيد وأرسل معه أمه بجميع ما معها من الاموال

والخدم والجوار والعبيد والحلى والحلل وسار بينهم الغضنفر وهو كأنه الاسد المقسور الى أن وصل الى تلك القلعة فرآها أرضى أرض وأحسن بقعة ووجد أيضا فى صناعها خمسة آلاف فلاحين من منتصرة العرب وهم فى تلك الارض مقيمين فصار الحاكم على الرفيع منهم والوضيع وأنتشى وكبر وصار له شأن وظهرت منه الفروسية وقهر كثيرا من الشجعان وأذل الاقران وهابته الابطال وخافت بأسه الرجال وشاع ذكره فى سائر الاقطار والبلدان ومن جملة ماوقع من الاتفاق ان وصل اليه خبر الجمل الذى أرسله المنذر من أرض العراق الى كسرى وجرى ماجرى من الامور وسار الى الغنيمة واحتوى عليها وأسر ماء السما بن عم الملك المنذر هذا ومريم تطول روحها عليه وتعلم أنه لابد لبنى عبس من القدوم عليه وبعد ذلك تعرفه بأهله ويجتمع بهم شمله ووصلت اليه أخته عنيترة وأسرته وحكم عليه القضاء والقدر وذلك كله لاجل تدبير رب البشر ووصل الى أمه ذلك الخبر ففرحت فى قلبها وشكرت على ذلك ربها ومازالت صابرة الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأمرت من بقى عندها من الفرسان أن يسيروا معها حتى أنها تخلص ولدها وتطفى بخلاصه نار كبدها وقد أخذت معها ماء السما بن عم المنذر الذى أسره الغضنفر فى النوبة الاولى لما أخذ حمل كسرى ثم أخذت أيضا زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن كان معهم من بقية الرجال وسارت الست مريم فى أربعة آلاف فارس من أهل الرستاق وخلت المنهزمين مقيمين فى القلعة الى أن تعود لما يقع من الاتفاق وسارت بمن معها ذلك النهار وتلك الليلة فصبحت القوم صباح وأمرت جيوشها بالنزول فنزلوا ذلك الوادى عرضا وطول ثم انها لما استقرت أرسلت فى ساعة الحال الى عنيترة رسول وكتبت معه كتاب وأعلمته بما يقول ﴿قال الراوى﴾ وكان الذى كتبته فى الكتاب ان بعد السلام أما بعد فان الذى أعرضه بين يديكى يا أميرة من الكلام بان الدهر كثير العجب وهو باهله يتقلب والعاقل من اعتبر وتعلم بمن مضى قبله من الامم وانى أريد منكى

يا أم الزعازع ربوة الوقائع المهلة الى الليل ونبطل اليوم القتال وركوب الخيل ومهما أردتي بعد ذلك حملت لك ما تريده من المال وقد أتيت معي بجميع الاساري وهم مطلوقين من الاعتقال وهذا الذي أريد منك والسلام ولكن أريد الاجتماع بك في هذه الليلة عند المنام ﴿قال الراوي﴾ فسار الرسول بذلك الكتاب الى عنيترة فلما وصل الى مضربها استأذن عليها فأذنت له بالدخول فلما دخل عليها وجدها جالسة في ذلك المضرب ولها هيبة تذلق الحجر والى جانبها اليمين زهير بن قيس والى جانبها اليسار خالها عمرو ذو الكلب ولم أحد في ذلك المضرب والحضر يجسر بقول لا لم ولا ليس فلما حضر الرسول ناولها الكتاب فأخذته منه وأعطته للملك زهير بن قيس فقرأه وعرفوا جميعهم معناه فقالت عنيترة للرسول سلم على الست مريم وقل لها قد سمعت لها بكلما تريد وأكون بين يديها كبعض الخدم ومهما قالته وفعلته فاني ما أخالفها فيما به تتكلم ﴿قال الراوي﴾ فسار الرسول الى الست مريم بسير كتاب وأعلمها بما ردت عليه من الجواب فلما أتاها قد عرفت ما في الكتاب من الخطاب ففرحت مريم بما تيسر من ذلك الاسباب وصبرت الى الليل وقامت هي بنفسها بعدما أمرت الغلمان بحمل الاساري من حبسها فأتوا بهم الى بين يديها وأعرضوهم عليها فأخلعت عليهم الخلع الغالية المثمنة وأنعمت عليهم النعم الشاملة وأحسنت اليهم غاية الاحسان وأخذتهم بين يديها وخرجت من ذلك المقام وأخذت معها مائة غلام وبين يديها أربعة من خصائص الخدام وما زالت سائرة وقد سمحت لاجل خلاص ولدها بالمال والنفس الى أن وصلت الى قرب جيش بني عبس وأخذت الاذن من الحراس وطلبت منهم المشورة فمضى بعضهم وشاور الامير عنيترة فأذنت لهم بالدخول عليها وأن يحضروها الى بين يديها فعند ذلك دخلت عليها المضرب وبين يديها الخدام الاربعة فقامت اليها عنيترة قائمة على الاقدام ومشت اليها واستقبلتها أحسن استقبال وكانت المضارب في ذلك الوقت خالية من الرجال فسلمت عليها

وأخذتها بالاحضان وكل منهما فيما هو فيه من ذلك العز والشان وعادت بين يديها وجلست على السرير وأخذتها بجانبها وقربتها اليها وتميزتها فرأتها في ضوء ذلك الشمع المكرم فراشبه الخلق بولدها الغضنفر فقالت في نفسها سبحان خالق الصور وأنبع الماء من الحجر ثم انها بكت وأنت واشتكت فقالت لها عنيترة مما تبكين أيتها الملكة الاميرة والسيدة الكبيرة ان كان خوفا على ولدك فانه لاجل قد وملك علينا قد نجى من المهالك وها أنا الساعة أحضره الى بين يديك وتقر برؤيته عينيك فقالت لها مريم أيتها الاميرة وحق المسيح ان كان الكذب حجة فالصدق أحسن وأنجى وهو شئ طيب وانى أخبرك بما حصل كان من الامر الصحيح وأشرح لك في هذه الساعة حديث أعجب من كل عجيب وكلام تلذبه المسامع وتطرب له الاذان ويؤرخ في الدفاتر ويكتب وهو أن هذا ولدى الغضنفر هو أخوك من أبوك عنتر وحق خالق البشر لان حديثي وحديثه عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن يبصر وذلك أنه تزوج بي لما أرسله الينا عمي الملك قيصر وأتى الى رومة الكبرى وكسر الافرنج وأحل بهم العبر والدليل على ذلك أن ولدى مثلك أسمر وذلك بخلاف أهل بلاد الروم وهذا الكلام صحيح وحق الحي القيوم ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت عنيترة من الست مريم ذلك الخطاب والكلام ظهر الفرح على وجهها ولحقها الوجد والهيام وفرحت غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح وقالت عنيترة وحق مالك الممالك المنجى من المهالك لقد صدقت أيتها الملكة في ذلك لانى كنت كلما رمت أضربه ونحن في الحرب والقتال لم تطاوعني نفسي على هذه الاعمال وكان يأخذني من ذلك العجب لانى قاتلت وقتلت كثير من فرسان العرب ولم رأيت هذا العجب ﴿قال الراوى﴾ ولما فرغوا مما دار بينهما من القيل والقال قامت عنيترة في ساعة الحال ودارت بها الغلمان يمينا وشمال وسارت الى المضرب الذى فيه أخوها الغضنفر وهي تكاد أن قلبها من الفرح قد انفطر ومازالت حتى انها دخلت عليه وأمرت الغلمان بفك يديه ورجليه وأمه معهم وقد

ويخافه من على الجواد ويضرب به الارض يغلط بعضه فى بعض ثم انه صار يضايق الناس فى الجمال ويمسك فارسا بيده اليمين وفارسا بيده الشمال ويضرب بهما اثنين فيقتل أربع رجال ويطلع الزبد على أشداقه فى الميدان وتحمر عيناه حتى تمنى كأنهما شرار النيران وما كأنه الا مارد أو شيطان أو من عفاريت سيدنا سليمان لانه أسود يشبه الابنوس ولا يقدر عليه لا عجلى ولا فارس لان ما مثله أحدا فى هذا الزمان مقايس ولا يوجد مثله ممارس لان صدماته تهد الجبال ويطعن طعنات تقرب الآجال وجواده اذا رآى الفرسان قد ازدحمت عليه يفتح فاه كأنه الغول أو الاسد المهول ويصدم الفارس فى الميدان فيكسره ويرميه عن ظهر الحصان فتدهكه الخيل وأنه يعين صاحبه على لقاء الشجاع ويبيد الفتيان فلا يصعب عليك أيها الملك من هذا الانسان فما مثله شيطان الا أن يكون انت يا ملك الزمان وليس له ضد ولا مقايس سواك ولا يقدمه فارس الا أنت لانك أقوى منه فى الميدان ولا فينا أحد يلقاه فلما سمع منهم ذلك المقال صعب عليه ولا بقى يعرف ما بين يديه ولا يمينه من الشمال ثم انه بعد ذلك صعب عاود وبطش فى الرجال فقتل عشرة من الابطال والباقى هربوا من قدامه فى عاجل الحال وقال لهم ياويلكم يا أمثال لمثلى يقال له هذا المقال وتصفون هذا البدوى حلاب السوق وراعى الجمال ولولا خوفى من المسيح ما أبقيت منكم بطريق صحيح الا ملقح على الثرى طريح ياويلكم أكون أنا الملك جنطاشيل بن الجلاع بن القعقاع وتفزعون من هذا الاسود عند الفزاع وأى شئ يكون هذا الاسود الميشوم ومن معه من العرب والروم وأنا الاسد الغشوم وسوف تنظرون كيف أخلى أنفسهم مرغوم ولا مثلى يقاس بكل من فى بلاد العرب وأنا ملك الشرق والغرب وسوف ترون ما أفعل بهم فى الميدان وأنا على ظهر فيلى سيروان وسوف أقتل هذا العبد المسمى بعنتر أخوا السودان وكوبريت ومن معه وكذلك هرقل بن قيصر ولما سمعوا كلامه الجميع سكتوا ولا عاد تكلم منهم لا وضيع ولا رفيع وقالوا له أيها الملك ها نحن كلنا بين يديك

نقاتل معك وسوف ترى منا ما تقر به عينيك ثم انه فى ساعة الحال أمر بالتجهز الى ساحة المجال للحرب والقتال وأن يكونوا على أهبة النزال ففعلوا ما أمرهم به ملكهم جنطائيل ولبسوا الزرد والخود بلا تطويل ﴿قال الراوى﴾ وزعقت البوقات السلطانية وأعرض الملك عشائره فكانوا سبعمائة ألف بطل فترك فى المدينة مائة ألف فارس من كل مدرع ولابس للحرب ممارس وأجلس مكانه ولده الصغير عبد المسيح لانه ذو عقل رجيح ولسان عربى فصيح هذا وقد ركب جنطائيل على ظهر سروان الفيل وقد رحل من مدينته طالب هلاك جيش الروم وفى مقدمة عشائره القسس والبطارقة والاعلاج والشمامسة والشمعان والراهب الكبير والمطران والملك جنطائيل على رأسه الصلبان والاعلام عليها صورة مريم ابنة عمران ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من كوبرت وعنتر وهرقل بن الملك قيصر فانهم لما كسروا ذلك الجيش أقبل عنتر على كوبرت وابن الملك قيصر وقال لهما ما قعاد كما عن هذا الطنبير جنطائيل ولما الا نسير والى ديارهم ونخربها ونمحى آثارهم ونقتله ونسبى حريمه وعياله ونأخذ ذخائره وأمواله وأى شئ هو هذا الكلب الطويل حتى نتركه الى هذا الدبار يسير ولاى شئ لم نسير بجمعنا اليه ونقتل جيشه الكبير ولا نخلى منهم لا قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير ونملك بلاد الاندلس الى أقصى الغرب الكبير فقالوا له نعم يا أبو الفوارس ما به تشير ثم انهم تجهزوا فى ساعة الحال فى مائة ألف هنان من الابطال فقال عنتر ولو يكونوا عشائر الاندلس بعدد الحصى والرمال لغنيتهم بعون الملك المتعال وأفنيتهم بالحسام والقنا وسوف ترى أيها الملك منى ومن جيش الاندلس الكثير وما يجرى لى مع هذا الطويل بن الاندال جنطائيل ففرح ابن الملك قيصر بهذا المقال وعلم أنه يقدر على هذا الفعال ثم أنهم قسموا الجيش قسمين فانتضوا مائة فارس من الاعلاج الشداد وقد ركب عنتر على ظهر جواده الابجر وشيبوب والخزروف بين يديه كأنهما

ذكر النعام اذا اندعر هذا والاميرعنتر قد تذكر ديارة فتلهبت أحشائه وتأمل نحو الشام فنظر برق يلمع فتذكر عبلة ففاض دمعه وانهمع وزاد به الوجد والغرام فانشأ يقول هذه الابيات

أبرق نجد أضاء يا سعد أم هيقا * أم نور عبلة بدى يا برق هنيئا
أم نورها قد أضاء يا برق فى غسق * كما تشب على أيدى المصاليتا
فاق ذكر لما أول وآخرها * فعاوقتها بنات الروم سميتا
قد صاغها الله من حسن وقال لها * خوضى الماليك تركيا وتثبيتا
وسحر أجفانها قد زادنى سقما * أخلت فيهما كهاروت وماروتا
ايا عارضا رائحا يغدو ابوارقه * أقصد لشام دمشق فهذا نجيتا
يا بوق ان حزت أرض الشام لى رشى * تحمل تحيتها عنى فحييتا
ان منك قد سألت عنى فقول لها * كان سيفى لوقد النار كبريتا
يا عبلة انى اذا ما جلت فى رهج * تسمع له الاذن أرعادا وتصويتا
سأروى الروم ضرب السيف مبتدرا * تخر واله الاسد الضرغام مبهوتا

(قال الروى) فلما فرغ عنتر من شعره وانشاده واذا بهرقل بن الملك قيصر قد مال وترنح فوق جواده وقال له وحق المسيح مالك مثيل فى الفصاحة ولا فى الثبات فى الميدان فالله يبلغك أمانيك ويحكمد حاسديك فدعى له عنتر وأثنى عليه وله شكر ثم انهم ساروا بعد هذا الكلام وهو يقطعون البرارى والاكام مدة خمسة وثلاثين نهارا على التمام وهم يقطعون المهاد والارض والبلاد وفى أوائلهم عنتر بن شداد حتى تقاربت العشائر من بعضها بعض وطلع غبارها فاسودت منه الاقطار وخفقت البنود والازدهارات فكان ملتقاهم ببعضهم البعض فى مكان عظيم يقال له وادى الرميم هذا وقد علا الضجيج لاختلاف اللغات ونعرت البوقات ودقت الكوسات وهجت الوحوش من الغابات وارتجت سائر الجهات والجنبات وخفقت الاعلام والرايات من هبوب الرياح العاصفات ولمعت بروق الصوارم المرهفات مع حالى سحائب

المغاير المرتفعات وصهلت الخيول الصافنات واشتاقت الى الحرب قلوب السادات وهان عليهم شرب كأس الممات ومافيهم الا من لاح له وجه النصر بعلامات وخفقت البنود والرايات هذا وقد انكشفوا الطائفتين وحقق بعضهم بعض برأى العين ولم يجدوا الدساكر ثبات بسبب الحقد والكراهات والملك جنطائيل فى مؤخرة الجيش راكب على فيله سايرون كأنه الاسد القسور لان أكثر الخيل كانت منه تنفر فلاجل هذا ما تقدم امام الجيش هذا وقد أمر عشائره بالحملة فحملوا على بعضهم البعض وجالوا طولا وعرض فارتجت من تحت حوافر خيولهم الارض وعظمت الاهوال واهتزت الجبال وقد تقاربت الآجال وصدمت الرجال الرجال واشتدت المخاوف والاوجال واختلف الطعن يمينا وشمال ونزع الشجاع فى سرجه ومال وانقطعت من الحبان الامال وعظم الويل والوبال وبان الصدق من المحال وتصادمت الشجعان واختلط الجمعان وتقاتلوا الطائفتان وتطاعنوا الجيشان وعمل السيف اليمان الى أن غابت الثريا والزبرقان وأدبر السرطان ومالت كفة الميزان وانباع المشترى بأبخس الاثمان وطار عقل عطارد الصباح فأخذه بعد الامان وسما سهيل السماك وتفرقد الفرقدان وزاد على الثور قشعم الاسد فقطع منه مواصلة الابدان وضربت الجوزه الجدى فانصدعت بعدان كانت كالسندبان وهجم على المريخ سلطان الضياء فخضع باسه وطلب الامان وخضعت السنبلة وتجارى على الجدى من الثور كرأس العقبان وتحط سقباء الدلو بعد ارتفاعه محل كيوان وحارة السواطر والاوهام وكان يوما من أيام الزمان انباعت فيه الارواح بيع الهوان وقد صارت الارض من دماء الفرسان كالارجوان وضجت عمار تلك الارض والسكان وعمت أسود الحرب وزادت الزعقات ودمعت عين الجبان وتمنى انه لا كان وضاق الميدان ومحا السكران ولله در ذلك اليوم من يوم عظيم الشان زاد الكرب على الفرسان وحمى فيه الحديد على الابدان والامير

عنتر بن شداد يجول فى الميدان أى جولان ولا يعف عن قتل القسوس والرهبان ولا البطارقة ولا المطران ولا العلوج ولا القمامان ولا الشيوخ ولا الشبان وقد بلغ العرق الى الاذقان والاميرعنتر يثرا لجماجم من على قامات الابدان ويزيد وقيد الحرب نيران ودمدم فأرجف قلوب الشجعان وفرق شمل الافرنج اللئام عباد الصلبان بتواتر الطعان وتجدد الاقران وصبغ بأدميتهم الميدان ولم يزالوا على ذلك الشان الى أن أذن الله تعالى للنهار بالارتحال وأقبل الليل بظلامه والانسدال هنالك فترقوا عن الحرب والقتال والطعان والنزال وعادوا الى الخيام وأكلوا شيأ من الطعام وقد ربحت الروم فى ذلك النهار تحت الغبار بقتال فارس عبس وعدنان البطل الكرار والاسد الهدار وحارت أهل الاندلس وظهر عليها الانكسار ولولا خوفها من الملك جنطيائيل لطلبت الهزيمة ورجعت الى وسط الديار بل صبرت على الروم خوفا من البوار وذهبت عشائر الملك هرقل بن قيصر بعض خيام الافرنج والرجال ولكن رجعت عشائر قيصر وهى تشكو الى الاميرعنتر مالاقت من القتال الا أنها تشكوه وتثنى عليه وتشير بالدعاء اليه ﴿قال الراوى﴾ وأما صاحب الفيل الملك جنطائيل فانه جرد على عشائره وبخهم على ما قد فعلوا وكيف أنهم تقهقروا وقت الحرب والقتال وقال لهم يا ويلكم أما أنتم رجال ولا فيكم فحولة الابطال أما تخشوا من العار والقيل والقال حتى يكسر وكم هؤلاء الاندال فقالوا له أيها الملك جنطائيل وقالوا لعياك انا جهلنا أمرهم حتى وصل الينا شرهم وحق المسيح والانجيل وزبور داود وذات التجيل فى غد اقتحدنيدهم ونحمل عليهم بأجمعنا بعد ما يقرأ علينا الانجيل فلا نخلى منهم لا كبير ولا صغير ولا كثير ولا قليل وأول ما نقتل هذا الاسود المشهور المسمى بعنتر لانه مثل الموت الاحمر الذى لا يبقى ولا يذر ونقتل كوبرت وهرقل بن الملك قيصر. لا نخلى من هذا العشائر من يخبر بخبرهم فرح الملك جنطيائيل من مقالهم واطمان لافعالهم ثم انهم قاموا للمنام بعد ان

كلوا الطعام ورتبوا لهم حرس فى الظلام ولم يزالوا على هذا الرواح الى أن أصبح الله بالصباح ركبوا الجرد القداح واعتقلوا بالرماح ولبسوا الحرب والكفاح فعند ذلك دقت الكوسات والنواقيس وزعق كل راهب وقسيس وشماس وبطريق ونعرت البوقات وخفقت الرايات هذا وقد حملت العشائر من سائر الجهات وطعنت بالرماح السمهريات وجردت السيوف المشرفيات وطاب لهم شرب كأس الممات وضاقت بهم الارض والسموات والفلوات ودارت عليهم طاحون الآفات وحملت عشائر الروم على عشائر الاندلسيات وثبتت للطعان فى اللبات وحمل عنتر وزعق بين أذنين جواده الابجر زعقات عاليات وصاح صيحات مرتفعات حتى رجت الجبال والفلوات وشيبوب والخزروف بين يديه يرمان بالنبال فيصيبان بها نحور السادات وصبرت عشائر الروم صبرا أولاد العربيات وعمت المصائب وأسودت الاماكن والجهات وخاضت الخيل بالدماء فتغيرت الوانها المختلفات هذا والسيف يعمل من سائر الجهات وتزلزلت الارض من ركض الصافنات وتهامروا مثل السباع الضاريات وعملت الرماح والقنطاريات فى صدور السادات وارتعدت الابدان من شدة الاهوال الحادثات وندم الجبان على الثبات واخذت الحيرة للشجاع والانبهات وطارت الجماجم بضرب المشرفيات وحارت المسامع من اختلاف اللغات وكان النهار قد ضاق عن مثل هذه الصفات وعظمت المصائب والافات وايقنت النفوس بالممات فيالها من ساعة لا تشبه الساعات ووقعة لا تشبه الوقعات واسودت فى أعينهم سائر الجهات وامتلأت أبدانهم بالجراحات وقلت منهم الحركات هذا والامير عنتر يوثب ويثبات ويسوق عشائر الاندلس سوق الغنم السارحات وينثر الفرسان من على السروج بطعنات صادقات وجعل كل بطريق اثنين بضربات قاطعات وقتل فى البطارقة والشماسسة والقسيسة وهو يكثر الصرخات والزعقات فتولى الخيل من زعقاته لما تسمع تلك الاصوات وترمى راكبها الى الارض

من شدة ما يدخل عليها من النائبات لما تسمع من تلك الصيحات العظيمات هذا والرجال تظن من شدة زعقاته ان الارض انطبقت عليها السموات ولم يزالوا على هذه الاشياء الهائلات الى أن أذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالظلمات باذن الله رب البريات هنالك افترقوا من الحروب والكربات لما امسى المساء وما فيهم من يعرف احسن الدهر ام اساء هذا وقد رجعت عشائر الاندلس خايفات من ضربات عنتر المسرعات فوبخهم الملك على هذه الفترات فقالوا وحق المسيح ما عمرنا رأينا مثل هذا لاسود لانه داهية وبلية عظيمة وكانت زعقته كأنها الصاعقة من السماء أو سخطة نزلت على هذه البلاد فكلما نطالبه من كل جانب ونقول اننا نمزقه بالقنا والقواضب فيصيح في المواكب فيشتتها وتولى الخيل من صيحاته باعنتها وكان المسيح قد غضب علينا حتى أرسل هذا الشيطان الينا والا لو كفينا أيها الملك شر هذا الاسود في القتال الذي كأنه خل من خول الجمال فقال الملك أنا لولا اني أخاف ان يعايروني سائر ملوك البلاد ويقولون الملك جنطيائيل برز الى عبد ابن شداد والا كنت من اول ما وقعت عيني عليه أهلكته وضربته بعدي هذا لحقته ولكن لابد لي منه في ساحة القتال وأقتله وآخذ بثار ابني عنان الفارس الرئبال لاني اراكم فشلتم انتم بكثرتكم عن قتاله ولا تقدرون على أهواله وحربه ونزاله ودع تقول الشجعان هالك الاندلس بارز عبد اسود في الميدان وأنا وحق المسيح ان ضربته بعدي هذا اقضي عليه ولكن لا كلام حتى يطلع النهار وأبرز الى الميدان وأقتل هذا الاسود ابن اللئام ثم أمر بحضور عدته والحراب والمزاريق والعمد الذي يقاتل بهم وأن يحضر والده زرديته المذكورة الطويلة السوابغ وأن يأتوا بفيله سيروان فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من فارس عبس وعدنان وليث الميدان وشجيع الزمان فانه عاد بالربح لا بالخسران وأما كوبرت والروم فانهم شكوا العنتر مما يجدونه من الكثرة وقالوا له يا أبا الفوارس العشائر كثيرين ونحن قليل ولا يحصى لهم مدد فنحن نريدك ان ترجع تلك

الفرسان الى المدينة فعند ذلك شجعهم عنتر وقال لهم لاتخشوا من أحد وأنا أعلم ماثبات هذه العشائر الجزيل الابطال كهم جنطيا ئيلي هذا الكلب الذليل وأنا ان شاء الله الملك الجليل في غد اقتل أصرم عمره الطويل وأقتل فيله واصعق عمره واجعل طوله بعرضه لان نفس هذا القرنان تكبر عليه انه يبرز في الميدان لانه يقول في نفسه انه ملك الارض في طولها والعرض وسترون كيف أجندله في هذا الارض وأخلط بعضه في بعض وان هو خرج الى الميدان فرقت اناهذه الاجناد ولا ازال أخرق الجيش حتى التقية وأنثر رؤس ماحوله من الاقران وأقتلي بطارقته والرهبان الى أن التقي هذا القرنان وسيجري بيني وبينه ما يريد الرب القديم رب زمزم والحطيم فاذا فرغت من هذا الندل ابن اللئام أفني بعده هذه العشائر ولا أخلي منهم لا كثير ولا قليل وأترك العالم تتحدث بفعالي جيلي بعد جيل ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع الملك هرقلي وكوبرت والعشائر من الامير عنتر هذا الكلام فرحوا بما أوعدهم من النصر والظفر وتقدم اليه هرقل بن الملك قيصر واثنى عليه وله شكر فقبل عنتر يديه وأوعده بما تقر به عينه وبعد ذلك باتا الجيشان بتصار سان وباتت الروم في أحسن مايكون الى أن أصبح الله بالصباح فهنالك ركبا الجيشان الجرار القداح وطلبا الحرب والكفاح وصف هرقل جيوشه ميمنة وربتهم ميسرة وقلب وجناحين وأمل أن يسقي ملك الانداس كأس الحين وينزل به الشين فلما تمخضت الصفوف وترتبت الالوف واذا قد ترجل على التحقيق أوفا من عشرة آلاف بطاريق ويقدمهم فارس طويل راكب على فيل عظيم قال وكان ذلك الفيل مثل الجبل العظيم أعلاه جبل وأسفله جندل وهو مثل سواد الليل البهيم أكبر مايكون من الافيال يحمل عشرين من الرجال وكان له اذان مثل الدرق واسع العينين غليظ الرقبة كبير الخرطوم طويل الزلوم في مشافره سيف يماني ثقيل رزين شديد المعاني له أنياب كأنها مداري وكان الفارس الذي عليه لابس زردية ترد اسباب الرزية شعشعي العمامة

ما كان أبوها عنتر وقد هابتهما سائر العربان وخافت من بأسهما سائر الاقران (قال الاصمعي) لهذا الديوان فهذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان وأما ما كان من الامير قيس بن الملك زهير واخوته لما دخلوا الى الصومعة وعملوا رهبان لانا قد ذكرنا أنه لما مات عنتر واتتهم العرب من كل سهل ووعر وجرى عليهم ما جرى من ذلك الامر المنكر ومحى شأنهم واندثر وانقطع منهم الاثر فأخذ ابنته الجمانة على كفل جواده داحس وسافر بها أيام حتى وصل الى بحر الفراء فأرمى روحه فيه وهو من الحياة آيس فقطع به الجواد البحر وقد أمل النجاة فوقعت ابنته من خلفه فغرقت وماتت موت الفجاء ونجى قيس وطلع من البحر على ظهر جواده وسار هاجا على وجهه وقد آيس من بلوغ مراده الى أن وصل الى الصومعة التي ذكرناها وقتل الراهب وقد سكن موضعه وصار من الامر ما قد مناه وبعد مدة من الزمان وقد طالت نوبته ﴿قال الراوي﴾ فبينما هو قاعد الا وقد أتت عليه ثلاثة من أخوته وقد خافوا على أنفسهم من الموت لما رؤا الى بني عبس قد انقطعوا وفات فيهم الفوت وقصدوا الى تلك الصومعة وهم يظنون ان فيها أحدا من الرهبان وهو مقيم فيها من قديم الزمان فأرمتهم المقادير على أخيهم قيس فلما عرفوه وعرفهم عولوا على الاقامة في ذلك المكان وكادوا ان يخرجوا من عقولهم من حسن هذه الاتفاق الذي لم يسمع بمثله في سائر الآفاق وكانوا الثلاثة الذين قدموا على قيس من اخوته أخبرنا عنهم من ذكر هذا القول بالتحرير انهم كانوا ورقة ونوفل وكثير فأقاموا عند أخيهم جملة من الاعوام وقد أمنوا من حوادث الليالي والايام وهم في تلك البراري والاكام وكانت مدة أقامتهم عشرة أعوام الى أن بلغهم ما جرى لبني عبس وعدنان وكيف عادت دولتهم مثل ما كانوا من أول الزمان وقد خافتهم سائر العربان وقد انتشى فيهم فارسة ما تهاب الموت الاحمر يقال لها عنيزة بنت عنتر وامها الهيفة قناصة الرجال أخت عمر وذو الكلب سيد بني قضاعة وقد أطاعت لعنيزة سائر القبائل بالسمع والطاعة وساروا

نازلين فى أرض الشربة والعلم السعدى ومن الهيبة الذى لها فى قلوب الناس لم يكن أحدا على أحد متعدى وزهير بن قيس حاكم على ألف وخمسمائة انسان وهم من بنى عبس وبنى فزارة وبنى غطفان وعنيزة وخالها وأخيها الغضنفر قد صاروا فى عشرة آلاف فارس وأكثر هم اليوم فى أمان واطمأن وقد هابت بنى عبس وبنى قضاعة سائر العربان ﴿قال حازم المكى﴾ ﴿لهذا الديوان ولما تحقق قيس واخوته ذلك الكلام من السفار والعابرين بهم فى الليل والنهار ممن يهدوا لهم الهدايا ويقربوا لهم القربان وهم يعتقدون منهم انهم رهبان واتضح ذلك القول والبرهان فقال قيس لاخوته ما عندكم من الرأى الرشيد فقالوا له أنت أحق منا بالقول السديد والامر الحميد والعرب تسميك قيس الرأى فافعل ما تريد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع قيس كلام اخوته وعلم ما اتفقوا عليه من اتباع مشورته فقال لهم ان الرأى اننا نسير ونطلب أرض الشربة والعلم السعدى ولعل الزمان يكون قد غير الاحوال فقالوا له اخوته نعم ما ذكرت والصواب ما به أشرت ﴿قال الراوى﴾ وكانت خيولهم سائبة فى تلك الارض عندهم كل هذا الزمان يأكلوا من تلك الاودية ويشربوا من تلك الغدران وقد سارروا كلهم فما كان لهم دأب الا انهم شدوا على خيولهم وأخفوا أحوالهم بالامور الذى يعرفوها وسار واطالبين ديارهم وأطلالهم وهم يتأسفوا على ما جرى فى أموالهم وعيالهم ﴿قال الراوى﴾ وانهم لم يزالوا يقطعون البرارى والقيعان حتى أرمتهم المقادير على أرض بنى نبهان وكان جوازهم عليها فى جوف الليل فكروا عند ذلك من تحتهم الخيل فأصبح صبحهم على أطراف بلادهم وتحققوهم الرعيان وكانت سائر قبائل العرب تعرف فرسان بنى عبس عبيدها وصناديدها وتعرف أوباشها من أماجيدها الا انها كانت طائفة قليلة وأعداها كثيرة وقد فعلوا بهم فى تلك الوقعات الكبار ولاسيما الملك قيس بن زهير وأخوته وما فعلوا فى العرب فى أيام عنتر وشجاعته فقام عليهم العبائط من الرعيان وتجمعت خلفهم عبيد بنى نبهان

ودار واحوالهم من كل ناحية ومكان وقد تبع قيس واخوته أوفى من ثمانمائة عبد من العبيد الشداد فوقف قيس وقفاته المعروفة ووقفت اخوته وتجالدوا أشد جلاد وقال لهم يا بنى أبى موتوا كرام ولا تموتوا لئام فان لابد من ضرب الحسام فقال له أخوه نوفل نعم ما قلت يا أخى من هذا الكلام ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم أكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا على العبيد وحملت العبيد عليهم وهؤلاء فرسان بنى عبس الاماجيد وليوثها الصناديد وهؤلاء الذين القوا بهم على كل حال رعيان وعبيد فما كان الا ساعة حتى أرموا منهم تسعين عبد على الصعيد وقد نثروهم فى الميدان ومددوهم على الصحصحان وقد سال الدماء من السيوف وتناهلوا كاسات الحتوف وبان كل بطل موصوف ﴿قال الراوى﴾ وكان قيس واخوته كما قدمنا من شجعان العرب وقد قدمنا ذكر قيس وما جرى له يوم الجبلين أجه وسلما مع معدى كرب فقتل هو واخوته فى تلك الساعة أكثر من نصف العبيد وأحلوا بهم العطب وقد عولوا الباقين على الفرار والهرب يطلبوا الانفسهم النجاة فى ذلك البر والسبب ﴿قال الراوى﴾ واذا بالغبار قد علا من ناحية أرض بنى نبهان بعد ساعة وبانت من تحته الفرسان وقد ظهرت الشجعان وكانوا أوفى من ثلاثة آلاف عنان وقد أتوا الى قتل الملك قيس بن زهير واخوته ويعدموا كلا منهم مهجته لان العبيد مضوا فى عاجل الحال وأعلموا السادات بذلك الشان فركبت فى الوقت والساعة فرسان بنى نبهان وطلبوهم فى تلك البرارى والكثبان ﴿قال الراوى﴾ لهذا الديوان ولما رأى قيس واخوته ما أتاهم من فرسان العرب قال لهم يا بنى أبى اطلبوا بنا الهرب والا متنا موت النجباء وحل بنا العطب فقال ورقة نعم ما قلت يا أخى من هذا الرأى الخائب ثم انهم ألووا رؤس خيلهم وطلبوا النجاة فى ذلك البر والسباسب ولما رأتهم فرسان بنى نبهان وقد فعلوا تلك الفعال أخذوا عليهم سائر الطرقات وطلبوهم من جميع الجهات فلحقوا منهم نوفل وتكاثروا عليه فقتله وأحلوا به التدمير ﴿قال الراوى﴾

وأما قيس فانه كان تحته جواده داحس وقد ذكرنا فيما مضى من حديث هذا الجواد وما كان فيه من الامور النفائس فطار بقيس فى ذلك البر والتلال وطلبته الخيل من اليمين والشمال فما لحقوا منه الا الغبار ونجى بقيس وتبطن فى تلك البرارى والقفار فطلب ناحية البحر الاعظم وقد خاف قيس على نفسه من الهلاك والعدم ومازال كذلك وهو قدامهم وهم وراءه حتى أرمى روحه فى بحر الفراء هو وجواده داحس فغرقوا الاثنين وحان عليهما الحين *(قال الراوى)* هذا وبنى نبهان قد عاينت ذلك الحال ورؤا الى ما فعل قيس من تلك الفعال وقد أرمى روحه فى البحر وغرق وشرب كأس الوبال ولا رضى بمن يحكم فيه وينزل به الاذلال فقالوا لبعضهم يالك من فارس من بين الفرسان اخترت الموت عن الذل والهوان ثم انهم رجعوا عنه نادمين وفيما فعلوا خاسرين وفيهم من بكى عليه ولاموا أنفسهم بما أسواعليه *(قال الراوى)* فهذا ما كان من قيس وما جرى له واما ما كان من ورقة أخيه وأحواله فانه لما اشتغلوا عنه بنى نبهان فى اتباعهم لقيس فى تلك البرارى والقيعان وقتلهم أخيه نوفل فنجى بنفسه وقد اشتغلت عنه الخيل ومازال سائر بجواده الى أن دخل عليه الليل وكان هذا الجواد الذى تحته معدوم المثال فى الخيل وكان الحق سبحانه وتعالى قد أسكن فيه القوى والحيل ولما انه أقبل عليه الليل ثم سار طول ليلته الى أن أصبح عليه الصباح وقد أيقن انه نجى بنفسه من ذلك الامر الغامر فرأى روحه قد قارب ديار بنى عامر فتحايد عن الطريق وسار فى أودية وأوعار الى ان صار آخر النهار ونزل على بعض الغدران وأراح واستراح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح فركب جواده وسار طالب العلم السعدى وأرض الشربة وهو مشتاق الى من فيها من الاهل والاحبة وقد انكبه الدهر فى اخوته أى نكبة *(قال الراوى)* ومازال سائرا الى ان اقبل على الديار والاوطان وبانت له المضارب والخيام والغدران فتهاطلت دموعه على خديه مثل الجمان ومازال كذلك الى ان شق بجواده بين

المضارب

المضارب والخيام وكان ذلك بعد ثمانية عشر أيام فتبادرت اليه أهل الحلة فعرفوه بالصياح والزعاق وانهلت الدموع من الاماق وتبادرت الى صوت ورقة الرجال وأقبلت عليه الابطال ووصل الخبر الى الملك زهير بن الملك قيس فخرج للقائه ماشي على رجليه وقد كاد من الفرح أن يغشى عليه ومازال الى أن التقى بعمه ورقة وهو لا يصدق ان ذلك الامر صدقا ولا يؤمل انه يراه حقا ولما رآه ورقة ترجل اليه واعتنقه وضمه الى صدره وسلم عليه وصار يقبله في عارضه ونحره وبين عينيه وأقبلت أيضا عنيترة وأخوها الغضنفر وأقبل خالهما عمرو ذو الكلب الامير وأقبل جرير وابن أخيه الخزروف وكل منهم على لقاء ورقة ملهوف وسار والناس متعجبين من هذا الامر وهم وقوف فسلمت عنيترة على ورقة غاية السلام وتبادرا اليه جرير والخزروف وسلما عليه وسار مع جملة الناس قيام وجعلوا يتذاكرون ما مضى وقدتما كوالماجرى عليهم وحكم به القدر والقضاء ولما انتهوا من السلام انعزل كل خل بخله وقد سار الملك زهير ومعه عمه ورقة وقد كاد قلبه من فرحه به يطير وينفطر وذلك الامير عنيترة بنت عنتر وأخوها الملك الغضنفر وعمهما جرير وابن عمهما الخزروف وسبيع اليمن بن مقرى الوحش وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن ووجوه القبيلة ومازالوا كذلك الى أن وصلوا الى مضرب الملك زهير وجلسوا للحديث والكلام بعد ما فرغوا من بعضهم من السلام وقد جعل ورقة يحكي لزهير وان حضر ماجرى له وما عليه قدتم من هذا الامر المنكر وعلى اخوته من بني نبهان وكيف قتلوا اخوته نوفل وكثير وقد أخبرهم كيف غرق قيس وجواده وابنته في النهر والغدير والله أعلم ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع زهير كلام عمه ورقة بكا بكاء شديدا وبكت الجماعة الحاضرين بكاء شديد ما عليه من مزيد فقالت له عنيترة ما بالك أيها الملك تبكي لا أبكا الله لك عينا ولا أشمت بك انسان وكيف تبكي يا ملك الزمان وحولك هاهنا رجال مثل العقبان وكل فارس منا يقوم بجماعة من العربان فدع عنك البكاء والانين والاشتكا

وسيرنا الى بنى نبهان لنقلع آثارهم ونخرب ديارهم وننزل بهم الذل والهوان ونأخذ منهم بثار أبوك واعمامك وأيضا ثارابى سيد الفرسان وأخلى ديارهم مثل أمس كان ونفعل بهم ذلك وحرمة الملك المنان الواحد المنان الذى لا يشغله شأن عن شان ﴿قال الراوى﴾ ثم ان عنيترة التفت الى أخيها الغضنفر والى من حوله من الفرسان والى خالها عمرو ذو الكلب ومن تحت يده من الشجعان وقالت لهم خذوا أهبتكم حتى اننا نسير للحرب والقتال ونأخذ ثارنا من بنى نبهان ثم قالت له كل منكم ينهى رجاله ويوصى أبطاله ثم انها الاخرى بعد ذلك صرخت فى بنى عبس وبنى فزارة وكان قد التم منهم جماعة كثيرة وساروا من تحت يد عمها زخمة الجواد وقالت الخيل يا أرباب الخيل لترفعوا عن أنفسكم ما حل بكم من الويل ﴿قال الراوى﴾ فركبت بنى عبس لوقتها وساعتها وصرخت أيضا فى بنى تحت يدها من الفرسان وقالت لهم خذوا أهبتكم وكذلك قالت للملك زهير قوم يا ملك وأزل عن قلبك بأخذ ثارك ما قد اعتراك من الهم والضير فقام الملك زهير قائما على الاقدام لما سمع منها ما أبدته له من ذلك الكلام وقدموا له الجواد النوبة العبيد والخدام فركب وركبت لركوبه سائر الفرسان ومن قد أجتمع عليهم من قبائل العربان وكانوا خفيفين الظهر متأهبين لذلك الشان ولم يأخذهم عن ذلك اهمال ولا توان وساروا فى عاجل الحال طالبين أرض بنى نبهان وعنيترة وأخيها الغضنفر بين يدى الفرسان وهو تقول لا أهلا ولا سهلا ببنى نبهان وهى بحرقة القلب تقول لا بد ما أشتت شملهم فى أقطار الفلا وحرمة العلى الاعلى ﴿قال الراوى﴾ ثم سارت القبائل تتبع بعضها بعض اطلاب اطلاب وهم بنى عبس وبنى قضاعة ومن يليهم من الاعراب وتبعهم أيضا بنى فزارة وكان قد أجتمع عليهم ألف وخمسمائة ممن لهم من الخلان والاصحاب وكذلك المتنصرين الذى أتوا مع الغضنفر وهو سائر بين يديهم كانه الاسد القسور وقد كملت عدتهم اثنى عشر ألف فارس قد وكلوا بالاموال ألفين فارس أعيان لان

عدة من كان فد اجتمع عليهم من بنى عبس وعدنان ألفين فارس أعيان
ممن كانوا قد اجتمعوا فى الجبال وسكنوا فى الاودية الخوار ﴿قال الراوى﴾
وذكرنا ان الغ صنفرد أتى فى أربعة آلاف وعنيترة وخالها عمرو ذو الكلاب
من بنى قضاعة فى أربعة آلاف فارس نجاب وانضاف عليهم من بنى فزارة
والخلفاء والاصحاب ستة آلاف وأكثرهم من القرائب والاحباب
فصاروا فى ذلك اليوم أربعة عشر ألف فارس نجاب وقد قدمنا فى هذه
الاقوال النفاس ان بنى عبس كان عدتهم فى زمان عنتر أربعة آلاف
فارس فهؤلاء قد زادهم الامر عن حد القياس وقد زاد فى قلوبهم لهيب النار
لاخذ الثار لاجل يخمدوا منهم الانفاس فسار وا يقطعون البرارى والقفار
والقيعان طالبين ديار بنى نبهان ليحلوا بهم الذل والهوان ويكشفوا عن
أنفسهم العار والذل والشنار ﴿قال الاصمعى﴾ لهذه الاخبار فبينما هم
سائرين على ذلك العيار وهم يقطعون المناهل الليل والنهار ولا يقر لهم
قرار الى أن كان يوم من بعض الايام واذا قد ثار من بين أيديهم غبار وقتام
ساعة وقد انكشف ذلك الظلام وبان من تحته ألفين فارس كأنهم الاسود
العوابس وبين أيديهم هودج عالى والرهج من كثرة الذهب الذى عليه
يتلألأ وهو مقبل بين يدى تلك الابطال على عجل طالبين أرض الحجاز
من غير مهل وكان اقباله من ناحية أرض الشام وتلك الفرسان محتاطين به
فى ذلك البر والآكام ﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام العجيب فلما رأت
فرسان بنى عبس الى ذلك الحال والى تلك الفرسان المقبلة وما معهم من
المال فقالت الاميرة عنيترة لابن أخيها ياسر ولابن عمها ليث الميدان
أنظروا ما هؤلاء الفرسان فانى أراهم مقبلين من أرض الشام وتلك الفرسان
من بنى غسان فعند ذلك سارا كما أمرتهما الى أن قاربا تلك الفرسان
وتبينوهما فعرفوهما واذا هم من منتصرة العربان والراكبة الذى فى تلك
الهودج الست حلية بنت الحارث الوهاب وبين أياديها خدمها ورجالها
وجماعة من الاصحاب فلما رأوها فى عاجل الحال ترجلا عن خيولهما وقبلا

بين يديها الارض والمهاد وكان قد تبعهما جماعة من الرجال فلما رؤهما قد فعلا ذلك الفعال عادوا الرجال الى عنيترة وأخيها الغضنفر وأخبروهما بذلك الحال فعند ذلك سارت عنيترة والغضنفر فى مقدمة الرجال والتقوا ببعضهم البعض فرؤهم قد أبركوا الجمل الذى عليه المودج ونزلت الست حليمة الى وجه الارض فعند ذلك ترجلت اليها عنيترة هى وأخيها الغضنفر لما رؤا عليها من جلالة والقدر وحسن المنظر وقد أذهل من رؤيتها كل من حضر وقد تلقتهم بالبكاء والنحيب وقد أكثرت من الصراخ والتعديد حتى انزعج كل من كان حولها من الفرسان الاماجيد ﴿قال الروى﴾ فتقدمت الاميرت عنيترت واعتنقتها وجعلت تهديها عن البكاء والعوال وتسألها عن ماجرى لها من تلك الاحوال التى سبب ذلك النحيب والاعوال ثم انها أمرت بنزول الجيوش ونصب الخيام حتى انهم يأخذوا لهم راحة فى ذلك المقام ونصبوا أيضا رجال الملكة حليمة لها صرادق من الحرير مرقوم بفصوص الجواهر ولما نزلوا واستقر بهم القرار فأبدت تحدثهم بما كان لها من الكلام ﴿قال الراوى﴾ انه كان السبب الذى أوجب تلك الاحوال وأتى بهذه الملكة حليمة الى هاهنا بحالة الاذلال بعدما كانت بغاية العز والاكمال وذلك ان الست حليمة وأخوها عمر ولما ولاهما عنتر وكان قد سار كما ذكرنا الى جانب الفراء وفعل ما فعل معهم من ذلك الامر فأقاما بعده من تحت يد الملك قيصر على هذه الاحكام مدة هذه الاعوام الى أن كان فى بعض تلك الايام فبينما هما فى غفلة عما تحدثه الليالى والايام واذا قد بلغهما الخبران قد ظهر من البحر جيوش بعد الرمل وقطر المطر وانهم قادمين على أرض دمشق وما يليها من الاقاليم والاحكام ولهم ملك مارأى أحدا مثله فى سائر الانام وقد قتل الرجال وأباد الابطال وأخرب الديار والاطلال ونهب ما أدخرته الملوك من الاموال وفعل ما فعله قبله احدا من الملوك ولا من الابطال وقد نقلوا عنه أنه جبار عنيد وشيطان مريد لا يهاب الرجال ولا يخشى من الابطال فى يوم الحرب

والجمال ﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام فلما سمع الغضنفر كلامها وما حدثته من مرامها طار من عينيه الشرار وقال لها أى شئ دين هذا الملك اما يعبد الصليب ويشد الزنار فقالت يا مولاى هو دين المسيح بن مريم ويعرف قدر الانجيل المعظم فقال لها وما السبب الموجب لقتاله فى أهل دينه وأحل بهم المهالك فقالت يا مولاى وحق المسيح ما نعلم بذلك وهذا الذى سمعنا به من أحواله وما وصل الينا أعلمناك به وأطلعناك عليه وقد ذكر والناعليه أيضا ان له عند عرب الحجاز ثار يريدان يستوفيه وكذلك عند قيصر ملك الروم ثار يريدان يقضيه ﴿قال الراوى﴾ فلما فرغت من كلامها وفهم الغضنفر مرامها اشار الى بنى عمه وجميع مقدمين الجيوش وقال لهم يا بنى العم ما ترون فى هذا الامر المنكر والحال الذى قد ظهر فقالت عنيترة وجميع من حضر يا أمير الرأى عندنا أن نسير الى هذا العدو ونلقيه ونكفى الناس شره ومايأتى منه من ضرر فاذا أمنا من شره وداهيه عدنا الى الامر الذى كنا فيه وعزمنا على أخذ ثارنا وكشف عارنا فقالت عنيترة يا أخى وحق ذمة العرب هذا هو الصواب والامر الذى الايعاب وان لم نفعل هذا الامر فى الاول والا انقلبت علينا الاعدا ويقصدوا الافرنج ديارنا ويشغلوا خواطرنا وأسرارنا وتسير العرب جميعا مع الاعداء علينا وينفتح باب ما نقدر نسده ولا نعلم بعد ذلك ما نلقى ولا ما يحدثه الدهر فينا فاستصوبوا جميع الحاضرين هذا الرأى وباتوا تلك الليلة وهم عازمين بالمسير الى دمشق الشام ويلقوا هذا العدو الذى هو الجوفران بن الملك كوبرت ملك جزيرة الكافور وتلك البلدان ولما فرغوا من ذلك الكلام أنزل الملك الغضنفر للملكة حليمة هى ومن معها غاية الاكرام ورفعها على أعلا مقام وتولى خدمتها تلك الليلة ياسر بن ميسرة وليث الميدان وتذكرا جميلها وما لها عليهما من الاحسان ﴿قال الراوى﴾ ولما أصبح الله بالصباح وبان لهم الضوء من الشرق ولاح أمر الغضنفر أن ينادى المنادى بالرحيل وان يعتدوا بآلة الحرب للتحويل

فرحلوا جميع الجيوش طالبين بلاد الشام ونشرت على رؤس الدساكر الرايات والاعلام وعلى رؤس السادات والفرسان الكرام ونشرت على رأس الملك زهير بن قيس رأية أبيه العقاب وكانت الراية أخذتها عنيترة من بنى عامر لما وقع لبنى عبس ما وقع مع القبائل والاعراب فأوصلها عامر بن الطفيل اليهم فى جملة المال كما وصفنا الذى أنفذه مع كوكب وما كان عليه كما قدمنا ورفعوا حلية الى هودجها بعد ما طيبوا قلبها وأوعدوها بانكسار العدو عن بلدها وتسليم غنائمها اليها وسار الجيش وفى المقدمة عنيترة بنت عنتر وخالها عمرو ذو الكلب وياسر بن ميسرة وليث الميدان الآخرو فى القلب الملك زهير وفى الميسرة الملك الغضنفر وسادات بنى عبس وفى الميمنة أسد بن غصوب والملك الغضنفر يترنم وينشد ويقول

أعد للحوادث رمح طعنا * تهد به الاعداء هدا
وذو حسام قد يقد * البيض والابدان قدا
وعلمت انى من بنى عبس * الكرام أباوجدا
قوما اذا لبسوا الحديد * تراهم اكالنار وقدا
كل امرء يجرى الى * يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت الصارخات * يصحن ياذا العزم شدا
وأتت بحلية كأنها * بدر التمام اذا تبدا
وبدت محاسنها التى * قد جاوزت للحسن حدا
لما رأيت نساءنا * يفحصن بالعزاء شدا
ما ان جزعت ولا هلعت * ولا يرد بكاى زندا
أغنى غناء الذاهبين * أعد للاعداء عدا
ذهب الذين أحبهم * وبقيت مثل السيف فردا
ليس الجمال بمئزر * فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن * ومناقب أورثن مجدا

*(قال

(قال الراوى) المصنف لهذه المقالات وكان الغضنفر وهو ينشد هذه الابيات والخزروف وجرير بين يديه يبكيان بغزير العبرات ويظهران أكثر الحسرات فقال لهما الغضنفر لاى شئ تبكيان لا أبكا الله لكما عينان فقال جرير وذمة العرب يابن الاخ ما بكاءى الا انى تذكرت أيام أبيك عنتر ونحن سائرين قدامه طالبين دمشق وعمك شيبوب فى صحبتنا وأخى عنتر قدامنا وهو ينشد أبيات تتقارب هذه الابيات فوحق عالم الخفيات العالم بما مضى وبما آت فكانى أسمع أبوك وهو ينشد هذا الكلام وهذا الشعر والنظام وكأنك ما خليت من أبوك شئ لا من خلقته وهذا الامر الذى جرى فى خاطرى وأجرى دموعى مما جرى فضجوا الجميع من حولهما بالبكاء والعويل وقد تذكروا ما جرى على بنى عبس من الويل والتنكيل والعذاب الطويل (قال الراوى) لهذا الاخبار ولم يزالوا سائرين الليل والنهار وهم على ما هم عليه من قطع الاودية والقفار والسهول والاوعار الى أن أشرفوا على غوطة دمشق وتلك الديار وكان دخولهم فى النهار ولما رؤا البلد وهى فى وسط البساتين فقال الغضنفر لجرير هذه البساتين تمنعنا عن المجال وتردنا عن الوصول الى هؤلاء الاندال فقال لهم الخزروف اتبعوا أثرى حتى أقطع بكم هذه البساتين والرمال وأرميكم على الاعداء فى أرض ظاليه من الاشجار الطوال فقال له جرير افعل فان هذا الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انه سار وا خلف الخزروف طول الليل فى ذلك المدافاطلعت الشمس الا وقد صاروا من غربى الاعداء (قال الراوى) وطلع الغبار الذى لهم حتى أظلمت منه الاقطار وثارت الافرنج طالبة الغبار والقفار وقد ظنوا ان بعض الملوك الافرنج قد وصل اليهم من بعض جزائر البحار (قال الراوى) فلما وقعت العين على العين وصحت الاخبار ونظرت الافرنج الى قلة جيش العرب وهم فى تلك البيداء مقابلتهم قد تفرق فطمعت فيهم وحملت عليهم حملة الحنق فالتقتها العرب بقلوب جرية من غير فزع ولا قلق وتصادموا بالسيوف والرماح والدرق حتى فاض الدم

من الاجساد وانهرق وأطبقت عليهم الافرنج مثل انطباق البحر اذا اندفق وماجت الجيوش فى بعضها البعض حتى صاروا مثل البحار الزواخر وانعقدت على رؤسهم الزوابع والغبائر *(قال الراوى)* ونادى الغضنفر فى عشائره اجعلوا الطعن والضرب من كل جانب فاصطدمت العرسان والمواكب وخاضت الشجعان فى الكتائب وطارت الرؤس عن المناكب وحيث عنيترة فى ذلك اليوم وأظهرت النجائب وحمل من خلفها ياسر بن ميسرة وليث الميدان والديال بن الغضبان وسبيع اليمن بن مقرى الوحش شجيع الزمان وعمرو ذو الكلب ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان ودثار بن روقة وخفاف بن ندبة فتى الفتيان وكذلك فعل الملك زهير بن قيس فى ذلك اليوم فعل حير الاعيان وصاحت الاقران وصرخت الفرسان وبربرت الشجعان وطلع الغبار الى العنان وتعبت الخيل من كثرة الجولان وحملت على بعضها بعض تلك الطوائف المختلفة والجموع الذى غير مؤتلفة *(قال الراوى)* وكانت بنى عبس قد داخلهم من كثرت الجموع القلق ولم صاهم الموت على رؤسهم وبرق وتقطع الاكباد وتمزقت القلوب من كثرة الجزع وضاق بهم البر المتسع وصاح الصائح فلم يسمع *(قال الراوى)* فهذا ديوان هذا وقد نظر الغضنفر الى كثرة الجيوش وازدحام الكتائب والعشائر فصار يضرب ضربا لا ترده الدروع ولا المغافر ولا تقيه الزرديات والعدد ولا يخاف الموت اذا أورد ويطعن طعن شجاع قادر يخرق به الزرد فترتهم كلهم مطرحين على الارض مثل الحصد وصارت الرجال بين يديه مثل الغنم وعمل فى ذلك اليوم عجائب الالباب والاذهان مع فرسان الحجاز لشجعان *(قال الراوى)* ولولا ان عشائر الافرنج كثيرة والا كانت كسرتهم عشائر العرب وأحلت بهم الدمار والعطب وكان هذا القتال كله والملك الجوفران واقف تحت الاعلام والصلبان كأنه شيطان من شياطين الجان وهو يقول وحق المسيح ان فرسان الحجاز هم ليوث الميدان وابطال الزمان ولا بد أن

أبرز غدا اليهم وآخذ فرسانهم وأقهر شجعانهم والا ما أبلغ منهم مرادا ولا انفع هيبتي في قلوب العباد ﴿قال الراوي﴾ وكان جيش بني عبس ثمانية آلاف وعشائر الملك الجوفران اثنين وستين ألف لانه كان قد فرق عشائره على القلاع والحصون وأيضا سير ثلاثين ألف الى انطاكية فسار وا في أسرع ما يكون وكان قدم عليهم بطريق من بطارقة الافرنج جسيم وسيم كأنه الفيل العظيم وكان الذي تبقى عند الجوفران على حصار دمشق هؤلاء الاثنين وثلاثين ألف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وذلك لعلمه ان ما في البلد من يلقاه ولا له عدو يقصده ولا يطالب ملتقاه وانه هو قاصد الاعداء ويريد أن يحل بهم الرداء وما كان يقول ان عرب الحجاز تقدم عليه ولا تسير بهذه العشائر اليه ﴿قال الراوي﴾ وتحاربوا الطائفتين في تلك البطاح الى أن أقبل عليهم الظلام وهم على ما هم عليه من الحرب والكفاح وانفصلوا الطائفتين وتباعدوا عن بعضهم الفريقين ونزلوا الى الميدان للراحة لابدان الى ان برق الصباح وبان وأشرق نوره الوضاح ولاح على الكثبان فتقدموا عند ذلك الى الميدان يطلبوا الحرب والكفاح راكبين على صهوات الجرد القداح وهم مقلدين بالسيوف ومعتقلين بالرماح ﴿قال الراوي﴾ هذا والصباح في البلد قد علا حتى بلغ الى وسيع الفلا وصار وايدعوا للعرب بالنصر والعلا يطلبون لهم الظفر من رب الارض والسماء فما تكن الا ساعة ودقت في عساكر الافرنج النقارات وعلت بينهم الضجات وقد أخذتهم الفرحات والمسرات وركب الملك الجوفران ونشرت على رأسه الرايات والصلبان وتقدمت بين يديه الفرسان ﴿قال الراوي﴾ ولما اعتدلت الصفوف وترتبت المائة والالوف برز من عشائر الافرنج فارس في الحديد غاطس راكب على جواد أبلق كبير الحدق له بين الخيل لذي وروق متقلد بسيف أبتر نوره يأخذ بالبصر ومعتقل بقنطاريه خطيه ثم انه سار على ذلك الجواد الموصوف حتى انه بقي بين الصفوف وأشار بيده يطالب البراز

ويسأل الانجاز فما استتم كلامه وما أشار به من مرامه الا وقد برز اليه ياسر ابن ميسرة وله همة قوية ومقدرة وهو راكب على جواد أجرد مقلد بسيف مهند ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر ثم انه جال بجواده حتى انه صار مع الافرنج فى الميدان وقاربه حتى صار الحصان محاذى الحصان فعند ذلك وقف ياسر وأنشد يقول هذه الابيات

أسل السيوف واخوض الصفوف ❊ وقرب الحتوف وضرب القال
وسارت الجماجة فى الخافقين ❊ تريك المنايا برؤس الاسل
الذ وأشهى من الدانيات ❊ وشرب المدام فى يوم ظل

❊(قال الاصمعى)❊ ثم ان ياسر حمل على الافرنجى حملة جبار لا تبقى ولا تذر وكذلك الافرنجى التقاه بقلب أقوى من تيار الجراد ازخر وتطاعنا بالرمح حتى تكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وأخذا فى الحرب الشديد والقتال العنيد وابعد فى الكر والفر والهزل والجد والاخذ والرد والبعد والقرب والملاصقة والموافقة والمطابقة حتى ذل من الافرنجى الخيل وضعف عن خصمه وحل به الويل فعند ذلك أطبق عليه ياسر وضربه بالسيف على عاتقه أطاعه يلمع من علائقه وقد انهد أساسه وخمدت أنفاسه ❊(قال الراوى)❊ فعند ذلك برز اليه اخو المقتول فما أمهله ولا تركه يجول حتى انه طعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم انه وقف بالميدان ونادى يا معاشر الافرنج من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فانى خفى أنا أعرفه بنفسى أنا ياسر بن ميسرة لمتى القسور صاحب الهمة والمقدرة فأبرزوا الى فرسانكم المذكورة وشجعانكم المشهورة ❊(قال الراوى)❊ فلما سمعوا منه ذلك الكلام فلم يمهلوا دون أن برز اليه فارس وهو لابس درع حديد وهو كأنه مشيد فما أمهله ياسر يجول حتى تركه على الارض مجدول وقد ضربه هامة أرخى رأسه قدامه ثم انه طلب البراز وسأل الانجاز فبرز اليه رابع فقتله وخامس فقتله وسادس فأهواه والسابع فأرداه والثامن عجل فناه وألحقه برفقاه وتركهم مطرحين فى الفلاه

ولم يزل يخرج اليه فارس بعد فارس وهو يقرب دماره ويجدل بواره حتى قتل من الافرنج ثلاثين فارس وهم فرسان عوابس والى أن قرب المساء وأعتمت الدنيا وتغندس الظلام ورجعت الطائفتين الى الخيام هذا والملك الجوفران قد حار وحقه الانهزام مما شاهده من فرسان العرب وكان كلما هم أن يبرز اليهم رغم يمنعوه أرباب دولته وخواص مملكته وأما بنى عبس فانهم فرحوا بهذا الفرح الاكبر وشكروه وأثنى عليه الملك الغضنفر وكذلك عنيترة بنت عنتر وقام الغضنفر وتولى الحرس بنفسه وقد أراد بذلك أن يفدى أبناء جنسه وقد أشعلوا النيران وتحارسوا الفريقان (قال الراوى) لهذا الديوان واما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا الفرسان الخيول واعتقلوا بالدبول وتقلدوا بالنصول وبعد ذلك اصطفت واشتهرت السيوف وتعدلت الالوف وتقابلت المواكب وترتبت الكتائب وصهلت الجنائب وهمت الطوائف أن تحمل بعضها على بعض وقد ارتجت من ركض خيلهم جنبات تلك الارض واذا بفارس قد برز من فرسان الافرنج وهو كأنه قطعة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو بالحديد مسربل يجال فى الميدان ويلعب بالرمح على ظهر الحصان ساعة ومسلك العنان وأشار الى ناحية بنى عبس بطرف السنان وكانت اشارته انه يطلب البراز ويسأل الانجاز فهم يامر بن مسعدة أن يبرز اليه فسبقه ليث الميدان بن مازن وحمل عليه وسار فى وسط الميدان وساوى الافرنجى فى موقف الطعان وكان عليه درع داودى رومى فوقه زردية فضية وعلى رأسه طاسة بيضاء عادية ترد مضارب السيوف الهندية متقلد بصمصامة كسرية بشراب الموت مسقية وهو كما قال فيه وهب بن عطية هذه الابيات حيث يقول

غداة الروع حتى كأنه ❊ من الله فى قبض النفوس رسول
ان الرسول لسيف يستضى به ❊ مهند من سيوف الله مسلول
كان على أفرنجه موج لجة ❊ يقاصر فى محصاحه ويطول

اذا ما انقضى للموت فى جنبانه * فلا بد من رؤس هناك تميل

(قال الراوى) وهو معتقل برمح مفرق عمم الجلامد على رأسه سنان ممدد وكان راكب على جواد من الخيل الكياد قوى الاعصاب وقوائمه طوال وفى المجال صبور وعلى ملاقات الابطال فى ميدان النجال وهو على صهوته كانه الاسد الرئبال وحمل على الافرنجى حملة الغضب على ان يسقيه كأس العطب وهو ينشد ويقول

أعازل كفى ملامك انني * مشوق الى نارها الحرب تشعل
وشرب دما الابطال فى رهج الوغا * ألذ من الصهباء والكاس ينقل
وصوت طبين المشر فى على الطلا * ألذ وأشهى من حبيب يعلل

(قال الراوى) فما استتم ليث الميدان كلامه وشعره ونظامه حتى تقرب منه الافرنجى وما ارقدامه بقدا نقض عليه أنقضاض القضاء والقدر وضربه بالقنطارية أسرع من لمح البصر ونظر ليث الميدان الى القنطارية وهى واصلة اليه فعلم انه ان توانى عن نفسه قضت عليه فمال عنها أسرع من البرق اذا اقتناها ولحقها بالحسام طيرا علاها وعطف على الافرنجى وضربه بالسيف على رأسه شق البيضة والرفادة والبطانة ونزل السيف الى حد رأسه فمال عن الجواد يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه وبعد ذلك صال وجال وطلب البراز والقتال *(قال الراوى)* فبرز اليه فارس من خواص الجوفران وساق حتى ساواه فى حومة الميدان وقيل انه كان من الفرسان المذكورة والابطال الذى فى الحرب مشهورة وكان قد لاقى وقعات كثيرة وله مواقف هائلات خطيرة فحمل على ليث الميدان وأخذا فى الضراب والطعان وتصادما بالابدان وتقاتلا بالسيف والسنان

(قال الراوى) وانهم لم يزالوا فى حرب وكفاح حتى تكسرت فى أيديهما الرماح وتثلمت من الضرب على الدروق الصفاح وانهما لم يزالا على ذلك الرواح الى نصف النهار وكل الافرنجى ومل ولحقه الانبهار فرأى من ليث الميدان التقصير وعرف ذلك منه معرفة خبير فتمطأ فى كعوب الرمح وطعنه

غيرهم من الانام وصب الخمر فى المكؤس كأنه الحبيب بحاكى وجنات الحبيب وتجاذبت الملاهى من سائر الجنبات ودارت أقداح الشراب والكاسات حتى خامرت الخمرة العقول وجد سرور ليس له محصول الا عنتر فانه كان فى ذلك الحال وهو ما ينظر ذلك النعيم الا خيال لانه جسمه حاضر وقلبه غائب فى الديار والاطلال وشوقه الى عبلة قد طال هذا والملوك تباسطه وتمازحه وتحسن وداده ولم يزالوا فى بسط وانشراح ودوران كاسات الراح مدة عشرة أيام على التمام والملك ميخاييل يزيدهم فى الاكرام فعند ذلك قامت الملوك على الاقدام وشكروا الملك ميخاييل على هذا الاكرام وقام من بينهم صاحب تونس الملك المطروس وقال أشتهى أن تشرفوا أرضى بوطئ أقدامكم وأن تعبروا خاطرى وتاكلون ضيافتى فسار وا معه الى تونس واقاموا عنده عشرة أيام وهم فى أعظم ما يكون من الاحترام والاكرام وصاحب تونس أفرح الخلق بالامير عنتر وبمن معه من الملوك ﴿قال الراوى﴾ ولما كان فى اليوم الحادى عشر قام ملك القيروان على الاقدام ووقف قدام الملوك وترجم وتكلم وجعل عليه حمل فى كل عام بعد أن يمضون الى ديارهم ويأكلون ضيافته ويعبرون بخاطره كما فعلوا مع اخوته ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت الملوك هذا الكلام قاموا الكل على الاقدام وأجابوه الى ما أراد فأقبل هرقل بن الملك قيصر على أبو الفوارس عنتر وقال له يا فارس عدنان قد بعدت عليك الاوطان وان كنت أنت قد سهلت ولكن فأنا الآخر رائد الاشجان ومنطلق فى قلبى أشقفة النيران وقد زادنى الغرام لاجل الملكة مريمان والى رؤية ديارها والاوطان ولكن يا أبو الفوارس لو أعطيناك كل ما نملك من مال وتوال ما جازيناك على بعض ما فعلته معنا من الفعال وكل طاعة هذه الملوك لنا من جملة سعادتك الاقبال وان من تمام جميلك والاحسان دعنا نمضى مع هذا الملك الى مدينة القيروان ونرجع بعد ذلك نسير الى ديارنا والاوطان فقال عنتر مهما تقرر له يا ملك كان قال) ولما فرغوا مما كانوا فيه من ذلك الامر والشان

وركبوا وساروا في صحبة الملك كردوس صاحب القيروان ولما تكامل
سيرهم سبعة أيام وصلوا الى القيروان ودخلوا المدينة وأجلسهم الملك بقصر
دار المملكة وأقاموا عنده أياما وهم في أعظم ما يكون من الاكرام ولو
شرحنا ذلك لطال الكلام وبعد ذلك قام هرمس ملك اسكندرية والحاكم
على الديار المصرية وقال لهم يا معاشر الملوك وسائر الاكابر والاصاغر
ومن بقي الا اخاكم هرمس يريد من احسانكم وانعامكم تشرفون بلاده
بوطئ أقدامكم لعل أحضى بخدمتكم ويكون ذلك من تفضلاتكم
ونعمتكم وأفرج فارس عبس وعدنان على مدينة سكندريه وما حولها
من البلدان فأجابوه الجميع الى ذلك ثم انهم جهزوا المراكب وزينوهم
بالبيارق والصناجق والبنود هذا وعنتر قد كره الحياة وبغض دنياه حيث
أبعد هذا البعد عن محبوبته عبلة وصار في قلبه من ذلك دبلة هذا هرقل
وكوبرت وسائر الملك يشكروه ويثنوا عليه وشيبوب والخزروف واقفين
بين يديه وقد نزلوا بتلك المراكب ولم يتأخر من أجناد الملوك لا قسيس
ولا راهب ولم يزالوا سائرين بهم الريسة حتى أشرفوا على مدينة سكندرية
هذا وقد علم بهم نائب المدينة فخرج الى لقائهم وخرجت البنات من خباها
وماجت المدينة بأسرها وكان لقدومهم يوم مشهود وزينت البلد بالاعلام
والبنود ونعرت البوقات ودقت الكوسات وخفقت على رؤسهم
الصناجق والرايات وقد طلعت الملوك من المراكب وهم كنائب ومواكب
يقدمهم أبو الفوارس عنتر وعن يمينه هرقل بن الملك قيصر بوجه مثل دائرة
القمر وصارت أهل اسكندرية وتلك البلاد يتعجبون من هيبة عنتر وغلظه
وطول قامته وانزعاج عينيه وهول منظره وكبر هامته هذا وقد مسك
صاحب اسكندرية يد أبو الفوارس عنتر وجعل يده الاخرى في يد ابن الملك
قيصر ثم تقدم الملك هرمس بين أبطاله ورجاله وعنتر عن يمينه وهرقل عن
شماله وعبد المسيح أمامه وبقية الملوك ماشيين وراءه وقدامهم وهم يشقون
الاسواق والحارات وأهل البلد قد علت منهم الزعقات وصدروا

غيرهم من الانام وصب الخمر فى الكؤس كأنه الليب يحاكى وجنات
حبيب وتجاذبت الملاهى من سائر الجنبات ودارت أقداح الشراب
الكاسات حتى خامرت الخمرة العقول وجد سرور ليس له محصول الا عنتر
فانه كان فى ذلك الحال وهو ما ينظر ذلك النعيم الاخيال لانه جسمه حاضر
وقلبه غائب فى الديار والاطلال وشوقه الى عبلة قد طال هذا والملوك
تباسطه وتمازحه وتحسن وداده ولم يزالوا فى بسط وانشراح ودوران
كاسات الراح مدة عشرة أيام على التمام والملك ميخاييل يزيدلهم فى الاكرام
فعند ذلك قامت الملوك على الاقدام وشكرون الملك ميخاييل على هذا الاكرام
وقام من بينهم صاحب تونس الملك المطروس وقال أشتهى أن تشرفون
أرضى بوطئ أقدامكم وأن تجبروا خاطرى وتاكلون ضيافتى فسار وا معه
الى تونس واقاموا عنده عشرة أيام وهم فى أعظم ما يكون من الانعام
والاكرام وصاحب تونس أفرح الخلق بالامير عنتر وعن محبته من الملوك
(قال الراوى) ولما كان فى اليوم الحادى عشر قام ملك القيروان على
الاقدام ووقف قدام الملوك وترجم وتكلم وجعل عليه حمل فى كل عام بعد
أن يعصون الى ديارهم ويأكلون غير فكره ويحترمون بخاطره كما فعلوا مع اخوته
(قال الراوى) فلما سمعت الملوك هذا الكلام قاموا الكل على
الاقدام وأجابوه الى ما أراد فأقبل هرمل بن الملك قيصر على أبو الفوارس
عنتر وقال له يا فارس عدنان قد بعدت عليك الاوطان وان كنت أنت
تحب عبلة وأنا أحب فاتنا الآخر رائد لاشجان ومنطلق فؤادى أشتعلة النيران
وقد زاد بى الغرام لاجل الملكة مريمان والى رؤية ديارهما والاوطان ولكن
يا أبو الفوارس لو أعطيناك كل ما نملك من مال ونوال ما جازيناك على بعض
ما فعلته معنا من الافعال وكل طاعة هذه الملوك لنا من جملة سعادتك
الاقبال وان من تمام جميلك والاحسان دعنا نمضى مع هذا الملك الى
مدينة القيروان ونرجع بعد ذلك نسير الى ديارنا والاوطان فقال عنتر هو ما
تقوله يا ملك كان (قال) ولما فرغوا مما كانوا فيه من ذلك الامر والشان

وكبراء سار وفي صحبة الملك كردوس صاحب العيون ولما تكامل
سيرهم سبعة أيام وصلوا الى القيروان ودخلوا المدينة وأجلسهم الملك بقصر
دار المملكة وأقاموا عنده أياما وهم في أعظم ما يكون من الاكرام ولو
شرحنا ذلك لطال الكلام وبعد ذلك قام هرمس ملك اسكندرية والحاكم
على الديار المصرية وقال لهم يا معاشر الملوك وسائر الاكابر والاصاغر
ما بقي الا أحاكم هرمس يريد من احسانكم وانعامكم تشرفون بلاده
بوطئ أقدامكم لعل أحضى بخدمتكم ويكون ذلك من تفضلاتكم
ونعمتكم فأخرج فارس عبس وعدنان على مدينة سكندريه وما حولها
من البلدان فجابوه الجميع الى ذلك ثم انهم جهزوا المراكب وزينوهم
بالبيارق والصناجق والبنود هذا وعنتر قد كره الحياة وبغض دنياه حيث
أبعد هذا البعد عن صبوبته عبلة وصار في قلبه من ذلك دبلة هذا وهرقل
وكوبرت وسائر الملوك يشكروه ويثنوا عليه وشيوب والخزروف واقفين
بين يديه وقد نزلوا بتلك المراكب ولم يتأخر من أجناد الملوك لا قسيس
ولا راهب ولا بزالوا سائرين بهم الريسة حتى أشرفوا على مدينة سكندرية
هذا وقد علم بهم نائب المدينة فخرج الى لقائهم وخرجت البنات من خباها
وماجت المدينة بأسرها وكان لقدومهم يوم مشهود وزينت البلد بالاعلام
والبنود ونعرت البوقات ودقت الكوسات وخفقت على رؤسهم
الصناجق والرايات وقد طلعت الملوك من المراكب وهم كتائب وموا كب
يقدمهم أبو الفوارس عنتر وعن يمينه هرقل بن الملك قيصر بوجه مثل دائرة
القمر وصارت أهل اسكندرية وتلك البلاد يتعجبون من هيبة عنتر وغلظه
وطول قامته وانزعاج عينيه وهول منظره وكبر هامته هذا وقد مسك
صاحب اسكندرية يد أبو الفوارس عنتر وجعل يده الاخرى في يد ابن الملك
قيصر ثم تقدم الملك هرمس بين أبطاله ورجاله وعنتر عن يمينه وهرقل عن
شماله وعبد المسيح أمامه وبقية الملوك ماشيين وراءه وقدامه وهم يشقون
الاسواق والحارات وأهل البلد قد علت منهم الزعقات واكثرون

من الصياح والضجات والناس قد صاروا من أعالى الاسوار والاسطحة والحيطان يتفرجون على جميع عبس وعدنان وفارس العصر والزمان هذا وعنتر يدور بعينه فى مدينة اسكندرية فرآها كأنها نجمة الضحية بحيطان وقصور وابراج ولم يزل الملك هرمس حتى وصل الى قصر الملك فرؤوه قصر عظيم ما مثله فى سائر الاقاليم وهو يشرف على البحر والجزيرة ولما رؤوه حقهم من رؤيته الانبهار والحيرة لانهم نظروا الى قصر من عرعر مصفحة بالذهب الاحمر مطعمة بسائر المعادن من الزمرد والياقوت وقضبان المرجان وفصوص الجوهر ونظروا فيه الى أربع قاعات عظيمة مرخمة كل قاعة ستة عشر أبواب متقابلة ببعضها وقناطرها معقودة مقسومة وبين الكل وفى وشاذروانات يخدر منها الماء كأنها الغدران وبدائرهم ساحات من رخام مطعم من سائر الالوان شئ قائم وشئ نائم وقد أوصلوه الى نصف البنيان وألوانه مختلفة شئ أخضر مثل زمرد وشئ أحمر كالدم وشئ أسود سجى وشئ أبيض دلجى ما مثله فى سائر الاوطان ودائر على تلك البركة عشر مناطق طيور مسموعة والقلب الى سماعها يرتاح وهى زاعقة مثانية بأعظم الصياح قال ولما رأى عنتر الى ذلك تعجب ومن منادمة الطير أخذه الفرح والطرب هذا والملك هرمس قد أجلسهم على تلك الاسرة العاليات والمقاعد المرتفعات بعدما خلع عليهم الخلع الغاليات من القماش الاسكندرى والشقق المذهبات وقد أجلس عنتر بالقرب وكوبرت فى صدر تلك السادات والملوك عن أيمانهم وشمائلهم فى تلك الحضرات ثم أمر بمد السماطات فوضعت بين يدى تلك الملوك والسادات وعليها ما يكون من أفخر الطعامات وهو من سائر الطيور المأكولات من الدجاج المفن والاوز الملاح العظيمات ومن سائر لحوم الوحوش البريات والغزلان فأكلت الناس من تلك الاطعمة المختلفات هذا وعنتر لما نظر الى تلك الاطعمة الشهيات جعل يأكل لقم كبارها ثلاث وقد طاب له ذلك الطعام لانه ما أكل مثله الا عند كسرى وقيصر ملك الاروام ولم يزالوا

الناس على ذلك الحال حتى اكتفوا واشتغال الطعام وبعد ذلك أتوا بآنية
الدام في السلاحيات العظام وصارت الكاسات عليهم دائرات وغنت
المطربات ورقصت الجنكيات من عظم الفرح والمسرات ولم يزالوا على
ذلك الحالات أربعة وعشرين يوم متواليات وهم في كرامات زائدات قال
ثم بعد ذلك طلبوا الاذن في الرواح والعودة الى البلاد بعد أن رتب عليهم
الامير عنتر الخراج والعداد وذلك برضاه كما اشتهى وأراد فعند ذلك قدم الملك
هرمس لعنتر مائة رأس من الخيول الجنائب ما تقدر ترفع رؤوسها عليها
من الآلات والمراكب والدروع والقباب والقنطاريات والقواضب
وعشرين من البغال الفوال على كل بغل صندوقين مال والبعض منها قماش
مصري تحف سكندري غوال وقال هذه هدية مني لابوالفوارس عنتر
وأما حمل الخراج يكون للملك قيصر خلف هرقل أنه لا يأخذ منه مال ذلك
العام لا يكون كله لعنتر على التمام فقال الملك هرمس سمعا وطاعة ولكن
لابد أن تأخذ للملك الكبير شيء يسره الفؤاد وهكذا يكون خارجا من الخراج
والعداد الذي رسم به الامير عنتر بن شداد هذا وسائر الملوك بهدوا الى عنتر
كما انهم بهدوا الى هرقل بن الملك قيصر ومنهم من أهدى له شيء كثير وبعد
ذلك أقبل هرمس ملك سكندرية وقال لعنتر يا فارس العرب الفصيحة
والدنية ما تقيم عندنا في هذه الديار المصرية وأنا أرسل رجال يأتون بزوجتك
وسائر بني عمك وتسكن في بلدنا وان أردت زوجتك أخت المقوقس ابنتي
وأقيم لك في مملكتي واسلمك جميع نعمتي فقال له عنتر أيها الملك دامت
نعمتك ويسلم لك المقوقس وبنتك وانما ما تعودنا نقعد على سكن بلدان
ولا نأوي جدران ولا حيطان لا نسكن الا في البراري والقيعان ونعيش
أنت وتبقى يا ملك الزمان قال فبينما هم في ذلك الكلام واذا برسول قد دخل
عليهم قبل الارض وأبدا بالسلام وقال له أيها الملك المفضال اعتد للحرب
القتال واجمع ما عندك من العشائر والرجال فقال ويلك أخبرنا من قد طلبنا
من الملوك الثقال وعندنا فارس عبس الاسد الريال الذي ما تقدر تقابل

من الديباج والفضيات والناس قد صاروا من أعالى الاصوار والاسطحة والبطان يتفرجون على شجيع عبس وعدنان وفارس العصر والزمان هذا وعنتر يدور بعينه فى مدينة اسكندرية فرآها كأنها النجمة المضية بحيطان وقصور وابراج ولم يزل الملك هرمس حتى وصل الى قصر المملكة فرؤيه قصر عظيم ما مثله فى سائر الاقاليم وهو يشرف على البحر والجزيرة ولما رؤوه عقلهم من رؤيته الانبهار والحيرة لانهم نظروا الى قصر من عرعر مصفحة بالذهب الاحمر مطعمة بسائر المعادن من الزمرد والياقوت وقضبان المرجان ونصوص الجوهر ونظر وا فيه الى أربع قاعات عظيمة مرخمة كل قاعة ستة عشر بوابة بلقة ببعضها وقناطرها معقودة مقسومة وبين الكل فواقى وشاذروانات يخدر منها الماء كأنها الغدران وبدائرهم ساطات من خام مطعم من سائر الالوان شئ قائم وشئ نائم وقد أوصلوه الى نصف البنيان وألوانه مختلفة شئ أخضر منى وشئ أحمر عندمى وشئ أسود سبجى وشئ أبيض دلجى ما مثله فى سائر الاوديان ودائر على تلك البركة عشر مناطق طيور مسموعة والقلب الى سماعها يرتاح وهى زاعقة متجاوبة بأعظم الصياح قال ولما رأى عنتر الى ذلك تعجب ومن منادمة الطيور أخذه الفرح والطرب هذا والملك هرمس قد أجلسهم على تلك الاسرة العاليات والقاعد المرتفعات بعدما خلع عليهم الخلع الغاليات من القماش الاسكندرى والشقق المذهبات وقد أجلس عنتر وهرقل وكوبرت فى صدر تلك السادات والملوك عن أيمانهم وشمائلهم فى تلك الحضرات ثم أمر بمد السماطات فوضعت بين يدين تلك الملوك والسادات وعليها ما يكون من أفخر الطعامات وهى من سائر الطيور المأكولات من الدجاج المسمن والاوز الملاح العظيمات ومن سائر لحوم الوحوش البريات والغزلان فأكلت الناس من تلك الاطعمة المختلفات هذا وعنتر لما نظر الى تلك الاطعمة الشهيات جعل يأكل لقم كبار مثل الاترج وقد طاب له ذلك لسماعه بما أكل مثله الا عند كسرى وقيصر ملك الاروام وأرزاط

الناس على ذلك الحال حتى اكتفوا واشتمال الطعام وبعد ذلك أتوا بآنية
المدام في السلاحيات العظام وصارت الكاسات عليهم دائرات وغنت
المطربات ورقصت الجنكيات من عظم الفرح والمسرات ولم يزالوا على
تلك الحالات أربعة وعشرين يوم متواليات وهم في كرامات زائدات قال
ثم بعد ذلك طلبوا الاذن في الرواح والعودة الى البلاد بعد أن رتب عليهم
الامير عنتر الخراج والعداد وذلك برضاه كما اشتهى وأراد فعند ذلك قدم الملك
هرمس لعنتر مائة رأس من الخيول الجنائب ما تقدر ترفع رؤوسها مما عليها
من الآلات والمراكب والدروع والقباب والقنطاريات والقواضب
وعشرين من البغال الغوال على كل بغل صندوقين مال والبعض منها قماش
مصري وتحف سكندري غوال وقال هذه هدية مني لابنوالفوارس عنتر
وأما حمل الخراج يكون للملك قيصر خلف هرقل أنه لا يأخذ منه مال ذلك
العام الا يكون كله لعنتر على التمام فقال الملك هرمس سمعا وطاعة ولكن
لابد أن تأخذ للملك الكبير شيء يسر به الفؤاد وهكذا يكون خارجا من الخراج
والعداد الذي وسم به الامير عنتر بن شداد هذا وسائر الملوك بهدوا الى عنتر
كما أنهم بهدوا الى هرقل بن الملك قيصر ومنهم من أهدى له شيء كثير وبعد
ذلك أقبل هرمس ملك سكندرية وقال لعنتر يا فارس العرب القصية
والدنية ما تقيم عندنا في هذه الديار المصرية وأنا أرسل رجال يأتون بزوجتك
وسائر بني عمك وتسكن في بلدنا وان أردت زوجتك أخت المقوقس ابنتي
وأقاسمك في مملكتي واسمك جميع نعمتي فقال له عنتر أيها الملك دامت
نعمتك ويسلم لك المقوقس وابنتك وانا ما تعودنا نحن على سكن بلدان
ولا نأوي جدران ولا حيطان ولا نسكن الا في البراري والقيعان وتعيش
أنت وتبقى يا ملك الزمان قال فبينما هم في ذلك الكلام واذا برسول قد دخل
عليهم وقبل الارض وأبدا بالسلام وقال له أيها الملك المفضال اعتد للحرب
والقتال واجمع ما عندك من العشائر والرجال فقال ويلك أخبرنا من قد طلبنا
من الملوك الثقال وعندنا فارس عبس الاسد الرئبال الذي ما تقدر تقابل

الميدان ونادى به وقال له ويلك ياقرنان يا ابن ألف قرنان يا كثير الفشل والهزيان دونك والحرب والطعان ثم مد اليه لسان السنان وصال وجال وترنم وانشد وقال هذه الابيات

ألم تعلموا انى همام عشيرتى ﴿ شديد القوى والحرب غاية مقصد
فان ماجد فى بنى عبس محدث ﴿ فمجدى فيها باسق غير مفقد
وأنا علوة على الفخر فى مجالنا ﴿ نحامى عن الاخوان والقوم تشهد
وانى لقتال الرجال برمح وصارم ﴿ لا يقاومه فى الحرب ألف مهند
ولست من الحرب العوال بنازع ﴿ ولم أك رعديدا ولا رعش اليد

﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام فلما سمع الجوفران شعر الغضنفر شمخر ونخر وتجبر وأخذته الحمية ونخوة الجاهلية والعزمة القوية وقد هاج كأنه الاسد القسور ونطق بالشعر لسانه وما قصر لانه تربية بنى الاصفر وأجابه على شعره يقول

أنا البطل الندب الذى شاع ذكره ﴿ ببذل المعالى واكتساب الرغائب
فعالى مبذول لكل مؤمل ﴿ وسعيى فى هام العدا والترائب
يعلق هام العالمين ذبابه ﴿ وما كنت رعديدا عند التقالب
ففى السلم سلام وفى الحرب قاهر ﴿ وللجود مبذال وفى الحرب غالب
أنا الجوفران الندب سيد قومه ﴿ أبيد الاعادى بالسيوف القواضب

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الجوفران من شعره ونظامه سل فى يده حسامه وأبدى ما عنده من وجده وغرامه وحمل على الملك الغضنفر حملة ليث قسور فالتقاه الملك الغضنفر بوجه بشوش قد أزهر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر وتحاربا وتضاعنا بالرمحين وتماشقا فى أيديهما السيفين حتى تحيرت من فعالهما الطائفتين وقد قلقت من تحتهما الجوادين ﴿قال الراوى﴾ ودام بينهما القتال واستطالا فى الحرب والنزال وعظمت الاهوال وتضاربا بالنصال وتكسرت فى أيديهما الرماح الطوال وبليا بالاهوال الثقال واصطدما بالابدان كأنهما الجبال وطلع عليهم الغبار الى الاعنان

تغيرت منهما الوجوه وخاب ما كانوا يؤملوه ويرجوه ونشفت ألسنتهما من العطش وحار كل منهما واندهش ولم يزالا على ذلك الحال وهما في حرب وقتال الى أن ذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال ورجعت الطائفتين الى الخيام لاجل الراحة والمنام وقد اتقوا بنى عبس بالغضنفر وسألوه عن خصمه وما كان بينهما من ذلك الامر المنكر فقال لهم وذمة العرب العربه ما رأيت مثله في الحرب أقوى همه وقد تعبت في هذا اليوم من قتاله وحربه ونزاله ولكن غداة غد يكون نهاية حربه وانفصاله ويكون النصر لواحد منا آمالى وآماله *(قال الراوى)* هذا ما كان من الغضنفر واما ما كان من الجوفران فان أصحابه التقوه وأرباب دولته وسألوه عن خصمه وما رأى شجاعته فقال لهم وحق المسيح ما هو الا فارس مليح وهو جسور القلب في طعنه وضرابه ولكن لولا المساء أدركنى ما كنت عدت الابه ثم انهم أحضروا اليه الطعام فأكل وبعد ذلك اتكاء لاجل الراحة والمنام بعدما أوصى أصحابه بالحرس وناموا *(قال الراوى)* ولما كان من الغد عند الصباح ركبت الطوائف تطلب الحرب وتكفاح وركب في مقدمتهم الملك الجوفران وسار قدام الدساكر الى حومة الميدان فرأى الغضنفر قد ركب وسبقه الى الميدان الى مكان الضرب والطعان فعند ذلك نزر اليه الجوفران وناداه دونك والمبارزة فانى ما أبقيت عليك بالامس الا حتى تنظر شجاعتى وتخبر لى عندك من الفرسان عند مفارقتى فيشهدوا انى أوحد الزمان في فروسيتى فزعق فيه الغضنفر بصوت مدعر وقال له تقصر يدك عن هذا يا كلب بنى الاصفر ثم انه أشار اليه يقول هذه الابيات

أنا الفارس القمقام يوم الكتائب * أخا المجد والعلياء كريم المناسب
اكر وأحمى الجار ولا ارى * لنفسى روعا عند وقع القواضب
ولا عجبا فيما أقول لاننى * أبيد كماة الحرب عند التضارب
فيحجبنى لقاء ليث يصول مبادرا * بعزم صداق للحروب غير كاذب

*(قال الراوى) * فلما سمع الملك الجوفران منه ذلك الكلام والنظام فانطبق عليه كانطباق الغمام وأجابه على شعره يقول

لست بالحايد الحميد عن الحرب * ولا أنا بالجبان عند الضراب
واذا كانت النفوس جميعا * لم تكلنى الفرسان عند الطلاب
وأنا الفارس المقدم فى الحرب * وكريم من سادات انجاب
ليس لى فى الحروب كفوا وانى * لشجاع لا أثنى عند حراب

*(قال الروى) * ثم انهم بعد ذلك حملوا الفارسين على بعضهما بعض وانسدل حينئذ تلك الارض واخذوا فى معانقات الطعن والضرب حتى عقد عليهما الضباب وبقيا عن أعين الناظرين فى حجاب وحارت مما وقع بينهما أولى الالباب وحكمت فيهما السيوف الرقاق وجرى لهما ما أبهر الاخلاق وحير الاحداق الا ان الغضنفر طعن الجوفران طعنة هائلة قاتلة وكانت الى صدره واصلة وقال له خذها من فارس عبس وعدنان فوقعت فى كتف الملك الجوفران فانبثل دمه وارتعد منها وصار فى رجفان ولكن قوى عزمه وهدى روعه وصبر عليه وطاول خصمه الى أن أقبل الليل وعاد كل منهما عن صاحبه وهو يتأسف على خصمه ويتحسر وعاد الملك الجوفران وهو مرتبك مما قد اعتراه فالتفت أرباب دولته وصاروا ينشفوا له دمائه وكانت الجراح قد أوهنته وعن المنام منعته فوضعوا له الرهبان عليها حشائش يعرفونها وشدوها شدا وثيقا وقد زادت به الاشجان وبات وهو يتقلق كأنه الجمر الحردان ولم ينم تلك الليلة مما ناله من الهيمان *(قال الراوى) * ومازال على ذلك الشان الى أن أصبح الله بالصباح وما صدق بالصباح أن يصبح حتى ركب وخرج الى الميدان ونادى وطلب البراز وسأل الانجاز فاذا بالغضنفر صاحبه من الخندق قد خرج اليه مثل البرق اذا برق أو الغيث اذا اندفق أو السهم اذا انطلق ثم انهما حملا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرضا حتى تداكت من تحت أرجل خيولهما الارض وسالا الدم ولزما الحرب الضروس الى أن أخذتهما الهيمنة والميسرة وسارت الخيل تجرى بهما نارة

خببا وتررة فهقرة وتخصصت لهم أعين الفريقين لان جرى بينهما حرب تحيرت منه الطائفتين وأذهلت الفرسان مما جرى لهؤلاء البطلين من شدة ماصار بينهما من القتال وما لقيوا فى ذلك اليوم من الاهوال وقد صرخا صرختين تفطرت منهما القلوب وكادت الاكباد منهما أن تذوب وجرى بينهما حرب شديد يحير منه البطل الصنديد ويشيب له الطفل الوليد ولم يزالا على ذلك وهما فى حرب أكيد وقتال عنيد وهما على ماهم عليه من ذلك الحال الى أن أقبل الليل بالانسدال وعزم النهار على الارتحال وعادا عن بعضهما بسلامة ولم يبلغ أحدهما من صاحبه غرضه ومرامه ورجع كل واحد الى أصحابه وقد زادت به أوصابه وكل منهما تلقته قومه وأحنادة وقد امتلأ بالحنق فؤاده وقال عمروذ والكلب للغضنفر كيف رأيت خصمك فى هذا اليوم فقال لعن الله الكذب فانه يزرى بالرجل ولو كان من أكابر القوم ووالله ماهو الا فارس عظيم وبطل جسيم ولقد لاقيت منه فى هذا اليوم ثبات مقيم وهو بذلك الجرح العظيم مثل ما لاقيته منه بالامس وهو سليم وفى غداة غد يكون الانفصال بمشيئة الملك المتعال ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من الغضنفر وما تم له من الاقوال مع قومه وأما ما كان من الملك الجوفران فانه التقوه خواصه وقومه بأحسن استقبال وقالوا له كيف رأيت خصمك فقال لهم وحق المسيح ومزامر داود والحوار المليح ماهو الا فارس شديد وبطل صنديد مليح وهو جيد الحرب والنزال وغدى يكون بينى وبينه الانفصال ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم تناولوا الطعام واخذوا الراحة التى هى صحة الاجسام وباتوا تلك الليلة على ذلك الرواح الى أن اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وترتبت الصفوف وتعدلت الالوف وبرقت فى أيديهم السيوف ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك ركب الملك الجوفران وصار فى عاجل الحال فى وسط الميدان وطلب البراز وسأل الانجاز ونادى وقال هيا يا فرسان الحجاز ابرزوا لى فارسكم المغوار وبطلكم الذى هو عندكم رأس الطراز

فباتم الجوفران كلامه الا والغضنفر حمل عليه وصار قدامه وكان قد خرج على مهل من غير انزعاج ولا عجل والجوفران يظن ان ذلك من الخوف فعند ذلك قصده الغضنفر وانطبق عليه انطباق الاسد القسور وقام فى رأسه حمية أبو عنترة فأنشأ يقول

سلوا الخيل عنى حين أعلو اسروجها ✽ وأسرى بها نحو الاعادى سرعا
اليس أنا الموت المفجع للعدا ✽ اذا اشتبكت زرق الاسنة طلعا
أبيد كماة الحرب فى حومة الوغى ✽ وأمحقهم فى السلم أفضل موضعا
أقوم بهم لا أعطى الحرب حقها ✽ أجندل منهم كل قرم صميدعا
أديرعليهم كاس حتف من الردا ✽ تمازج سما فى الجوانب ناقعا

✽(قال الراوى)✽ ولما فرغ الغضنفر من شعره وما أبداه من نظمه ونثره حمل على الملك الجوفران وأطلق لجواده العنان وقوم بين أذنيه السنان والتقاه الجوفران بقلب أقوى من الصوان وأوسع معه فى الميدان وأجابه على غرر من شعره بفصاحة لسان وقوة حزم وثبات جنان وأنشد وقال

الا سائلا عبس يوم الوغى ✽ غداة التقينا جميعا معا
تقودهموا فى وسيع الفلا ✽ على كل صافنات أربعا
تعلق بالبيض هاماتهم ✽ وسبق يوم الوغى من سعا

✽(قال الراوى)✽ ولما فرغ الجوفران من شعره والنظام أنطبق على بعضهما بعض وأخذوا فى المجال طولا وعرضا وأخذ الغضنفر من الجوفران الحذر وكالفه بالحسام الذكر وصار بينهما حرب يذكر ماطلعت الشمس والقمر وكان لهم ساعة تقشعر منها الجلود وظن كل واحد منهما انه مايعود وحملا على بعضهما بقوة وزمجرة وتصادما صدمات منكرة ورأت الفرسان منهما فى ذلك الوقت ساعة عسره وجالا جولا طويلا واعتركا غير قليلا ولم يزالا فى كر وفر ومقام ومستقر وأخذ ورد وهزل وجد وقتال ونزال حتى تحطمت من طعناتهما تلك القنطاريات الطوال وتثلمت فى أيديهما من كثرة الضرب السيوف الصقال ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى مجادلة

ومحاربة ومقاتلة حتى قاربت الشمس الزوال وقد تيقن كل واحد منهما
انه لا يرجع الى دياره مما أوقد من الحرب عليهما ناره وخاف الغضنفران
ينقضي عليه النهار ولم يبلغ من خصمه ما يختار فلاصق الغضنفر الملك
الجوفران وطابقه وسد عليه طرائقه وقام في ركابيه وتمطأ في بداديه وأراد أن
يضربه بالسيف يقضي عليه والجوفران قد احترز من ضربته واستبرد رقته
من قوة حنق الغضنفر فقام بركابه وضرب الجوفران فعند ذلك انقطع به
الركاب وقد سقط عن الجواد ووقع على التراب وقد انوهن بعضه في بعض
فانقض عليه الجوفران أسرع من البرق وأعجل من نزول الورق وأخذه
من على وجه الارض بسرعة وهو متوهن من تلك الوقعة وعاد به وهو في صفة
الاموات وقد علت من تلك الافرنج الاصوات ودقت الطبول والكاسات
وصرخت الرجال ونفرت البوقات وحملت فرسان بني عبس على الاثر
وأيضا بنى هوازن وبنى قضاعة برمتهم واخلاص الغضنفر فالتقتهم الافرنج
كأنهم السيل اذا انحدر وعمل بينهم الصارم الذكر ولعبت الخيل بجماجم
الرجال كأنها الاكر وعمل الشجاع أعمال محير البصر وانهزم الجبان
وتقهقر ولم تزل الابصار حائرة حاسرة والسيوف أحكامها في الابدان جائرة
وأفاعي الرماح الى نهش الارواح متبادرة والوحوش الى جثث القتلاء نافرة
وقلوب بني عبس لفقد الغضنفر طائرة ﴿ (قال الراوي) ﴾ هذا وقد عمل
الحسام في الرؤس والاجسام واختلفت رسل الحمام ولمعت نجوم الاسنة
من تحت سحائب القتام وقامت عروس الحرب على الاقدام وانتشرت
عليها جماجم الكرام ومازال السيف يعمل والدم يسيل والرجال تقتل وتزار
الحرب تشعل حتى أقبل الليل وانسدل وانفصلت الطوائف عن الحرب
والعمل وعادت فرسان العرب وهي تخوض في بطون القتلاء وقد حل بهم
من أسر عنيترة والغضنفر البلاء وما أحمى نار الحرب الاعمر ذو الكلب
فانه هو الذي دفع عن قومه في ذلك اليوم البلاء ورجعت عن بعضها بعض
الطوائف وفيهم من هو آمن وخائف وبنو عبس وما فيهم من استطعم

بزاد ولا تهنى برقاد ولا قر له فؤاد ﴿قال الراوى﴾ هذا وعمر وذو الكلب يقول ما بقى فى الامر الا انى فى غداة غد أبرز الى الميدان وأطلب مبارزة الملك الجوفران وأبذل فى قتاله المجهود فاما أن أرجع بنيل المقصود أو أبقى معفر فى الثرى ملحود وافترق الجمعان وباتت الطائفتان وتحارس الفريقان وبات عمر وذو الكلب على هذه النية وقلبه وقلوب بنى عبس على حر النار مشوية ﴿قال الراوى﴾ هذا ما جرى لهؤلاء وما وقع لهم من الاحكام وأما ما كان من الملك الجوفران وما يريد أن يدبر من المرام فانه أقبل الى سرادقه وهو فرحان ومن حوله الابطال والفرسان ودار وابه القسس والرهبان وقد صلوا عليه صلاة الموتى بطيب الالحان وهو مما لاقاه من الحرب سكران ﴿قال الراوى﴾ وبات الحرس يدورون بين الطائفتين الى أن أصبح الله بالصباح واسفر الفجر بنوره الوضاح فعند ذلك ركبت بنى عبس ومن معها من الطوائف واصطفت الصفوف واهتزت الدوابل واشتهرت السيوف وفى ذلك الوقت أقبل على عمر وذو الكلب بن شيبوب الخزروف وقال له يا أمير أنا لا بد لى اذا اشتغلتم فى هذا اليوم بالحرب والصدام أن أختلط بالافرنج واذا عادوا أعود معهم الى الخيام وأتسبب فى خلاص أولادى عنيترة والغضنفر ولو أنى الاقى فى خلاصهم الموت الاحمر ﴿قال الراوى﴾ فقال له عمر ونخاف عليك ان تعرف قتلك ويعدموك قومك وأهلك فقال له الخزروف يا أمير ما يكون من الريب العظيم الا كل خير كثير ثم انه خلع عنه ثيابه ولبس أثواب تصلح لهذه الاشغال لانه كان قد أخلف أبوه وفاق عنه وتكامل فى المكر والاحتيال ثم أنه القاسا قيه للرمح وطلب البرالفسيح وكان قد عصب رأسه بعصابة حرير ولبس فوقها كنبوش أسود كبير وشد وسطه بسير عريض وأخذ فى يده عكاز كبير غليظ ولفق مع تلك العصاة عصاة الطف منها وشد الاثنين شد وثيق وأخذ فى يده الاخرى قطعة خلع وأبريق وعمل على صدره صليب من خشب وتقلد بسبحة ولبس برطله ملابس بطريق وتزيا بزى شماس عتيق وخرج من الجيش كأنه شيطان أو من

بعض عمار الجان وأخذ فى عراض الجيش ودخل من بين البساتين كانه الذيب الاغبر وقطع فى الفلاه ساعة ملية الى أن علم بحاله قد سار خلف جيوش الافرنجية فعند ذلك عرج وأتى من خلفهم حتى انه يتجسس ويدخل الى جيوشهم ﴿قال الراوى﴾ وكان الاتفاق قد ركبت الافرنج للقتال لمسارات بنى عبس وقد اعتدلت للنزال لانهم طمعوا فيهم بعد أسر حماتهم عنيترة وأخوها الغضنفر الاسد الرئبال هذا وقد أرتجت الاقطار وأظلم ضوء النهار وتهتكت الاستار وذهلت من هول ما عاينت الابصار وحار من شدة الحرب نظر النظار وحملت الصفوف على الصفوف وتلاطمت الالف مع الالوف وتقطعت المناكب والكفوف وحكمت فى الاجسام الرماح والسيوف وقاتل فى ذلك اليوم عمر وذو الكلب القتال الموصوف وجعل يكف كف الفرسان عن قومه فى البطاح ويلتقى عنهم بصدره أسنة الرماح وأما أم عنيترة قناصة الرجال فانها حيرت بفعالها الشجعان واذهلت بقتالها نظر العينان ونكست عن السروج الاقران من شدة الطعان وضرب بالسيف اليمان وهى الى جانب أخيها عمر وكانها الاسد الغضبان ولله در سميع اليمين بن مقرى الوحش وما فعل فى ذلك اليوم العظيم الشان وسابق وأخيه لاحق يا ما فعلوا فى حومة الميدان وكذلك الديال بن الغضبان فانه حير بفعاله الفرسان وأقتتلت الجيشان وثبتت الفرسان وفر الجبان وهو منذهل العقل حيران ﴿قال الراوى﴾ ولله در الملك الجوفران وما عمل فى ذلك اليوم بالاقران والشجعان وكان التقى بعمرو ذو الكلب آخر النهار وجرى بينهما حرب يحير النظار ويذهل الابصار وافترقوا عند اقبال الظلام لطلب الراحة والمنام وكذلك افترقوا الجيشان ورجعوا عن القتال الطائفتين وباتوا يتحارسوا الفريقان ﴿قال الراوى﴾ ونزل الملك الجوفران فى سرادقه وقد كاد الغيظ يهلكه فاسى فى ذلك اليوم ان يحلقه وقد أشملت الشموع بين يديه والبطارقة والحجاب دائرة من حواليه وهو يديرفيهم عينيه ويجلس خواصه ومن يعز عليه وينظر الى الاسارى

ومن شجاعة عنتر يثبتون الى أن كان اليوم الخامس فتبادروا الى القتال وابتدروا للحرب والنزال فبينما هم على ذلك الحال واذا بغبار قد أقبل من خلفهم وثار حتى سد منافس الاقطار ساعة من النهار فرمقت الجيشين الى هذه الغبائر المرتفعات واذا بها قد انكشفت عن جيش جرار كانه البحر الزخار والبرق الذي لمع من دق الكؤسات ونعير البوقات وخفقان الرايات وقد ارتفعت على رؤسهم الصلبان واشاراتهم تدل على انهم مائة ألف عنان وهم جيوش مصريه ويقدمهم الملكين ميخائيل صاحب مدينة تونس وهرمس صاحب مدينة سكندريه ﴿ قال الراوي ﴾ وكان السبب في قدوم هذه الجيوش المصريه وذلك ان عنتر لما حلف وشدد في الاقسام لارحل بغير هذه الجيوش وصحبته عبد المسيح الكوبري وهرقل ابن الملك قيصر ومعه هرمس وعشائر سكندريه فارسل بعد ذلك الى ولده المقوقس ملك الديار المصريه يطلب منه جيوش وكذلك بعث ميخائيل الآخر فلم تكن الا أيام قلائل حتى أتى من عند صاحب مصر ستين ألف فارس وراجل ما منهم الا كل ليث مقاتل ويعد ذلك بشئ قليل واذا قد أتت اربعين ألف نصاحب برقا ميخائيل لانهم سمعوا أن عدو صل من عند كندريوس صاحب الهند بعسكر ثقيل وانه قد بعث لسائر بلاده والى الصعيد يستنجد بالعشائر ويستغيثهم على القدوم من قريب وبعيد فقالوا في أنفسهم نحن نساعد عنتر بن شداد على كسر عشائر تلك البلاد أخير لنا من ان ساعد ونطيع ملوك الصعيد وقدوس بلادنا وتفعل فيها ما تريد ويطمعون في برقا وسكندريه ويغرهم الطمع في الديار المصريه فعند ذلك تجهزوا وساروا بهذه العشائر لاجناد حتى وصلوا الى تلك البلاد والكل قد أتوا الى نصرة عنتر بن شداد وتقربوا منهم وترجلوا على وجه الارض وسلموا وتصافقوا بعضهم البعض فقالوا لا عدمناكم ونشر المسيح اعلام نصره عليكم ثم انهم أحكموا امرهم على ما جرى عليهم من قتال السودان وسكنت غضبة خيلهم مما يرموهم بالسهام في الميدان ولولا هذا الامير عنتر لما رأس

الرجال كانوا أهلك واجميع ما معنا من الرجال والابطال وقد أوعدنا في هذا اليوم أنه يقاتل في الافيال ولولا ما معهم من الافيال كنا جندنا أكثرهم على الرجال فقالوا لهم لا تفزعوا من هذا الحال والمطال فقد أتت معنا خيل كثيرة خالية بلا رجال ﴿قال الراوي﴾ لهذا القال هذا وقد نزل على أعدائهم الذل والخبال لما نظروا الى قدوم هذه العشائر والابطال لكن شجعهم ملك الجواه وقال لهم لا تفزعوا من هذا الحال ولا تخافوا ممن قدم عليكم من هذه العشائر والرجال ففي هذا اليوم ترونهم بين أنياب الافيال وينزلوا بهم الذل والوبال لانا في هذا اليوم قد عزمنا نقدمهم بين يدينا للحرب والقتال ونصبر عليهم الى أن يدوسوهم بأرجلهم وبعد ذلك نحمل عليهم بعشائرنا عليهم فلم يفلت منهم انسان ونقتل الابطال والشجعان فلم ينج من معهم من العشائر ولا يبقى على أحد من هؤلاء البيضان ونقتل جاميتهم هذا الذي يسمى عنتر فقالوا له وحق المسيح الذي ولدته أمه من غير ذكر أن المسيح يخاف منه وان لم تفعل ما قلته والا ما يبقى منا من يخبر بخبر ﴿قال الراوي﴾ وفي ذلك الوقت اصطفت الصفوف وترتبت المائين ولانوف وصفت عشائر الهنسا قدامها ما قد مناذكره من تلك الافيال على ظهورها الرجال ترمي بالحراب والخشوت والنبال فلما نظرت عشائره قال ان تلك الحال تغيرت منهم الاحوال وخافوا على أنفسهم من الافيال لا يدوسوهم ويحلوا بهم الوبال ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك ابتدر قدام تلك العشائر الاسد الادرع والليث الصميدع الامير شيبوب وهو كأنه البلاء المصبوب وجرى قدام تلك الجيوش على قدميه ومسك قوسه وكنانته بيديه ووقف الافيال عن بعيد بمقدار رميت سهم وجرى عليه ورمى مقدم الافيال فلم تخطى بالقضاء والقدر حتى دخلت مقل عينيه فعاد الفيل على عقبه راجعا من ساعته وعينه قد غارت وحلت به بليته والافيلة جميعا لما عاد راجعا تبعته ولواجمتهم منهزمين وقد القوا الى الارض الرجال الذي على ظهورهم وكانوا رجال كثيرة فداسوهم وحيروهم في أمورهم فاعترفتهم

ركب اب الخيل فداستهم ايضا الافيال مع خيولهم وأحلوا بهم الوبال قال
فعند ذلك قال عنتر لاصحابه دونكم واياهم دمروهم وعجلوا فنائهم وقطعوا
خراطيمها بمانى أيديهم من السيوف فانها اذا قطعت مشافيرها شربت
كأس الحتوف فعندها حملت جيوش الروم وفى أوائلها ملكها هرقل
وكذلك كوبرت وجيوشه ففعلوا مثل مافعل وحملت أيضا جيوش مصر
واسكندرية وقاتلوا بقوة قلب وصفاء نية وجعلوا يقتلون فى الرجال ويفتكون
فى الافيال وعظم القتال واشتد النزال وزادت الاهوال وقلت الرجال
وفقدت الابطال وقام الحرب على ساق وضربت الاعناق واشتد الخناق
وظهر المحاق وكان ذلك اليوم كأنه يوم التلاق فجمعت فيه النفوس وبانت
الفرسان وكل الجبان وذل العزيز وهان واختلطت ببعضها بعض
الطائفتان وزعق على رؤسهم غراب البين وحان الحين وقلعت العينين
وطاب وفاء الدين وقطعت المعاصم وانتثرت الجماجم واشتد الزحام وقل
الكلام وعظم المرام واشتهر البطل الهمام ورشقت الحراب والسهام وسقوا
الابطال كاسات الحمام وضاقت الصدور وعظمت الامور وصار النهار من
شدة الغبار كالليل البهيم وقل الاصطبار وتهتكت الاستار وعظمت
الرزايا وسارت الانفس فى النازعات وبربرت السودان وغنت العيدان
ورفعت جيوش هرقل وكوبرت أصواتها وضربت طبولها وبوقاتها
وطعنت بقنطاريتها وطمطمت بلغاتها وفارس عبس عنتر دونها وحماتها
وهو ينثر من جيش البهنسا ملوكها وساداتها فخارت مصاحل بهم فى ذلك
اليوم الافكار وعميت الابصار وزاد عليهم العيار فولت جيوش البهنسا
الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم عنتر وأجناده الى آخر النهار وقتلوا شيئا
كثيرا من الافيال وأهلكوا جمعا غفيرا قليل من الرجال ورجع عنتر وأصحابه
وسائر من معه والجيوش والملوك تتبعه واولاد الخيل والاسلاب والمال
وسائر الدواب وجميع الملوك تثنى على الامير شيبوب وفيما فعل من ذلك
الامر المهيب وأيضا على ولده الغشروق وعلى حاميتهم عنتر الفعال المعروف

وبعد ذلك نزلوا واستقروا فى الخيام واخذوا لهم راحة وأكلوا الطعام وانطرحت الناس لما أظلم الظلام بالليل للمنام ولما أصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح جلست الملوك فى خيامها وجمعت اكابرها ويقدمها ابن شداد هما بها واستشاروا هل يرجعوا أو يرحلوا ورأيهم فاتفق رأيهم بمشورة عنتر أن يسيروا وراءهم الى بلادهم ويفتكوا فى بقية عشائرهم وأجنادهم وان عصوا عليهم حاصروهم وأهلكوهم وان أطاعوا يطلبوا منهم الخراج والعداد ويكون ذلك بهيبة عنتر بن شداد ثم انهم ساروا وتبطنوا فى تلك البرارى والقفار وتبعوا منهم الآثار ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء ومادار بينهم من الكلام وأما ما كان من القوم الذين حل بهم الانهزام فانهم ساروا اكثر من يومين ليلا ونهارا واذا قد لاح لهم من بين أيديهم غبار وترويع حتى سد الاقطار وقد أظلمت منه الاقطار وبعد ذلك انكشف عن جيش الصعيد والهفساوى على رؤسهم الرايات وبين أيديهم دق الكوسات وغير البوقات وقعقعة الصلبان يحملها القساقسة والرهبان وفى مقدمتها كندريوس بن كرماس وأخوه صاحب مدينة اهناس ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى قدوم هذين الملكين بمن معهم من تلك الجيوش لما انهم أرسلوا بالص ومعه تلك الجيوش والقيوا عنترو فعل بهم ما فعل من تلك الامور الكبائر وبعد مضيهم من عنده فى ذلك البر والفجاج كاتب هؤلاء البطارقة والاهلاج وسار يجمع الجيوش على عنتر ودساكره الى ان التقى بالرجال المنهزمين وهم فى البر منقطعين من عشرة وعشرين وبعضهم فى البرارى تائهين فقال لهم ياويلكم ماهذا الحال وأين العشائر والابطال فقالوا له أيها الملك يكون على علمك ان داستهم الافيال وأهلكهم هذا الذى يسمى عنتر بن شداد وأحل بهم الوبال وشتت شملهم المجتمعة بالحرب والقتال فقال لهم ياويلكم أنتم كنتم فى خلائق بعد الزمان تهلككم هذه الشرذمة الحقيرة وتهلك منكم الرجال والابطال فقالوا له أيها الملك لاتقول شرذمة حقيرة فوحق

المسيح ما هي الا عصابة كبيرة ثم انهم اخبروه على ما أصابهم من أمر الحرب
والقتال وكيف قتلوا بعده الرجال والابطال وكيف قلع شيوخ عين كابير
الافيال فولى وتبعته رفقته وأرموا اما على ظهورهم من الرجال وحمل عنتر
ومن معه من العشائر بأمرها وضربوا في الافيال بالسيوف على خراطيمها
ومشافيرها فمارؤا الى قتل الافيال همعوا علينا في عاجل الحال وداسوا
خيلنا ومن عليها وأبادنا عنتر وعشائره في ساحة المجال فهلك من تلك
الوقعة نصف العشائر ومنهم جماعة كثيرة تشتتوا في البراري والجزائر
قال فلما سمع كندريوس بذلك ما هان عليه واسودت الدنيا في عينيه
ولم يبق يعرف ما بين يديه وقال سوف ترون ما أفعل في عنتر ورفقته وكيف
أقتل هؤلاء الملوك الذي أتوا صحبته وآخذ بثار عمي جنطاميل وأقتل
ابنه هذا عبد المسيح المهان الذليل وترون كيف أمحق منهم الاثر ولا أدع
منهم من يخبر بخبر ثم انه ضم الرجال الى الرجال وزحف في ساعة الحال
وحث العشائر على المسير ولا محال وتقدم قوام الدسامكر يقطع
البراري والقفار وما سار غير يوم واحد كامل وثاني يوم الى نصف النهار
واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وبعد ساعة انكشف ذلك الغبار وبان
ما تحته وانجلا للابصار واذا هو بير يق زرد وامان خود وبيوش مال كثرتها
عدد وكانت هذه العشائر المقبلة عشائر الامير عنتر والملك الذي معه
وعدتهم مائتين ألف واكثر وكان عدة عشائر الهنساة ثمانمائة ألف عددها
قد انحصر لان كان أول مسيرهم في النوبة الاولى ثلثمائة ألف فارس بشرت
عليهم ما جرى من سيف عنتر وسطوته بهم الناحص وأيضا كان معهم
خمسمائة فيل الذي قدمنا ذكرهم وكان كما قدمنا على شيوخ قبائلهم
وقتل من العشائر مائة ألف وقد انهمت آثارهم وصاروا دوارين فلما انهزم
في بعضهم البعض عادوا المنهزمين من جنبات تلك الارض واجتمعوا على
وقوفهم انصار خلفهم بعضهم الى بعض وصار القاصد من عشائر الامير عنتر
وهرقل بن الملك قيصر على هذا الوصف الا ان لما انكشفت هذه الغبائر

وبان ما تحتها للنواظر ونظرت الجيوش الى بعضها البعض فماجت
واضطربت فى تلك الارض ودقت من الجيشين الكوسات حتى تزلزلت
الارض من سائر الجنبات ولم تجد الجيوش لها ثبات مما تقدم من سبب
الحقد والكسرات بل حملت من سائر النواحى والجهات وكلهم يزعقون
ويرفعون أصواتهم بقول حناومريم وتخضبت الوجوه بالدم مرتبدلات بعد
الوجود بالعدم وبرز الشجاع وهمهم وزعق البطل الشديد وتقدم وخاف
الجبان الضعيف القلب واغتم وكانت ساعة بالهما من ساعة بانت فيها
من الشجاع الشجاعة وصارت نفس الذليل مرتاعة وارتفعت الزعقات
وعلت الضجات وعظمت الصرخات واختلفت الاجناس والاصوات
وقل خطاب المخاطب وتصادمت الكتائب بالكتائب ومالت
المواكب على المواكب واحاطت جيوش الهنسا بجيش الروم من كل
جانب ومكنوا منهم القواضب وكثر فيهم الفزع والارتقاش وأخذهم
القلق والاندهاش وانقطع القلب من شدة الفزع وطاش ودمدم عنتر
بين الطائفتين وهاش ولولا كان فنى من جيوش الروم أكثر من نصفهم
ولكان قد حل بهم حتفهم لانهم تأخروا أكثر من شوط جراد الى خلفهم
وطمعت دساكر الهنسا فيهم وأحلوا بهم الهموم ودمدمت السودان
وساعدتهم على ذلك أهل الفيوم وعظم بينهم الوسواس وقد قويت
قلوب الجيوش بشجاعة الكندريوس بن كرماس هذا وجيوش الملك
كوبرت والملك هرقل قد لحقهم الفزع وداخلهم الهلع لان قد اجتمع عليها
سائر الاجناس من عبدة الصلبان وافرنج وروم وعرب وأهل الصعيد
وسودان ومن يدعى الشجاعة من أهل تلك البلدان ولولا حاميتهم الامير
عنتر الفارس الكرار كانت تطلب الهزيمة والفرار وما ثبتها الا هذا الفارس
الادرع والبطل الصميدع مما فعل من الحرب فى ذلك النهار ﴿ قال الراوى ﴾
الناقل لهذا الكلام فبينما هم على ذلك الحال وقد ملت نفوسهم من الحرب
والقتال وأثار الغبار قد ثار وسد الافطار وبعد ساعة انكشف وبان عن

عسكر جرار مثل البحر الزخار وهو مقبل من ناحية الجبل الاخضر وتلك الديار وبعد تقطع وبان من تحته حديد يلمع وأسنة تشعشع وراية تونسية وصناجق قيروانية وهم كانهم الاسود الحاليه وهم راكبين على الخيول العربيه ومعتقلين برماح خطيه ومعتقلين بسيوف هنديه ﴿قال الراوى﴾ وكان المقدم على هذه العشائر الذى أقبلت مع الملكين أصحاب تونس والقيروان وكان السبب فى قدومهما وهو الا انه لما سار عنتر بالعشائر والفرسان وقد حالف وشدد فى الايمان لاسار الا فيمن جمعه من تلك الشجعان وساربهم كما ذكرنا وبعد هنيهة دقائق تتابعت من خلفه الفرسان الذى قد جمعهم هرمس صاحب سكندريه وملك الديار المصريه وكانوا هؤلاء الملوك أرسلوا الى مدينة تونس والى مدينة القيروان فأتتهم من الفرسان خمسين ألف عنان وساروا بهم خلف الامير عنتر حتى يجدوه على من قدم عليه من الجيش وقد ساروا يقطعون تلك البرارى والتلال الى أن لحقوهم على تلك الحال من أمر الحرب والقتال ولما أقبلوا تلك الرجال فما خفى عنهم ما هم فيه من الاحوال ﴿قال الراوى﴾ لهذا المقال فعند ذلك خفقوا لبوسهم وقد ربطوا على الموت نفوسهم وكشفوا عند ذلك رؤسهم ونادوا يا المسيح بن مريم ولما رأت جيوش الهند ما الى ذلك الحال حل بها الانذهال والذل والخبال وقد قالوا لكندريوس وحق المسيح والانجيل ما أنت بعد ذلك الاذليل وما أنت الا من أعظم الجهال فقال يا فتيان وما معنا ذلك الشان فقالوا له اعلم ان لو كان فيك عقل الرجال ما كنت حاربت هؤلاء الملوك الثقال لاسيما هذا الفارس الذى كانه الاسد الرئبال وايخطر الموت له على بال وان لم تسمع منهم ما يقولون وتجيبهم الى ما يريدون والا سرنا اليهم واتفقنا عليك وأخذنا روحك من بين جنبيك وندخل تحت طاعة هؤلاء الملوك ونعيش كما يعيش الحقير والصعلوك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك كندريوس منهم ذلك الكلام خاف على نفسه من شرب كاس الحمام فأجابهم على ذلك المرام وقد بدل الحرب الذى

كان بينهم والخصام وفي عاجل الحال نزلوا هن الخيول وانتشروا عرضا وطولا يدقت الطبول وقد زعقت جميع الفرسان ونادت من فرد لسان ياحامية عبس وهذا ان نريد منك الامان يافارس الفرسان وياحاوي قضب الرهان ويامذل الملوك والاقران في حومة الميدان ثم نادوا عنترة يامنهور يارب دمه علينا بالهنا والسرور ثم انهم تقربوا من بعضهم البعض وقد تعانقوا في تلك الارض وما بقي أحد من ملوك أرض الصعيد والنوبة والبجاة الا من عانق عنترة وقبل يداه وقد اختلطت الجيوش المصرية والسودان والافرنج والروم وسائر ملوك البلدان وبعد ذلك نزلوا في الخيام واستقر بهم المقام وروحوا لهم الخدام سائر الطعام وروقوا لهم صافي المدام وزادهم كندريوس في العز والاكرام مدة من الايام فلما أن عزموا على السفر والرواح قدم الملك هدية للامير عنترة من جميع الشئ المقدور ومن المعادن والجواهر وأيضا من الخيول العربية وقد أعطاه أو في عطيه بعد ما قرر عليه الخراج والعداد في كل عام فأجابه كندريوس على ذلك المرام وقام قائما على الاقدام وقد قبل الارض بين يدي عنترة البطل الهمام ﴿ قال الراوي ﴾ ثم ان الامير عنترة بن شداد أرسل جميع ما أتى له هدية من تلك البلاد والذي قدموه له الملوك والسادات الى جزيرة الواحات وقد أراد الرحيل والجد والتحويل فودعوه الملوك ومن معهم من الفرسان وكذلك فعلوا بكوبرت والملك هرقل بن قيصر ومن معهم من ذلك الجيش وقد تفرقت الملوك الى بلادها وكذلك من معها من أجنادها وأجنادها وقد نزلوا في مراكبهم وقد خدمتهم الارياح باذن الكريم الفتاح ومصرها لهم رب الارضين والسموات وما زالوا في تلك السفائن سائرين بهم في عز وتمكين الى أن وصلوا جزائر الواحات فعند ذلك طلعت اليهم جميع الرؤساء وهنتهم بالسلامة والمسرات وقد طلبوا منهم البشارات كما جرت به العادات ثم انهم أرسلوا من هناك بشيرا الى قلعة الكافور ومدينة البلور حتى يبشروا قدومهم ليزدادوا فرحا وسرورا ﴿ قال الراوي ﴾ هذا الامر ولم يزالوا على هذا المرام حتى أقبلوا على قصر الملكة

بسلام اما استقر بهم المقام صنع لهم الملك كوبرت الطعام ورقق لهم المدام وبعد ذلك اجتمع عنتر بالجارية مريم وسلمت عليه وقبلت يديه وأسافل قدميه وكذلك الملك هرقل ملك عبدة الصلبان قد اجتمع بالملكة مريمان وقد أقاموا في هنا وأمان مدة عشرة أيام متواليات وهم على أكل طعام وشرب مدام وأفراح ومسرات هذا وقد كانت أخبارهم في تلك المدة لم تنقطع عن الملك قيصر ثم انهم بعد ذلك جهزوا أموالهم وعبوا رحالهم وجعلوها في الصناديق وقد جمعوا ما هناك من الاسلاب والاموال والهدايا والتحف وغير ذلك وما كانوا كسبوه من القائم في تلك الرسوم والمعالم وقد تقدمت الجارية مريم الى عند الامير عنتر تودعه فلما ودعته وقبلت يديه فقبلها الآخر ولثم خرطومها وقد زال عنها همها وغمومها فدعت له بطول العمر والبقاء وازالة الهم والشقاء وبعد ذلك تقدمت الملكة مريمان وأخذت في وداع الجارية مريم وكانوا كما قال الشاعر بمثل هذه الابيات

يقولون دار الاحبة قد دنت * وأنت كئيب ان ذا لعجيب
فقلت وما نبغي بدار كريمة * اذا لم يكن بين القلوب قريب
فكم من بعيد الدار أقضى مراده * وآخر بجنب الدار مات غريب

(قال الراوي) ثم ان الجاريتين تودعا من بعضهما بعض ولما فرغا من ذلك الوداع افترقوا من تلك الوداع ورحلوا من ذلك المقام وطلبوا البر والآكام ولم يزالوا سائرين ليالي وأياما وهم سائرين في تلك البراري والآكام وقد انتشروا في جنبات تلك الارض خوفا من الضيق والازدحام

(قال الراوي) هذا الكلام ثم انهم لم يزالوا سائرين وفي السير مجدين الى أن وصلوا الى ساحل البحر وقد تقدمت الاكابر ومن معهم من المقدمين والعشائر فنظروا الى المراكب وهي مثل العرائس وعليها من تلك الآلات النفائس فنزلوا على جانب البحر واستراحوا ثلاثة أيام وهم في أكل طعام وشرب مدام ولما ان كان في اليوم الرابع على الضيق طلعوا جميع الاحمال والاموال والصناديق وجميع ما معهم من السراداقات والخيام وما

أتى معهم من الخيرات والانعام وأنزلوها الى المراكب المقدم ذكرهم الذى صحبوهما من القسطنطونية وأنزلوا الخيول والجمال ورفعوا القلوع وسارت المراكب وسخر الله لهم الرياح الطيبة من كل جانب ولم يزالوا سائرين ليلا ونهارا غدوا وابتكارا مدة عشرين نهارا وبعد ذلك لاحت لهم كنائس البلد وقصورها العالية الاصوار ونزلت الرؤساء من القلوع الى قدام الملك هرقل والامير عنتر بن شداد وقبلوا الارض من بين أيديهم وهنوهم بالسلامة وقالوا لهم فى غداة غد تكونوا فى مدينة القسطنطونية وتدخلوا البلد ببركة المسيح ومريم الزكية فخلع عليهم الملك هرقل الخلع السنية وأعطى الامير عنتر كل واحد منهم ألف دينار وسار واطول الليل على موجات البحار الى أن أصبح الصباح وأرسوا على الساحل فزادت منهم الافراح ووصل الخبر الى الملك قيصر بوصول ولده وعنتر ففرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وأمر بأن تزين البلد والاسواق والحارات وأكثر من المواهب والصدقات وخلع على الامراء والسادات وركب وقد رفعت على رأسه الاعلام والرايات وتجارت الفرسان والقادات وضربت الطبول والبوقات ومازال سائرا بالجيوش والاجناد حتى التقى ولده هرقل وعنتر وكانوا قد خرجوا بالفرح والاستبشار فتلقاهم الملك قيصر بالخلع وأخذ ولده الى صدره وقبله بين عينيه وكذلك ترجل عنتر اليه وقبل فى الركاب قدميه فانحنى الملك قيصر وقبل رأسه وأثنى عليه وأخذه الى جانبه وسأله عن أحواله فحدثه بكل ما جرى له فى بلاد الغرب والصعيد من الحرب والطعان وكيف انه قتل الملك الأيلمان وابنه سرجوان وملك جزائر الكافور وقلعة البلور وكيف أسر كوبرت وكيف أخذ عليه العهد والايمان وأحكى له على ما جرى له فى جزائر الواحات وقتل الملك صافات وابن الدير والشاهد وملك قلعة رومة المدائن ودير الصنم وما جرى له فى الاندلس مع الملك جنطيائيل وابنه عنان وكيف أخذ تار ولده الغضبان من قبائل الجان والكلام الذى تقدم ذكره من أوله الى آخره هذا والملك قيصر يتعجب من قصته ومن سعادته ويقال ما أسعد هذا بقى من

دون البشر لانه صاحب عز وظفر وشجاعة وقد أعطاه الرب القديم الطاعة
ومازالوا سائرين حتى وصلوا الى البلد والخلائق على الجدران يدعون لهم
بالنصر والامان ويشيرون الى عنتر بالبنان وكان لدخولهم البلد يوم عظيم
ماسمع بمثله فى سائر الاقاليم ونزل الملك قيصر فى قصره وهو زائد المسرات
والافراح وأكرم عنتر غاية الاكرام وقام على لذاتهم الى أن أظلم الظلام
وسار عنتر الى داركانت قد أعدت برسمه فقام الى الصباح وركب الى خدمة
الملك قيصر وهو متقلد بسيفه الابتر معتقل برمحه الاسمر راكب على
جواده الابجر فلما تقرب من الايوان وبقى قدام قيصر وهم أن يترجل فأقسم
عليه لا يفعل ثم انه أجلسه بجانبه على التخت فى الايوان وقد أتتهم الخدام
ورقفت بين أيديهم على الاقدام وكان الملك قيصر من حبه فى أبو الفوارس
عنتر أحضر الصناع والدهانين وقال لهم أريد منكم أن تصوروا لى صورة هذا
الفارس ولونه وكبر جثته وقدره وهيئته وجواده وعدته وتصوروا صورة
شيبوب وولده الخزروف وحليته ومايصنع من صناعته فأجابوه بالسمع
والطاعة ثم انهم أخذوا من معادن الرصاص والقزدير والحديد والنحاس
والفضة والذهب ما كفاهم وترتبوا لشغلهم واجتهدوا فى قليل من الايام
حتى صوروا صورة عنتر وأخيه وولده ولما تمت دهنوها بالدهان الذى
يعرفونه حتى صارت تلمع كالمرايا وبعد ذلك داروا وصلحوا شأنهم بالمبارد
حتى رتبوا الاصابع بأظافرها والسواعد والمرافق والزنود والرجلين
وأركبوا عنتر على ظهر جواده وجعلوا يده على قبضة حسامه والرمح على
كتفه وشيبوب وولده من حواليه وجعلوا أعينهم من الياقوت الاصفر
وشفافهم من العقيق الاحمر وأسنانهم من اللؤلؤ الرطيب وأضاف اليهم
الادهان ثانيا وجعلهم كلهم سمر الالوان فلما تكاملت الصور ورؤها
الناس فأخذتهم البهتة والدهشة وظنوا انه عنتر ورفقته وصنع الملك
قيصر ديوان وصارت أعيان العشائر والوزراء يصعدون الى الديوان
يتفرجون ويرجعون على أعقابهم فقال لهم الملك قيصر ما بالكم فقالوا له أعلم

يا ملك الزمان ان عنتر واخوته قد تغيروا من حالة الرجال وقد صار كل واحد منهم تمثال ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك نهض الملك قيصر ومن كان عنده من الرجال ودخلوا على الصور فلما رآهم الملك قيصر تعجب غاية العجب هو وبطارقته الحضار وأخلع على الصناع وأعطاهم ألف دينار ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك قيصر نادى يا حضار أبو الفوارس عنتر فما كان الا قدر ساعة حتى حضر فاستقبله الملك قيصر أحسن استقبال وقال له يا فارس عبس وعدنان بحياتى عليك يا أوحد الزمان لا يحصل عندك غيظ مما ترى من الاشغال ثم انه أخذه وسار حتى دخلوا على هذا التمثال ﴿قال الراوى﴾ فلما رأى عنتر الى صورته وصورة أخيه شيبوب والخزروف ولده اندهش من ذلك وتحير وأخذه الوهم والفكر والتفت الى الملك قيصر وقال له يا ملك أنتم عندكم من يصور هذه الصور الآدمية ويتعدى على القدرة الربانية ولا يخاف من الاثم ولا من الخطية فقال له الملك قيصر يا أبو الفوارس اعلم ان الصور فى ديننا حلال ونحن ما نصور الا صورة من نحبه ومن شدة محبتك عندى صورت صورتك حتى أبقى أنظرك كلما يجئ على بالى تذكارك لانى ما أقدر أمتعك عن أهلك وديارك وأعيقك بغير اختيارك فقال عنتر على بالحكيم الذى صور هذا الصور حتى أرى عنقه وأقابله بما يستحقه فأخذ الملك بخاطره وهدى روعه وسكن غيظه وغضبه وعدها جلسوا للاكل الطعام وقد أتتهم الخدام فأكلوا ولما اكتفوا أتوهم بالمدام وجلسوا يتعايدوا فى الحديث والكلام عندها تقدم عنتر الى عند الملك قيصر وقبل يده وأثنى عليه وله شكر وطاب منه الاذن فى السفر فأذن له فى ذلك بعد ما خلع عليه وأعطاه مناه وأكرمه وأرضاه وكذلك شيبوب والخزروف وخلع أيضا على عمرو بن الحارث وأعطاه التشاريف والاحكام بولاية أرض الشام ودقت له الكوسات وانتشرت البيارق والاعلام وسار معهم قيصر مرحلة كبيرة وقلبه مع عنتر بن شداد وبعدها حلف عليه عنتر وردده وأحسن له الوداد وساروا يقطعون البرارى والقفار وفى قلب عنتر على عبلة لهيب

الدار وشم روائح القرب من الديار ولم يزلوا فى سيرهم الجد بن حتى اشرفوا على دمشق الشام وطلعوا أهل البلد الى استقبالهم الشيخ والغلام وقد فرحوا بالملك عمرو واندهشوا بما رؤا معهم من الاموال التى لا تحصى كثرة وهبت عليهم نسمات الاسعار وشافوا المنازل والديار ورقة السيد لقدومهم بالاقمشة الغالية الاسعار ودخل عنتر على عبلة ففرحت به الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وقالت له يا ابن العم أخبرنى بشرح ذلك ما تم عليك وما جرى لك مع الملك قيصر وما أعطاك من الاموال والبدو ولماذا أخذت أمر ومملكة الشام كان أبوه على بنى غسان فأخبرها بجميع ما جرى له من أوله الى آخره وأطلعها على ظاهره وباطنه ففرحت عبلة بعلو منزلته واستقرار الملك عمرو فى دولته وفرحت به عشيرته وشكروا عنتر على ما فعل ودبر وأقام عنتر بدمشق الشام أيام قلائل وهو فى خير ونعام فقابل وهو كل يوم فى صيد وقنص واغتنام اللهو مع الفرس ودرع على ما هو عليه من هذه الاحكام واذا بغبار تار حتى حجب الشمس عن الابصار وبعد ساعة انكشف للنظار وظهر من تحته مائة فارس كرار والمقدم عليهم ورقة ابن الملك زهير فلما حقق كلامه مما صاحبه رمى نفسه من على ظهر جواده الى الارض واعتنقوا بعضهم البعض وبكيا عندا تى وفرحا الملتقى وقال ورقة يا ابن العم ندم أخى على فراقك وقد أنفذنى الى خدمتك وأمرنى أن أسألك فى الرجوع الى حلتك قال فلما سمع عنتر من ورقة هذا الكلام فرح واستبشر وقال له يا ابن العم ما كنت الا سائر اليكم فى هذه الايام ثم انهم عادوا جميعهم الى مدينة دمشق الشام ونزلوا فى الخيام وأكرمهم غاية الاكرام مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع برز عنتر الخيام والسرادقات واستأذن عمرو بن الحارث فى العودة الى اهله فقال له الملك عمرو يا أبو الفوارس وحق المسيح ان فراقك ما يسهل على ولكنى ما أقدر أمنعك عن أهلك ثم سار معه للوداع ثلاثة أيام وودعه عنتر وأقسم عليه أن يزوره فى كل عام وسار عنتر طالب أرض الشرية والعلم السعدى ولم يزل سائرا الى أن أشرف على

الديار فوجدا الحى يموج بسكانه ويرتج بقاطنه والخيول مهملة والسروج مقلبة والنساء منهتكة والرجال فى البلية وهم ينادوا واسيداه واملكا فانزعج عنتر لذلك وطاش عقله وتحير وتقدم الى الملك قيس وسلم عليه وعانقه وبعد ذلك سأله عن الخبر فسعى اليه أخوه الحارث وزوجته لبنا فنال عنتر من ذلك منال عظيم لان الحارث كان عنده بمنزلة أخوه مالك فسأله عن الذى قتله فقال قيس يا ابن العم قتله رجل يقال له العيقفور بن عرعر أخو الحيشعور الذى قتلته أنت من قديم الزمان وكان السبب فى قتلة الحارث ان زوجته لبنا قالت له فى بعض الايام يا ابن العم انى قد اشتقت الى أهلى وأريد منك أن تنعم لى بزيارتهم حتى أبل شوقى اليهم فأجابها الى ما طلبت وأركبها فى هودج مجلل بالحرير وفى اعلاه قبة من الذهب الاحمر وزمام من الابريسم الاخضر وسلمه الى عبد من عبيده وركب الحارث على ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وسار معه خمسين فارس من الفرسان المعروفين بالحرب والجلاد ولم يزالوا سائرين يقطعون البر والوهاد الى أن وصلوا الى أرض بنى زهران وسمع بهم شامة بن يقظان فخرج اليهم واستقبلهم أحسن استقبال وفرح بابنته وضمها الى صدره وشكر الحارث على فعله التى أتى بها اليهم بيلوا من شوقهم وأقام عندهم ثلاثة أيام وعاد راجعين طالبين ديار بنى عبس وعدنان وسار أبو هبال لوداع الحارث يوم كامل وحلف عليه ورده قال ولما نظر العيقفور وأصحابه الى الحارث وقد ومه الى صهره وما فعل فى حقه ونظر الى هودج لبنا عند المسير وذكر محبة أخيه لها وكيف قتل عنتر أخيه من أجلها فصعب ذلك عليه وكبر لديه وطاش فى رأسه رياح النخوة لاخذ الثار وكشف العار فقال لقومه يا بنى عمى اعلموا انى قد تجددت على مصيبتى وعظمت رزيتى عند قدوم الحارث علينا وأنتم تعلموا ان الحارث هو كان السبب فى قتل عنتر لاخى الحيشعور وأخذ زوجته على رغم أنفه وجللنا بالعار والآن فقد وجدنا فرصه لاجل أخذ الثار فالحقوا بنا الحارث بن زهير فقطع عليه طريقه وتحرمه توفيقه فأجابوه بنى زهران وبنى

ﷺ بهلان وجدوا خلفه في البراري والقيعان بينما الحارث سائر بزوجته وهو فرحان بعودته وما عنده علم أن أحدا يأتي اليه ولا يقدم عليه فهو كذلك واذا بنواصي الخيل قد طلعت وفرسانها قد بدرت وهي تنادي الثار الثار البدار البدار أين تفوتوا من هذه القفار وقد آن لنا أن نثوي في ديونا فلما سمع الحارث منهم ذلك قال لمن حوله يا بني عمي هذه خيل بني زهران قد أتوا يطالبوني بالثار الذي لهم علي من قديم الزمان وقد طمعوا فينا لقلتنا وبعدنا عن ديارنا والاوطان فموتوا كرام ولا تعيشون لئام عندها حملت بنو عبس بالصوارم والقنا وودع الحارث زوجته لبنا وقال لها هذا يوم الفراق الذي ما بعده تلاق عندها أخذت في يدها الخنجر يسبق القضاء والقدر وقالت هاهو في يدي فان غادرتك يد الزمان أسقيت نفسي كأس الهوان ولا أدع بعدك يملكني انسان عندها عاد الحارث وقد أدركه العيقفور فقال له الحارث ويلك ما وخد قومه ولئيم عشيرته لحقتني في هذه الديار لتأخذ مني بثارك وتكشف عنك عارك فلم يجاوبه العيقفور بجواب بل انه حمل عليه ومد السنان اليه هذا ولبنا قد شرعت سيوف الهودج وقد أجرت الدموع وفي قلبها لهيب النار واذا بصرخة من تحت الغبار واذا بهما من العيقفور وهو كأنه الاسد الغيور واستجاد الحارث بطعنة في صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فمال في الفلاة وتخضب بدماه وبعدها مالت الفرسان على بني عبس فقتلت منها اثني عشر فارس وهجموا الباقين في الفلوات وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور وبعد ما قتلوا ثلاثين من أصحاب العيقفور ونظرت لبنا الى ابن عمها فأرمت نفسها عليه وتلطخت بدماه ونادت واسيداه وابن عماه والتفت الى العيقفور وهو واقف على رأسها يريد أخذها فقالت له شلت أناملك وقطعت مفاصلك فلقد قتلت سيد قومه وملك عشيرته ورئيس قبيلته ثم أنشدت تقول

يا ليتني من قبل أن نظره في الثرى ✻ أسأوى من دارت عليه الدوائر
لعمري ما بالموت عار على الفتى ✻ وقد شهدت له في الحروب الاكابر

ومن كان من يحدث الدهر جازعا * فلا بد من يوم يرى وهو صابر
وليس لمخلوق من الموت مهربا * وليس على الايام والدهر غائر
وكل مخلوق أو جديد الى البلا * وكل امرئ حقا الى الله صائر
فانعاك يا مولاى حيا ورميتا * أخا الحرب اذ دارت عليه الدوائر
مليك بنى عبس فوارسى له * لقد نالك ما كنت منه أحاذر

قال الراوى هذا وبنو زهران لما سمعوا من لبنا هذا الشعر والاوزان وذلك الكلام حارت منهم الافهام وصاروا يتعجبون مما قالت لبنا من هذا اللفظ والكلام وما حصل لها على الحارث من الآلام ونظروا ما قد جرى لها من الاحتراق فرفعوها الى هودجها على أن يسيروا بها الى أهلها فضربت روحها بذلك الخبر فى صدرها أطلعته يلمع من ظهرها فلما رؤها بنى عمها وقد فعلت هذا الفعال بنفسها على صباحهم وارتفع نواحهم وارتدادهم مع الحارث فى قبر واحد وعادوا الى أبيها وأخبروه بفعلها فقال لله درها ثم حزن عليها هو وأمها فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من المنهزمين من بنى عبس فانهم بعد قتل الحارث مازالوا سائرين حتى وصلوا الى الحلة وأقاموا الصياح وأخبروا الملك قيس وبنى عبس بالجملة فشقوا الجيوب وقطعوا الشعور ولطموا الخدود وهدم الملك قيس القباب وقطعوا المضارب والاطناب وفى ذلك الوقت قدم عنتر بن شداد كما ذكرنا وسأل عن الخبر كما قدمنا فأخبروه بتلك القصة فدخل على قلبه ألف غصة مما لحقه من الوجد والزفير ولم يجد له بد من المسير لاخذ الثار وكشف العار فركب من وقته وساعته فى فرسان عشيرته وأخذ معه زيد بن عروة فى رجال أبيه وأهذور قه بن زهير ونوفل أخيه وترك الملك قيس فى الحلة وحلف عليه وسار عنتر وستمائة فارس من كل مدرع ولابس بالدروع والجواشن والخيول الصوافن ومعه جماعة من أصحاب الحارث بن زهير ليدلوه على قبره وساروا يومين وهم يكثروا من البكاء والانين الى أن وصلوا الى قبر الحارث فلما رآه عنتر بكى وأنشد يقول

بد السياف فعند ذلك أيقنوا الاسارى بالتلاف لانهم لم يعرفوا ما وقع بين الملك وبين والدته من الاختلاف والى ما ذكرناه من تلك الاوصاف ثم انه تقدم الى أخوه الغضنفر وحل كتافه من يديه وفك قيده من رجليه وكذلك فعل بعنيترة وأمرهما بالقيام فقاما على أقدامهما وهما كأنهما أقاما من مقبرة وقد قبض على يد الملك الغضنفر بيده اليمنى وقبض على يد عنيترة بيده اليسرى وأجلسهما معه على السرير وقد نال بذلك الفرح والاستبشار ثم انه قدم بقية الاسارى الى بين يديه وقد أزال من عليهم الوثاق والقيود وهم لا يعلمون الى ذلك سبب محدود وكل منهم قد أقرت بذلك عينيه ولا يعرف من اين الفرج أتى اليه ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك الجوفران قال لامه يا أمى أشرحى حديثك لهؤلاء الفرسان كما حدثتنى فى الاول بهذا اللسان فاخبريهم كما أخبرتينى ليزدادوا بذلك يقين وبرهان ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك شرعت الملكة مريم تحدث دريدا والجماعة الماسورين بلسان العربى الفصيح وأخبرتهم بحديثها من اوله الى آخره وما كان من ذلك القول الصحيح والخزوف يصادقها على ذلك بالتصريح وفى آخر الحديث قالت ان هذه الاميرة عنيترة وأخوها الغضنفر اخوات ولدى هذا من أبوهم عنتر ﴿قال الراوى﴾ وأعجب ما فى هذا الديوان ان الخرزة الذى كنا ذكرناها فى كتابنا من قديم الزمان الذى كانت أعطتها مريم لعنتر عند دخوله القصر من أجل الطعام المسموم لما جرى بينه وبين الخزروف ما جرى من ذلك الكلام المعلوم وكانوا ثلاثة فأعطت لعنتر واحدة وللخزروف واحدة وادخرت الثالثة عندها الامور تكون عائدة وكان عنتر لما تزوج بالقناصة وجرى له ما جرى أعطاها تلك الخرزة وأوصاها بحفظها وأعلمها بما يكون من منافعها فلما وضعت بنتها عنيترة بقت عنتر وظهر منها ما ظهر خافت عليها من مكايدة العرب وعواقبها فوضعت تلك الخرزة فى عنقها وأوصتها عليها وأعلمتها بمنافعها ﴿قال الراوى﴾ وفى تلك الساعة نظرت الملكة مريم بعين المخبرة فرأت الخرزة

فى رقبت عنيترة فصاحت صيحة عالية وقالت قد بان لى فى هذا الوقت الامر الصحيح فقال لها وما هو هذا التلويح فقالت ان الخرزة الذى أعطيتك أياها وأمرتك ان تجعلها فى عنقك لتقيك من كل أمر حذر كنت أعطيت لأبوك عنتر خرزة مثلها وهاهى فى عنق أختك عنيترة وقد بان الحق وظهر ثم انها قالت لعنيرة يا ابنتى أرينى هذه الخرزة التى فى عنقك لعل ان يكون كمال اظهار الحق ببركتك ﴿قال الراوى﴾ فمدت عنيترة وناولتها للملكة مريم وسألت من الخزروف على الخرزة التى ذكرها تقدم وماصنع بها من الامر المحكم فحدثها بحديث زواجه بامية الضمريه وكيف أعطاها لها ليلة دخوله عليها وماجرى لها من تلك الامور المقضيه وكيف كبست حلتها وماحل بها من السبى وما أصابها من الرزيه ﴿قال الراوى﴾ وما جرى من هذه الامور فى تلك الساعة أيقن الجوفران وتحقق انه ابن عنتر فقام قائما على قدميه وقبل وجوه اخوته عنيترة والغضنفر وبان الامر له ولكل من فى ذلك المقام حضر ثم انه عانق دريد وبنى عمه وكذلك بنى عبس السادات وفى دون ساعة دقت الكوسات ونعرت البوقات وزادت الضجعات وعظمت المسرات فسمعوا بنى عبس أصوات الزمور وحس النقاريات وصهيل الخيول الصافنات فركبت الرجال والفرسان وركب عمرو ذو الكلب واخته المهيفة وجميع الشجعان وركب زيد بن عروة والديال بن الغضبان وقالوا ما هذه الفرحة التى فى جيوش أهل ملة الصلبان الاقد قتلوا أصحابنا وسقوهم كأس الهوان ﴿قال الراوى﴾ ونظرت لافرنج الى خيل العرب وقد ركبت والرجال على القتال قد عولت فأخبروا الملك الجوفران بما قد جرى فأمر بن عمه الخزروف أن يسير الى بنى عبس ويعلمهم بما جرى وان الملك الجوفران قد طلع بن عنتر وهو أخو عنيترة والغضنفر فما كانت الا ساعة كلمح البصر حتى صار الخزروف بين يدى عمرو ذو الكلب وهو كأنه النار ذات الشرر فوجده طائر العقل وهو على غاية الخوف والحذر فناداه يا أمير نزول عنك ويطمئن قلبك

فاشكر

فاشكر الله السماء على ما أوصلك من الفضل والنعمة فقال له عمرو أكشف لنا صحت الخبر وازل عن قلبي هذا الفكر هل خلصنا من الاسر عنيترة والغضنفر فقال له نعم يا أمير الامراء وأبشرك بشارة أخرى تسرك وتزيل عن قلبك الضرر وتبقى في الكتب تؤرخ وتذكر وقد صح الخبر بأن الملك الجوفران قد ظهر من عمي عنتر وهو أخو اعنيترة والغضنفر فلما سمع عمرو ذو الكلب هذا الخبر قد لحقه النحيب والفكر فقال أخبرني عاجلا وأوضح لي عن هذا القول المشتهر فقال له الخزروف هو صحيح ما قلت لك وحق البيت العتيق المطهر وحق زمزم والمقام والركن اليماني والحجر قد صح أن الملك الجوفران أخوا أولاد عمي عنيترة والغضنفر وقد بان هذا الامر واشتهر ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الخزروف ابتدا وشرح لعمرو ذو الكلب القصة بما جرى وكان وأوضح له عن طريق الهدى والبرهان فزادت لسماع تلك القصه أفرحه وكثرت مسرته وزاد انشراحه واشتاق الى رؤية أم الزعازع عنيترة وأخوها الغضنفر والجوفران ومن معهم من الفرسان فركب مع الملك زهير وزيد بن عروة وسبيع اليمن والديال بن الغضبان وسادات بني عبس ومن معهم من بني قضاعة الشجعان وركبت الهيفة قناصة الرجال وقد اشتاق قلبها الى رؤية ابنتها أم الزعازع قتالة الابطال وساروا الى ملتقاء بعضهم بعض بالسرور والاقبال بعدما كانوا عازمين على الحرب والقتال ولم يزالوا سائرين والخزروف امامهم حتى وصلوا الى سرادق الملك الجوفران ورأى الغضنفر الى الملك زهير والى عمرو ذو الكلب وسادات بني عبس وعدنان وقد أقبلوا وجوههم متباشرة بالقبول والرضوان فقال للجوفران يا أخي هذا الملك زهير سيد بني عبس وغطفان وهذا الذي بجانبه الامير عمرو ذو الكلب سيد بني قضاعة الى حد بلاد السودان فعند ذلك قام لهم الملك الجوفران وتلقاهم بالفرح والهناء والاطمان وخدم الملك زهير وتلقاهم أحسن الملتقاء وقد زال عن الطائفتين تعب الحرب والبؤس والشقاء وكذلك عنيترة والغضنفر

التقوا بعمرو ذو الكلب ومن معه من الفرسان واخته قناصة الرحال وظهر الحق وبان البطلان وزال الشك واتضح البرهان وجلس الملك زهير الى جانب الملك الجوفران بعد ما سلمت الفرسان على الفرسان ثم انهم اجتمعوا في السرادق وحققت لهم الحقائق وبلغوا من بعضهم البعض المراد وزالت من قلوب الطائفتين الادغال والاحقاد ﴿قال الراوي﴾ هذا والملك عمرو بن الحارث الوهاب واخته حليمة على أصوار دمشق وقد أخذهم الخوف وهم يظنوا ان بني عبس قد اصطلحوا مع الافرنج على تخليص الاسارى وضاقت صدورهم و بقوا مرتبكين في امورهم حيارى وما خفي حالهم على الغضنفر فأرسل اليهم من يبشرهم و يعلمهم بصحة الخبر ﴿قال الراوي﴾ فسار الحزروف أبو الافراح الى تحت الصور ونادي وأعلن بالفرح والسرور وصاح بأعلا صوته أنا الحزروف بن شيبوب وقد أتيتكم بما يسر القلوب و يزيل الكروب فعند ذلك فتحوا له الباب وفي عاجل الحال أحضروه الى بين يدى الملك عمرو بن الحارث الوهاب واخته حليمة قد أخذها من ذلك الامر الذى حصل الخوف والارتياب وكذلك أخوها عمرو ومن له من الحجاب وقد أوقدت في قلوبهم نار الالتهاب فقال لهم الحزروف يا ملوك نا يهنيكم الفرح والسرور وزالة المحذور ثم انه ابتدأ وحدثهم بجميع الامور فهنالك دقت الكوسات ونعرت البوقات وزادت الفرحات وعظمت المسرات وأمر الملك عمرو بفتح أبواب البلد وأظهروا الزينة والسلاح والعدد وفرقوا الصدقات على الايتام والارامل وإزال عنهم المخاف وفي عاجل الحال ركب الملك عمرو في خواص قومه وحجابه وقرابته وأصحابه وساروا الى خدمة الملك الجوفران وأخيه الغضنفر وأختهم أم الزعازع الاميرة عنيترة بنت عنتر وقد لبسوا ألوان المنسوجات من الثياب والتقوا الملوك في أطراف الخيام والاطناب وسلموا على بعضهم البعض بعد ما حققت الحقائق واستقر بينهم الحال وانقطع القيل والقال ﴿قال الراوي﴾ وكان السبب في طلوع الجوفران وفي هذه الاحوال

وأصل هذا القتال سبب عجيب وأمر مطرب لانه هو واخوته أصل هذه السيرة وأخبارها وفروعها وفى سبب أبيهم كان توقيعها حتى تكمل لذة الكمال بوقائعها وبعد ذلك أن عنتر لما كان أتى الى عند الملك قيصر وفعل ما فعل من ذلك الامر الذي تحرر وكيف أهدى له الجارية مريم وبات معها ليالى عديدة كما تقدم وكانت قد حملت من عنتر وما أراد أن يظهر له منها فى بلاد الروم ولد ذكر وكانت مشيئة الله وارادته أقوى وأقدر وأذن الله تعالى أن يظهر له ولدين ذكور ويكون لهما أمر مشهور ويحدث من بعد الامور أمور وأرسل شيبوب الى خلفها حتى انه يقتلها وكان الله تعالى قد أراد بسلامتها وضربها شيبوب بالخنجر ولم تعلم ضربته فيها بالخنجر وأخذها كوبرت ونزل بها فى المراكب وسافر بها الى جزيرة الكافور ونواحيها واتفق ان عنتر سافر هو وهرقل بن الملك قيصر الى جزيرة الكافور وقلعة البلور وقتل الملك الليلمان وكذلك ابنه سرجوان وملكوا ابنته الملكة مريمان وجرى له فى تلك الديار ما قد شرحناه من الكلام وأعطى لهذه الجارية مريم الزمام وسار بعد ذلك الى جزيرة الواحات وملكها بعد ما قتل الملك صافات وكانت غيبة عنتر عشر سنين معدودة وأشهر معلومة مفهومة فوضعت مريم هذا الولد بعد مضيه الى جزيرة الواحات وكان الملك كوبرت قد تخلف عن المسير معه ليستعد لهم العلوفات ويلحقهم بها الى مدائن الواحات فولدت مريم هذا الولد وهو أسمر زائد السمار وكان يضرب لونه الى حمار (قال الراوى) فلما نظر الملك كوبرت الى صورته نفرقلبه من رؤيته وقال لها يا مريم أنا أبيض أشقر وأنت كذلك بهذا الذى وأكثر فمن أين هذا الاسود وصل لك وحق المسيح ان لم تخبرينى والا قتلتك فقالت له يا ملك اعلم ان هذا الولد من عنتر بن شداد الذي أنعم على وعليك بهذه البلاد فقال لها كوبرت صدقتى فى قولك وأنا أعلم انهم عليه غضبوك ولكن هذا الولد ان خليناه عندنا نصير به مسخرة بين الملوك فقالت له كيف يكون التدبير فقال لها نقتله ونستريح ونلوينا من معيرته عند الكبير والصغير فقالت له ان كان

ولا بد لأمه من حتى أرضعه وبعد ذلك افعل ما تريد فان قلبي ليس راضي أن يرميه ولا يضيعه فلعل قلبي بعد الرضاع أن يسلوه وعنه يرجع ﴿قال الراوي﴾ هذا يجري وصاحب الامر يدبر الامر بحسن الارادة وهو الذي يكفل الولد في بطن أمه الى حين الولادة فأخذت الطفل الى حجرها وألقمته ثديها ورضع وفتح لها عينه فوقعت الحنة في قلبها عليه وكثر عليه تأسفها وزاد لاجل قتله تلهفها وتنافرت دموعها على وجنتها وبكت بوجدها وحرقتها نظر اليها الملك كوبرت وكان يحبها فتقدم اليها ولاعبها وزاد في قربها وقال لها ما أبكاك يا ملكة وقاك الله تعالى كل بؤس وهلكه فقالت له اعلم ان بكائي على هذا الطفل الصغير وما عنده علم من التدبير وهو على كل حال ولدي وقطعة من كبدي وانا يا ملك مايهون علي قتله من أجل أمرين أحدهما انه كما تعلم ولدي وقلبي قد تعلق به والثاني ان عنتر بن شداد أمير بني عبس وقرادان رجع من جزيرة الواحات وعبر علينا فما يخفى هذا الامر عنه وربما أخبره بذلك بعض الجوار والخدام ليتخذ به عنده وجها وأنت أعرف الناس به من دون العباد فان قتل ولدي فهو كان يخرب هذه البلاد ويسبي النساء ويقتل الاولاد وان كان ولا بد من قتله فاقتلني أنا الاخرى قبله ولا تورني قتله ﴿قال الراوي﴾ ثم انها بعد ذلك أكثرت من البكاء والانين والاشتكاء وكان الملك كوبرت يحبها كما ذكرنا في الاول فرحمها لما رأى ذه وعرف ما تجري غزار وخاف من عنتر ومعرفته به انه بطل كرار فأبقى على الطفل الآثار فأخذته مريم وسلمته الى الدادات وأقامت له السراري والجوار المرضعات ولم يعلم بقصته أحد لا أبيض ولا أسود ولا يقولوا الا انه ابن الملك كوبرت ولم يزال عندها حتى مضى عنتر الى ما كان فيه وقضى الاشغال وعاد من الحرب والقتال وكانت غيبته ثلاث سنين كوامل لانه كان قد مضى وتركها حامل ولم يعلم بشيء من تلك الامور ولم يدر بما في الكتاب مسطور ولما رجع من سفرته كان الولد عندها وفي حباها مدخور ﴿قال الراوي﴾ ولم يزل هذا الولد يكبر وينشى ويد القدرة تكنفه

كل قام ومشى وهو يربى حتى ركب الخيل والجنائب وبقى حوله الامالبك والبطارقة والجبائب وكل من يخدمه ويتقرب له ويسير فى خدمته له راغب ولم يزل على ذلك الحال حتى مات الملك كوبرت وشرب كأس الوبال وشاعت أخبار موته فى تلك الديار والجزائر العربيات فعصت عليهم أهل جزائر الواحات وتجهز ملكها فى عالم عظيم وسار يطلب جزيرة الكافور وقلعة البلور وما حواليها من الاقاليم ووصلت الاخبار الى الملكة مريم فخافت من الحصار فأحضرت من أصحاب الملك كوبرت المقدمين الكبار واعلمتهم بما كان من أهل جزيرة الواحات وما بلغها من المقال ثم انها أخذت رأيهم فى أمر القتال فرأتهم كما تحب وترضى وهم لها طائعين ولقولها سامعين فأمرتهم ان يأخذاهبتهم الى السفر وخرجت فى جيشها ودساكرها وهى على غاية من الحذر وأخرجت الاموال وأنفقت على الرجال واستخدمت الابطال وكان ولدها الجوفران معها صغير ولكن همته كانت عظيمة ونفسه نفس ملك كبير ﴿قال الراوى﴾ ولم تزل الجيوش سائرة وهى مع بعضها بعض متبادرة وهى طالبة فسيح الارض وهى سائرة طولا وعرضا الى أن وقعت العين على العين وهمت بالحملة على بعضها بعض الطائفتين وأرادوا أن يلتقوا الجيشين فمنعتهم من ذلك الرهبان والقسس ودخلوا بينهم بالصلح وطيبوا منهم النفوس وأستقر الامر بينهما بأن الملكة مريم تحمل الاموال فى كل عام وأن يبطلوا الحرب والصدام ويكون حمل المال الى الملك شمروط ابن دامات الذى هو فى ذلك الزمان صاحب جزيرة الواحات فلما تحرر الامر واستقر عاد الملك شمروط طالب بلاده وقد كثرت عشائره وأجناده وقد ضيق على الملكة مريم البلاد وقد دانت له العباد ﴿قال الراوى﴾ وقد نشأ الجوفران نشاء الفرسان وتفرس على ظهور الصافنات فى الميدان وعلم على الشجعان وجندل الاقران وارتفع ذكره فى بلاد الافرنج الخاص منهم والعام والدان وخافت منه جميع عبدة الصلبان وأهابوه الملوك السادات وحملوا اليه العقارات حتى لم يبق عليه الا جزيرة الواحات ﴿قال الراوى﴾

وان الملك الجوفران كان جالس فى بعض الاوقات واذا قد جرى بين يديه ذكر مدينة الملك صافات وانه كان يحكم على مدينة الواحات ولما قتل دومات تولاها من بعده أبوه الملك كوبرت وقعدت قدمت حكمه سنين معدات ولما مات تقلب عليهم الملك شمروط بن دامان وملكها منهم غصبا بعدما كان فيها نائبا فأخذها بغير استحقاق قال فلما سمع الملك الجوفران هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وأمر فى الحال بتجهيز العشائر واخراج الدساكر وسار يفرق عليهم الاموال ويفرق عليهم آلة الحرب والقتال بعدما جمع الفرسان والابطال وسار طالب جزيرت الواحات ومن حوله الحجاب والسادات وهو فى عزة قوية وهمة زائدة فوصلت أخباره الى الملك شمروط بان الملك الجوفران واصل اليه وقادم عليه فلم يعتنى به ولا عنه سأل وأمر الآخر فى عاجل الحال بتجهيز العشائر واخراج الدساكر وكان ذلك فى أقل من سبعة أيام وذلك من كثرة ما عنده من الخيرات والانعام وساروا بين يديه الابطال والاقران ليلتقى بهم الملك الجوفران (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى التقت العشائر بالعشائر والدساكر بالدساكر وقد ملؤا الارض طولا وعرضا وأوسعوا فى تلك الارض فعند ذلك قد قاتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد وتقابلت الشجعان وأوسعوا فى الميدان وسالت دماء الاقران وصارت الارض وردة كالدهان مما سال عليها من أدمية الفرسان وتقاتلوا حتى جرى الدم وسال وساح وتكسرت العدد والسلاح وتطاعنوا بالقنطاريات وتضاربوا بالصفاح وامتدت الجثث فى البطاح وسمحت الفرسان بالارواح بعدما كانوا بها شحاح وعدموا أيام السماح وتقدم الشجاع وطاح وجال الفارس الجحجاح وتأخر الجبان وطلب الهرب والراح وتمنى أن يكون له جناح ولم يزالوا فى حرب أكيد وطعن شديد يفر منه البطل الصنديد الى ان أفرق بينهم الليل وربحت الرجال والخيل وانفصلت الطائفتين وتحارسوا الفريقين الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك ركبوا الجرد القداح وعولوا على الحرب

والكفاح

الى أحي بني أسد ونزلوا عليهم نزول البرد فهجموا من بين أيديهم وثركوا لهم المال والنوال فقال لهم عنترياقوم هكذا حال الغنم اذا شمت رائحة الاسد شردت في البر والفدفد ثم انهم أقاموا على امياههم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع قد حمل هو ومن معه على أبياتهم فقتلوا منهم خلق لا تحصى وقاموا لاحياء وسبوا النساء والولدان وساروا رزقا ومغنما للشجعان وتركوا ديارهم بلاقع لا فيها ناطر ولا سامع ثم انهم رجعوا الى موضع الهجمة وأخذوا ميسرة والمطال ودرجوهما في الاكفان وحملوهما على أظهر الجمال وعادوا طالبين أرض الشربة والعلم السعدي وعينين عنتر تفيض بالدموع ولما تمادى به المسير أنشد يقول

فهما قلبي قولوا وقد ✻ قتلت الهمام الفتى المعلما
وجردت أبيض ماضي الحديد ✻ يلين لهزته مخدما
تركت مهلهل تحت العجاج ✻ ومن بعده الفارس الاشيما
وقرت عيوني بثاراتهم ✻ وسارت نساءهم لنا مغنما
جلبت بني عبس في حربها ✻ الى حرب جيهانها عاقما
فصبحت هوازن في دارهم ✻ خوارج من كوثر أقتما
فناديتهم باختلاف الطعان ✻ اذا حلما ساعة أضرما
أقمت سناء المار وسط الديار ✻ وأسقيتهم صرفها محتما
فيا آل عبس فن فعائلكم ✻ من الناس من قد سمى أكرما

﴿قال الراوي﴾ فلما سمعوا القوم هذا النظام تعجبوا من فصاحته وقوة قلبه وقاحته عندها تقدم اليه ورقة بن زهير وقبله بين عينيه وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك يا أبا الفوارس ويا زين المجالس فلقد جليت ظلامها وأزلت غمامها فلا عدموك حبيبك ولا أفلح معاديك ثم انهم ساروا ورحل يطلب ديار قومه ومنازل عشيرته وأصله وقبيلته بينما الاسير عنتر سائر واذا بغبرة بين يديه قد أقبلت وعجاجة ارتفعت والى الجوته لفت وبعد ساعة تمزقت وبان من تحتها بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وصلصلت

الحديد والزرد النضيد وقدامهم فارس شديد كأنه عامود من العواميد وهو طويل القامة عظيم الهامة والى جانبه فارس يشابهه فى الزى والمنظر الا انه أوطى قامة وأكثر هامة ولما نظروا الى عنتر والى كثرة الاموال التى معه وذلك السبى الكثير طمعوا فيه وتوقفوا عن المسير ونظر عنتر الى حسن خيولهم وعددهم فطمع فيهم وفى قلة عددهم فوقف دونهم وقال يا بنى الاعمام مرادى من يكشف لنا خبر هؤلاء القوم اللئام ومن أى العرب هم حتى نبقى على يقين وتزداد عندنا معرفتهم البراهين فان الانسان لا يخلو من عدو ولا صديق ولا سيما فى مثل هذا البر والطريق بينما هو معهم فى الكلام والجدال واذا بفارس من بين تلك الابطال أطلق نحوهم حصانه وقوم بين أذانه سنانه ولم يزل حتى تقرب منهم ووقف ونادى يا وجوه العرب أخبرونا بأنسابكم فان كنتم من اعدائنا فابشروا بالندامة وان كنتم أصدقاءنا فابشروا بالسلامة فهذه الخيل التى نرونها من بنى قضاعة أهل القوة والشجاعة والمقدم عليها الامير عمرو ذو الكلب الفارس الندب وأخته الميعا فناصة الرجال فأنتم من تكونوا من الابطال فهلموا فى المقال وأكشفوا لنا عن حقيقة هذا الحال قبل أن يحل بكم الوبال وماتم هذا المقال حتى برز اليه من بنى عبس فارس ربيال يقال له أسد بن ماجد فانقض عليه مثل العقاب الشارد وكان عنتر قد اخرجه اليه فلما تقرب منه وحاداه فأطلق لسانه ونادا وقال له يا فتى ميز أمامك وانظر من قدامك فنحن فرسان بنى عبس وعدنان ومقدمنا فارس العصر والاوان الفارس الاسمر والبطل القسور فارس الجلاد وحية بطن الوادى أبو الفوارس عنتر بن شداد ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الفارس هذا الكلام صار كأنما التجم بلجام وعاد راجعا الى صاحبه وأعاد عليه هذا الخطاب وقال له أيها البطل الهمام هؤلاء بنى عبس الكرام فرسان المايا والموت الزوام والمقدم عليهم عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد قال فلما سمع عمرو ذو الكلب هذا المقال اهتز على مرجه وقال ونادى يا للعرب يا لها من غزوة تقر العين وأوفى مالى على هذا

الفارس من الدين هذا قاتل ابن عمي المتجر بن فايز القضاعي وهو الذي قبض عليه وسلمه الى خفاف بن ندبة وأوصل الاذية اليه وكان هذا عمرو ذو الكلاب له حديث عجيب لانه كان قد فعل في العرب شيئ كثير غريب ما فعله أحد من قبله ولا من بعده وذلك من شدة تجبره وجهله وله أخ يسمى عنان وكان جبار من جبابرة الفرسان وكان أحمنه الله يأكل لحوم السباع وكان يهجم عليها في الغابات ويقبضهم بيديه ويقرض حلوقها بأسنانه ويشرب دماءها وكان قد أفنى منهم شيئ كثير ومازالت هذه الصفة صفته حتى انتهت مدته فأعطوه خبر أسد قد تقرب في البراري واعتاد على لحوم الانسان فسار اليه وهجم عليه ولطمه بيده وجزبه الاسد بين فخذيه وقرض حلقه في عاجل الحال ومات وقضى عليه فلما نظر أخيه الى جواده وقد عاد خالي منه علم ان السبع أكله فركب جواد وسار حتى دخل على الاسد في أجمته ونظر واذا بأخيه تحت الاسد وهو يرتع في جثته عندها تقدم الى الاسد وزعق عليه وضربه بالسيف بين عينيه أخرجه يلمع من بين فخذيه ثم انه أخذ ما بقي من لحم أخيه وواراه التراب وحلف انه يقتل في ثار أخيه مائة سبع وسار يهجم الغابات ويقتنص الاسود العتاق ويذبحها على قبر أخيه حتى هابته سادات العرب من ذوي المناهي والرتب وحملت اليه الاموال تداري بها وتتقي منه الاهوال ثم انه أخذ كلب من كلاب الصيد وعمل في رقبته طوق من الذهب الاحمر وقلادة من الجوهر قد جلله بجلال من الديباج مرقوم بالذهب الوهاج ووكل به مائة عبد من العبيد الانجاب وامرهم أن يطوفوا به على قبائل العرب ويقولوا هذا كلب الامير عمرو بن جابر مة القضاعي وقد جعله غفيرا على سائر قبائل الشام الى أرض الحجاز واليمن وأرض العراق فلا أحد منكم يخاف على مال ولا عيال مادام غفيركم على هذا الحال ✻ قال الراوي ✻ فلما سمعت العرب هذا النداء وتلك الاشارة وحملت اليه الغفارة وما منهم الا من يقبل عليه ويقبل الارض بين يديه فلما طال الزمان عليه سمته العرب عمرو ذو الكلب وسمى بين قبائل

العرب بهذا الاسم الصعب وقد كانت له أخت تسمى الهيفا وقد اشتدت بين أترابها وكانت أحسن أهل زمانها وانه قد تهنأ بها المرأي شدة أعصابها فعلمها الفروسية والكر والفر والمزل والجد وفرسها في أبواب الحرب وخدائع الطعن والضرب فصاولت وجدها تكبس الخلل وتنهب الاموال وتقتل الشجعان والابطال واتفق انه كان لها ابن عم يسمى قتادة وهو بطل من الابطال وكان مع ذلك صاحب حسن وجمال فنظرها في بعض الايام فأرمته من قسى حواجبها بسهام فأنشد يقول

دعني أمتع طرفي منك بالنظر * فنور وجهك يجلي ظلمة البصر
قد كنت عنها غنيا عند رؤيتها * واليوم ليس عيان الشئ كالخبر
أماني السماء فافيها سوى قمر * فرد ويارب كم في الارض من قمر

(قال الراوي) فلما سمعت الهيفا شعره رقت رقة وبادرته في عاجل الحال وقالت لا ويلك لمن تعنى بهذا الكلام يا وغد العرب ويا كثير الجهل وقليل الادب فقال أعنيت اليك يا حبيبة القلب والفؤاد فهل لك أن تجعل بيني وبينك ميعادا فلما سمعت كلامه وفهمت مرامه عظم عليها وكبر لديها عنده اهجمت عليه وأدخلت يدها تحت عنقه والاخرى مسكت بها رجليه ثم شالته الى حد رأسها وضربت به الارض فأدخلت عظامه بعضها بعض وطرطش دهن مخه طولا وعرضا وهي تنشد وتقول

أظننت أني من أعد من النساء * وذوي الخدود واستر بحجال
كلا وحق المروتين وزمزم * ان كنت الا لبسوة الريبال
أفري الجماجم يوم مشتجر القنا * وأجندل الابطال بالفصال
ذق كأس حنق عاجلا من هيفاء * تلقى الرجال بأسمر عسال

(قال الراوي) ثم انها ولت تهز غضبا وتستبطئ ضجا فعند ذلك وقعت الصرخة في الحي بقتاله وان الهيفا قتلت ابن عمها واسقته كأس منيته فركضت الناس حتى ينظروا ما الخبر ويقفوا على جلية الامر فنظروا ما فعلت به من ذلك الامر وخرج أيضا اخوها الامير عمرو فرآها تودمدم

وتزجر فسألها عن الخبر فخبرته بقصتها فتعجب من تلك الفعلة التي فعلتها ومن ذلك اليوم هابتها الرجال واخششت حرمتها الابطال وكانت تركب هي وأخوها الى القبائل ويغيرون على سكان الامياه والمناهل حتى دخل أكثرهم تحت طاعتها واستباحوا حرمتها ﴿قال الراوي﴾ وبينما هم في بعض الايام واذا قد قدم عليهم جماعة من العبيد الموكلين بالكلب وايديهم على رؤسهم يندبون غاية الندب ويدعون بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم ما بالكم وما الذي دهاكم وناكم فقالوا أيها السيد كنا كما امرتنا نحن وجميع العبيد والعرب تحمل الينا الغفارة المقيمين والسفارة واذا قد طلع علينا خمسمائة فارس في الحديد غواطس يقدمهم فارس طويل في تقاطيع الفيل ومعهم أموال جسيمة ونعم ضخمة فلما رأينا تلك الاموال ورأينا خلفهم الابطال فقدمنا اليهم نروم حظاهم حتى يردوا جوابهم وقد تبيناهم وعن أحسابهم وأنسابهم سألناهم واذهم من بني سليم الذي لم يرفعوا أذنة ولم يكشوا قط ضيم والمقدم عليهم عمرو بن لاطية السلمي فطلبنا منهم الغفارة بعدان بجلناهم وخاطبناهم بالامارة واذا بمقدمهم قد صاح فينا وزعق علينا وقال ياويلكم نحن ممن يعطي غفارة ونحن فرسان المنايا واسود الغابات ولو أنه عار علي انني أعوض سيفي بدم كلب كنت قتلته وقتلتكم معه وانزلت بكم الكرب ولكن أنا أعمل فيه علامة وأوقع به وبكم المذلة والندامة حتى اذا وصل الى صاحبه علم ان الهوان به لا بكلبه ثم انه يا مولاي نزل الى الكلب وقطع أذنه وعلقها في عنقه وشرم مناخيره وعرا ما عليه من جميع لباسه بعدان كاد يهد أساسه ويقطع رأسه ﴿قال الراوي﴾ فلما سمع عمرو من العبيد ذلك المقال ورأى كلبه مقطع الاذان مشوم الاحوال وزعق يالقضاعة يالقحطان فأجابته جماعته من الابطال والشجعان فقال لابد لي أن أقطع رأس عمرو وأقتله وأفعل به كل أمر صعب وأدوره في قبائل العرب ولا تركت من سليم من يمشي على قتب ثم انه صرح في بني عمه وسادات قبيلته

وركب من وقته وساعته فى ستمائة فارس أشوس عوابس ما منهم الا كل مدرع ولابس وهو فى أوائلهم وأخته الهيفا الى جانبه وكذلك سادات قومه وأهله وأقاربه ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على ديار بنى سليم وما كان عمرو ابن الاطية يظن ان عمرو ذو الكلب يسير اليه ولا يقدم عليه فبينما هو فى داره واذ قد وقعت الضجة فى العبيد وهم قد هربوا من المراعى وتلك البيد وهم يصيحوا يا أمير انجدنا فقد حل بنا لويل والتدمير وقد أقبلت علينا خيل ونحن فى المراعى فما سبقت قدامها الأمير ولا راعى فعندها انفرت الرجال وسمع عمرو بن الاطية ذلك فسأل عن الحال فقالوا له ان عمرو ذو الكلب وأخته الهيفا قناصة الرجال قد غزونا فى جماعة من الابطال وقد قتلوا جماعة من رجالنا وأبادوا عبيدنا وسرقوا منا ﴿قال الروى﴾ فلما سمع عمرو ابن الاطية بذكر عمرو ذو الكلب زادت ناره اشتعال وزاد به الكرب والبلبال فركب وقد غاص فى عدته وخرجت رجاله الى نجدته وأطلق لجواده عنانه وقوم بين أذنيه ولحق القوم وهم فيما هم فيه من الحرب وقد اباد هم بطعناته وضرباته وعمرو ذو الكلب وهو ينادى يا أوغاد غير انجاد يا ذليلين الادب أنتم تقطعوا أذان غفير العرب فلما سمع عمرو بن الاطية مقاله فتعين عليه قتاله ونادى يا سليم الكاشفين الضيم أى شئ هذا الغشر ثم انه صاح فى قومه وحمل وفعلت سادات قومه مثل ما فعل وحملت الرجال والابطال والتقاهم عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال فكان لهم يوم عظيم ما جرى مثله فى ذلك الاقاليم ولم يزل القتال يعمل والدم يسيل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن أقبل الليل بظلامه الحالك وولى النهار بضيائه الضاحك وافترقت الطائفتين وانفصلوا من بعضهم البعض الجمعان ولولا اقبال الليل كان قد حل ببنى سليم الويل الان عددهم كثير وبنى قضاعة فى خلق يسير فتحارسوا الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فكان أول من فتح باب الحرب والكفاح عمرو بن الاطية فقفز الى مقام الطراد وميدان الحرب والجلاد ونادى يا آل قضاعة ويا معدن الجحاجل

والرقاعة أنا عمرو بن الاطية الذى منعت عمرو ذا الكلب واليوم أقطع من الدنيا عمره ورزقه فدعه يبرز الى الميدان ومحل الضرب والطعان حتى يبان الشجاع من الجبان ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع عمرو ذو الكلب من عمرو بن الاطية ذلك الكلام عرف ما يريده من المرام فبرز اليه وصار هو واياه فى مقام الصدام ومحل الحرب والخصام وسارا يأخذا فى المقاربة والالتزام فنادى عمرو ابن الاطية الى عمرو ذو الكلب ياويلك يالئيم غير كريم أى شئ هذا الفشار العظيم على أمر بنى سليم أما تعلم انى أمير هذه القبيلة ولى فيهم المكرمة والوسيلة ثم نادى يابنى عمى خذوه على أطراف الرماح وقطعوه بشفار الصفاح ثم حمل فى بنى عمه وأراد أن يظهر على بنى قضاعة ربحه وهو فى أوائلهم وقد أشهر سيفه ورمحه هذا وعمرو ذو الكلب قد التقاهم فى بنى قضاعة الذى هم أهل القوة والشجاعة فكان لهم ساعة وأى ساعة وقد بلى كل منهم بما لا يطيق دفاعه فعند ذلك تحاربوا وتضاربوا بعد أن تقاربوا فلم ترى الا رأس طائر وحصان غائر ودم فائر وغبار طائر وبليوا بنى سليم من بنى قضاعة بحرب لا يستطيعون دفاعه ولم يزل السيف يعمل والدم يسيل والرجا تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه وقد سالت الدماء على الارض مثل السيل وقد حل ببنى سليم الحرب والويل وأتتهم كل بلية غريبة مما حل بهم من تلك المصيبة هذا وقد رجعت الطائفتين كل منهم الى مقامه واستقر فى مقامه وأكل ما قدر عليه من طعامه وتحارسوا الفريقان الى أن اصبح الله بالصباح وطلع النهار بنوره الوضاح وكان أول من فتح باب الحرب عمرو بن الاطية ركب وقفز الى الميدان ومحل الضرب والطعان ونادى يابنى قضاعة ياأهل التعدى والوقاعة أنا عمرو بن الاطية السلمى انا الذى منعت عن كليكم حقه وقطعت أذنه وزنبه وشققت مناخيره وقطعت من الدنيا رزقه وذلك استحقارا بصاحبه وسببا لقطع مأربه وسوف أرغم أنفه وأعجل حنقه فلما سمع عمرو ذو الكلب نداءه زاد غيظه وهز بجواده غضبا وقد زاد غيظا وتلهبا وأطبق عليه انطباق الغمام

وسار هو واياه فى فرد مقام وهو محل الحرب والصدام وجاء الجد ومضى العتب والملام فتجاولا حتى أذهلا سائر الانام وصار النهار عليهم ظلام فعند ذلك أطبق عمرو ذو الكلب على عمرو بن الاطيبة اطباق الاسد الادرع والليث الصميدع وألهبه واكربه وجاوله حتى أتعبه وطعنه فى جانبه اقلبه فمال عن مركبه يخور فى دمه ويطرب فى عندمه وحمل بعد ذلك على بنى سليم وتبعوه بنى قضاعة وأنزلوا عليهم البلاء والضيم فقاتلوهم ساعة من النهار فلم يجدوا لهم قدام اصطبار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولما اتسعوا اقدامهم فى القفار عاد الى حلتهم والديار ونهب أموالهم وأخذ نوقهم وجمالهم وعفى عن حريمهم وعيالهم وعاد طالب ديار بنى قضاعة وقد تبين للعرب ما هو عليه من الشجاعة وفرحت بما عمل أقاربه وهو سائر وأخته قناصة الرجال الى جانبه حتى التقى بعنتر بن شداد وجرى بينهما من ذلك الايراد وعاد اليه الفارس الذى أرسله يبصر الخبر وعاد اليه وأخبره ان هذا الفارس هو ابن شداد عنتر وعلم عمرو ذو الكلب ان هؤلاء القوم من بنى عبس فقال لمن معه من الرجال الاخيار فابشروا يا بنى عمى بأخذ الثار وكشف العار فان عنتر الذى قتل ابن عمى المتعصر بن فائز وأريد اليوم آخذ بثارى وأكشف عنى عارى فكونوا على أهبة الحرب والقتال فانى سمعت أنه فارس ليس له مثال وليس يقاس به أحد من الرجال واعلموا يا بنى عمى ان هذه القبيلة تسميها العرب الموت الزوام ولنا عندهم ثارة تالنا لهم غاية الشرف والفخار لانهم قد أذلوا الرقاب وخاضوا الامور الصعاب فان نحن نصرنا عليهم كما نصرنا على غيرهم كان لنا الشرف الاكبر والعز الافخر ولا يبقى أحدا فى العرب يضاهينا فى الفخار ولا يساوينا فى علو المقدار ﴿ قال الراوى ﴾ وما تم عمرو ذو الكلب كلامه حتى زحف اليه عنتر فى بنى أعمامه الى أن بقى بينه وبينهم رمية سهم النشاب فعند ها زعق عنتر وأعلن فى الخطاب ونادى يا بنى قضاعة من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا عرفه بنفسى فان مابى خفا أنا عنتر بن شداد الذى تهاب سطوتى الملوك

لشداد خلوا ما معكم من الاموال وانجوا بأنفسكم سالمين قبل ان يحل بكم
من يسقيكم الوبال ويذيقكم العذب المبين ويبدده كم عن آخركم أجمعين
او تصبحوا نادمين وان أرتم القتال والحرب والنزال فلم يبرز الا فارسكم
الاوحد وبطلكم الامجد عمرو ذو الكلب الذى طغى على الرب وتمرد وبغى على
السادات وأهل الرتب وقد استن شيأ ما فعله قبله أحد من العرب الا
ان كان وزر من جابر المكنا بالاسد الرهيص وكان قد صنع كذلك واتخذ له
كبش وأخذ به غفارة العرب فلما سمعت به سرت اليه وذبحت الكبش
فى داره وأكلت لحمه بغير اختياره وبعد ذلك أخذته برقبته ولا التفت اليه
وأسرته أول وثانى وثالث وبالنار أكلته وأطلقته لسؤال عمرو بن معدى
كرب وأخته ريحانه وكذلك بلغنى ان عمرو فعل كما فعاله فلعله
ما سمع بفعالى ولا زاق حربى وقتالى وها أنا قد نصحته ان قبل النصيحة والا
تركته بين العرب فضيحه وله الامر فى ذلك ان أراد السلامة من شرب كاس
المهالك (قال الراوى) فلم يتم عنتر كلامه حتى قفز اليه عمرو ذو الكلب
وصار قدامه وكان قد ركب جواده ومعتد بعدة جلاده وطلب الجولان
فى حومة الميدان ثم انه جال وصال ولعب برمحه العسال وكان غليظ طويل
من الرماح فهزه فى يده فصفه ولحقه فى تلك البطاح ثم انه أخرج مزود كان
معه على كفل الجواد وأخرج منه أنابيب حديد فركبها بعضها فى بعض
تركيب شديد حتى صارت رمح ثمانية عشر أنبوب وأخرج من قربوص
صرجه سنان أزرق له لمعان ورونق وركبه على رأس الرمح وصرخ بعنتر
صرخة تكاد القلوب لها أن تنفطر وارتج لها البر ثم انه صار معه فى مقام
الكر والفر ونادى به يا عبد السوء لقد افتخرت بغير فخر فكم رجالا
ذليتها وفرسان فى الحرب قهرتها تباوغد قومه ولئيم عشيرته أتعيرنى
بأسرك للاسد الرهيص الذى كنت على ذبح كبشه حريص وكنت قدرت
عليه وأسرته وبما كان عليه من التقدير أكلته واما أنا فقد أخذت جزية
الملوك وعفوت عن كل غنى وصعلوك ولا بد لى اليوم أن آخذ منك الثار

وأجللك بلباس العار وأقضي منك ديني وتقر بقتلك عيني وأخذ بثار ابن عمي فايز القضاعي الذي أسرته لما دخلت الى اليمن في تلك النوبة وسلمته الى خفاف بن ندبة فضرب عنقه وعدت الى خساسة أصلك وقبيح فعلك لانك أخذت سيد من سادات العرب سلمته الى عبد مثلك ماله حسب ولا نسب فاليوم اعجل حمامك وأسقيك كأس انتقامك ثم انه أنشد يقول

ذكرت سعاد عند يوم فراقنا ✻ وقالت لها كفي عن التعس والنكس
دعيني ففي قلبي من الهجر لوعة ✻ يجود دي بوصل منك تحيي به النفس
ولا تبعدي بالصد والجفا ✻ ولا تلزميني من حبك غير جلاس
فقالت أماو الله والركن والصفا ✻ وبالله واللوح المعظم والكرس
لم تشفني من أسود تقتلنه ✻ قسيمه أبطال الوغا حامية عبس
ويأخذه في الحرب والذل والاسى ✻ وتتركه بين الدكادك والرمس
والافالى منك نيل ومقصد ✻ وحال أبدا منك بالتعس والنكس
فقلت لها كفي سأترك عنترا ✻ رهين بقاع الارض تأوي به الرمس
واسألي الفرسان عني اذا التقت ✻ وجلت ومالت بالدروع واللبس
أجول على مهر من الخيل سابقا ✻ تراه كلمح البرق والطير الملس
فلا تفخري يا وغد عبس على الوغا ✻ وبأسك لما أن لقيت بني الفرس
فقحطان لا ينسون فعلي وموقفي ✻ وكل بني الدنيا من الجن والانس
سأترك عبلة تندب الآن دائما ✻ عليك وتبكي مع نساء بني عبس
أنا عمرو قد شاع في الناس ذكره ✻ واسألوا عني حسامي مع الترس

قال الراوي ثم انه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام انطبقا على بعضهما البعض كأنهما قطعتان غمام واعتركا في ذلك المقام حتى صارا الضيا في أعينهما ظلام وبعد ذلك افترقا للراحة والكلام فأجابه عنترة وهو يقول

فدع يا عمرو ذكرك بافتخار ✻ فأنت تعد من سقط المتاع
وانى قسمتا قسما عظيما ✻ وأحلف ما دعى لله داع
لعينين عبلة أستقي حسامي ✻ نجيع منك في يوم النزاع

ألا ياعبسل لو عاينت فعلى * اذا مال الشجاع على الشجاع
لشاهدت العداة اليوم ضربى * وطعنى للدحال بلى خداع
قضاعة وفى أتركها حيارى * بقاع الارض تأكلها السباع
عمرو الكلب فيها كلب ملقى * عليه الطير مع وحش الضباع
أبى شداد والحسب المضاهى * ومن هو كان عالى الارتفاع
فهذا السيف من تلك المواضى * وهذا النور من ذاك الشعاع

﴿قال الراوى﴾ ثم انهما لما فرغا من الشعر والنظام عادا الى ما كانا عليه من الكر والفر والثبات والفرار والمستقر والرد والصد والهزل والجد والمطابقة والمرد والصدام والمماسكة والالتزام وشرب كأسات الحمام وتجرع الموت الزؤام وتطاعنا طعن الحنق ولمع على رؤسهما صارم المنايا وبرق وصارت الاعين مثل العلق وتعبت السواعد وزادت الاوابد وعظمت الشدائد وهما فى ضرب بهند وطعن بعد الى أن أظلم الظلام وأقبل الليل بالغسق وغابت الشمس تحت الشفق وعاد كل واحد منهما عن صاحبه وافترق وطلب الراحة والانفصال فقال عنترا وحق الملك المتعال لا تطمع نفسك فى راحة فما هى لك مباحة وان كان ولابد من ذلك فانزل قبالى وأنا أنزل قبالك فما بقى بيننا انفصال حتى يبلغ أحدنا الآمال فانا ما جرى لى بهذا عادة أن افارق خصمى الا بالانفصال ثم انه أثنى رجله ونزل وفعل عمرو ذو الكلب مثل ما فعل فأتوهم الفرسان من قومهم بطعام وشراب فأكلا وأخذوا لهم راحة على تلك الارض والتراب حتى أصبح الصباح وأضاء بكوكبه ولاح وركبا الاثنان وقاموا لاستيفاء الدين وفتح باب الحرب وأخذا فى معانات الطعن والضرب وانطبقا على بعضهما بعضا وجالا طولا وعرضا حتى تدكدكت من ركض خيولهما الارض حتى قلت منهما العزائم وضعفت الايادى عن قبض الشكائم ثم قوى الحر ونفخ عليهما البرد فوقفا للراحة والكلام حتى ينشد كلا منهما شعر ونظام فعندها أنشد عنتر يقول

يا جاهلا بمكانة الفرسان * هل استبق رهنت الفيلقان
يا ابن الزنا أما سمعت بهمتي * وتوصلي وبجحفلي ومكاني
من أي قوم أنت لاسقيوا الندا * فتقال كأس الموت عند طعاني
اليوم آخر يوم عمرك ان في * كفي كعوب أسمر بسناني
أوما علمت بأنني أسد الوغا * لما غدت كل الورى تخشاني
أوما علمت بأن دهري صارم * في راحتي والعالمين بناني
أوما علمت بأن جندي بازخ * حتى علا شرفا على كيوان
والاسد تخشاني وتعرف حتى * وأنا الصبور اذا الزمان غشان

﴿قال الراوي﴾ لهذا الكلام لما سمع عمرو ذو الكلب من عنترة ذلك الشعر والنظام صاح عليه يا ولد الحرام لمثلي تقول هذا الكلام وأنا الليث الهمام والاسد الدرغام شجاع المعامع يوم الزحام ثم انه أجاله على شعره وجعل يقول

الا يا وغد عبس سوف تلقى * حماما لا يخاف من القراع
وتشرب شربة فيها حمام * اذا عاقت فراعك في ذراع
لاني فارس بطل مكر * تقر لي الفوارس في القراع
سألت الرب يجمعنا قريبا * وقد وافى بقرب الاجتماع
ولي كفي تقيل المتن عضب * يداوي الرأس من ألم الصداع
سأشفي منك نفسي يا لئيم * وأكشف ما سيبقى من قناع

﴿قال الراوي﴾ فلما سمعا من بعضهما بعض ذلك الشعر والنظام وتفاوضا في القول والكلام حملا على بعضهما بعض واوسعا في المجال طولا وعرضا ولاقى كل منهما الى صاحبه وتقاطعنا ته ومضاربه ثم انهما انطبقا الاثنان كأنهما بحران وافترقا كأنهما جبلين وحان عليهما الحين وزعق على رؤس الاثنين غراب البين وكان لهما ساعة فيالها من ساعة تعلمت منها الفرسان الشجاعة والبراعة ﴿قال الراوي﴾ ثم هدر كل واحد منهما كأنه أسد هدار أو بحر زخار وعلم عمرو ذو الكلب ان عنترة فارس مغوار وبطل كرار يزيد الدرهم قنطارا ولم يزالا على هذا العيار الى أن مضى

النهار

النهار لانوار وغابت الشمس فى الاصفرار وأقبل الليل بالاعتكار فافترقا عن القتال ولم يزالا فى الرحلة كما تقدم ولم يزالا على ذلك الحال مدة ثلاثة أيام ولم يبلغ احدا من صاحبه مرام الى أن كان اليوم الرابع عند الصباح وقد بقيا أشباح بلى أرواح عندها قال عمرو ذو الكتاب بالله يا أبو الفوارس تمهل على وتصبر فى هذا المقام المنكر فأنت والله أوحد البدو والحضر وما لك فى زمانك مثيل ياذا البطل الجليل وقد شاهدت منك الغرض الذى ماله عوض وأنت والله فارس الزمان وأعجوبة العصر والاوان مع ما شاهدت فى بنى قحطان من الفروسية والاقتدار على الشجعان وها أنا مقرلك بالفروسية وعلو الشان يافارس عبس وعدنان وحق ذمة العرب الكرام وزمزم والمقام والبيت الحرام قد تعبت ووقع فى منا كبى التعب وقد عاينت منك العطب ثم انه من تعبه وقع الى الارض وترجل عن جواده وأرمى حسامه وعدة جلاده وسعى الى عنتر وقبل ركابه وسأله من فضله أن يتغذه من بعض أصحابه فترجل عنتر عن جواده وقد زال ما كان من التهابه واعتنقا بعضهما بعضا أعطاهما الزمام والامان وصار عمرو من جملة أصحابه والخلان فقال له ياحامية عبس رضيت بأن يكون ذهاب ما بقى من عمرى بين يديك ولا بخل بروحى عليك فأنت والله فارس الزمان وتاج بنى عدنان فوالله لقد قاتلت بنى عدنان الفرسان وبنى قحطان وخولان وبنى قرادة وديبان وبنى الريان ولاعجما والعربان ما رأيت أعصب منك ولا أشد قصب وحق ذمة العرب قد وقع فى منا كبى التعب ودب فى زنودى العى والضنا ﴿قال الراوى﴾ ففرح عنتر بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد واوعده أن يكون له بمنزلة الاخ الحبيب والصديق والنسيب وقال له ياوجه العرب أنا قد اغتلس الدهر أولادى وفزع عليهم فؤادى فلعل أن يكون عليك اعتمادى وتكون عرضا عما مضى ثم عاد كل منهما على ظهر جواده وعاد عمرو الى قومه وهو يكثر من شكر عنتر وحسن وداده وقال لاخته فناصة الرجال ياأختاه اليوم أنا عبسى ما أنا قحطانى وانى اريد ان أقضى بقية

عمري مع هذا الفتى الكريم الفارس العظيم فقالت له أخته وأنا أيضا معك
ولا أفارقك وكذلك قالت الفرسان من بني قضاعة التي معهم في
ذلك المكان وأجابوا بالسمع والطاعة لاجل علو الشان ودخلوا بني عبس
وصحبتهم بني قضاعة في ذلك المكان قاصدين ديارهم والاوطان الى أن وصلوا
الى أرض الشربة والعلم السعدي فالتقوهم بني عبس بالاجلال والاكرام
وخرجوا الى لقائهم أهل الحلة النساء والرجال وعنتر لا تنشف دموعه على ولده
مبسرة وابن أخته المطال وما بقي في الحي الا بكى لبكائه وأتى اليه وعزاه
لا الربيع بن زياد وأخوه عمارة القوار الكثير الكياد فانهما كان تسعهما
الدنيا من كثرة الفرح لانهما كان أعداء هذا والربيع يقول لاخيه أتبع الله
المقيمين بالماضين لان سعادة عنتر ولت وأيامه قد انقضت ولن الزمان
لا يرجعه وما كان أعطاه لو قد استرده وأنا أعرف بأن أجله قد اقترب وموته قد
وجب هذا وعنتر قد دفن قتلاه في جانب العلم السعدي وجعلهما في قبر واحد
ورفع على قبرهما مائة ناقة وجعل لحمها مباح للفقراء وأهل الفاقة وقد تحمل
على قلبه من حزنه عليهما ما ليس به طاقة لكن جعل يتسلى مع عمرو
الكلب وزيد بن عروة وقد أنزل بني قضاعة في أبياته وقد صار يقضي أوقاته
وقد جعلت عبلة تسليه وتحسن مداراته وتشغله عما هو فيه من الهموم وتزيل ما بقلبه من الغموم وتقول له ان الله العظيم أخذ ما أعطى وهو أحق بالاخذ والعطاء وما دمت أنت تعيش لنا وتبقى فايدخل على بني عبس لا بأس
ولا شقى ﴿ قال الراوي ﴾ لما كان يوم من بعض الايام ركب عنتر وركب
في صحبته عمرو ذو الكلب وأخته الهيفاء وزيد بن عروة ورجالهم الكرام
وطلبوا الصيد والقنص وغابوا في البرثلاثة أيام وعادوا الى الاحياء ومعهم من
الوحش شيء كثير وهم فراحى لقتلا عنتر وما نزل به من الآلام حتى انهم
وصلوا الى الاحياء وقربوا من الخيام وادا بالدنيا منقلبة وقد علت الضجة من
النساء والرجال والخدام وذلك النواح والعياط في أبيات بني قراد فسأل عنتر
عن ذلك الحال ممن لقيه من العبيد فقالوا يا مولانا قد قتل أخوك شيبوب

وأنزلت به الكروب فاندهش عنتر وحار وقد ألقاه النهار وإذا بالخزروف قد أقبل وهو مشقوق الثياب بادي الانتحاب وقد حثى التراب على رأسه وقد انزعجت سائر حساده ودموعه تجري على خديه كأنهم الامطار وقد اهلك نفسه مما يدق على صدره من الاحجار فلما رآه عنتر لم يتمالك عقله دون أن رمى روحه ولطم على وجهه الى أن برز الدم من مضربه وقعد ساعة كبيرة مغشيا عليه وهو لم يحرك يديه ولا رجليه لان أخوه شيبوب كان عدته وعمدته في الشدائد ومساعده على الاوابد ثم ترحل عمرو ذو الكلب وبكى وأن واشتكى وكذلك فرسانه والاذ عنتر من غشوته قام ودخل الى مضربه والخزروف في صحبته فرأى شيبوب مذبوحا وهو جسد بلى روح فلما رآه عنتر صاح ووقع مغشيا عليه وكذلك جرى على ولده الخزروف مثل ذلك واجتمعوا مشايخ بني قراد وعملوا على شيبوب مأتم عظيم وأكثروا من النوح والتعداد ولما افاق عنتر من غشوته فقال ائتوني بعبيد أخي شيبوب وكل من كان عنده في البيت فاتوا بالجميع الى حضرته فسألهم عما كان من أمره وقصته فقالوا له يا مولانا اعلم انك لما مضيت الى الصيد والقنص وتخلف شيبوب خلفك في الاحياء قدم عليه عبد من العرب واستجاره به فأجاره وسأله عن حاله فقال انني عبد من عبيد بني محارب وكنت أعشق أمة وهي تعشق غيري فغرت من ذلك ودخلت عليهما ليلا وهما نيام فذبحتهما مثل الاغنام ولم أجد من التجي اليه من الانام ويجيرني على طول الايام الا أخيك عنتر البطل الهمام والاسد القمقام ثم انه بكى وانتحب غاية الانتحاب فرحمه شيبوب وقال له وأجاره ولما رآه بتلك الذلة والانكسار وما كان عند الصباح فرأياه مذبوحا ورأسه مرمى عن بدنه وقد فارقته الروح والعبد الذي قد استجار به ما وجدناه ولا علمنا له خبر ولا وقفنا له على أثر ﴿ قال الراوي ﴾ فلما سمع عنتر هذا الخبر بكى وتحسر وقد طلقته الاسى والذعر وأنشأ يرثيه بهذه الابيات

أبكي عليه وأعددي * والدمع من عيني غزير

فلاحضرت لاجلهم * سيفي ورمحي والحسام

وانا الهمام لدى الوغا * اخا الشجاعة والطعان
ولكم أبيد فوارسا * فى الحرب بالعضب اليمان
وعزمتى فوق السها * وفى علوا لفرقدان
لى فى مقامات الحروب * قصائدا مثل الجمان
اسمى بعنترة الفتى * ليث الوغا بطل الزمان
وهمرى مضى مع سعادتى * واعمرمنى عاد فان

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام دفن أخيه شيبوب فى جانب قبر ولده ميسرة وابن أخته الهطال ونحر على قبره شئ كثير من النوق والجمال وحزن عليه حزنا شديدا ما عليه من مزيد حتى انه بقى لا يرد جواب ولا يعطى أحدا خطاب وامتنع عن الطعام والشراب مدة أيام وليالى تمام ولا يعلم من هو قاتل أخيه حتى انه يمضى اليه ويأخذ روحه من بين جنبيه وهو لا يدرى من فعل هذه الفعال ويأخذ ثاره منه ويطفى ما بقلبه من الاتقاد لانه ذائب القلب محترق الفؤاد (قال الراوى) وكان لسبب فى هذا الامور العجيبة والاحاديث الغريبة وذلك ان عنتر لما جرى له فى ايام صباه ما جرى من سرقة الابجر لما سرقه المختلس بن ناهب السلال وأرصله الى اللقيط بن زرارة ومضى اليه شيبوب وكشف خبره والتقى السلال عايد فى الطريق وعاد خلفه وأعلم به أخوه فقتله ودمره وساروا الى اللقيط بن زرارة وخلصوا من عنده الابجر والحجرة سكاب وقد ذكرنا هذا الكلام فيما تقدم فى هذا الكتاب وكان ذلك فى أيام نزولهم على بنى عامر وكان هذا السلال الذى هو المختلس يقال له جابر وبعد موته وسكنته المقابر كان له أخ يقال له سارح وكان داهيه من الدواهى من أصحاب الغضائع وكان سلال خبل خواض الهجار والليل وانه فى بعض الايام بينما هو دائر بين أطناب الخيام اذ وقعت عينه على جارية من بنات العرب الحرائر يقال لها زبيدة بنت صادر وكانت من نساء السادات الاكابر ولما رآها أحبها ولم يجد مرخطبتها فجمع أكابر عشيرته وقصد أبيها وهو جالس فى خيمته فقام اليه

وتلقاهم

وتلقاهم ورحب بهم وعزم عليه بالنزول لراحل الرحلة فما كان ذلك
الا بعد ساعة من الزمان وبعد ذلك استأذنت عشرة الملك زهير
في المسير الى بني عامر فاذن لها فعند ما امرت الجيش بالرحيل
فرحلة العرب من غير ثبوت والاتوا هذا وقد مج الجيش
الحادي والثاني الاتون من قصة فارس الطراد

من زلزل جمع الاوصار
وازل من في الحصون والاوجار
وحير العقول وفتت الاكباد
الامير عنتي ابن شداد

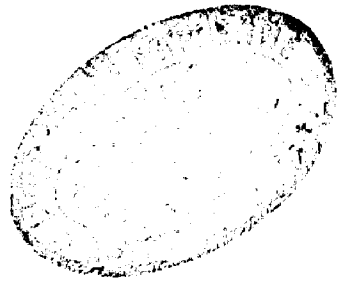

الجزء الثانى والثلاثون من قصة فارس
الطراد من زلزل جميع الاوهاد
وأذل من فى الحصون والاوتاد
وحـــير العقول وفتت
الاكباد وأذل كل
بطل من الابجاد
أبو الفوارس
عنتر بن
شداد

هـــذه من السيرة الحجازية

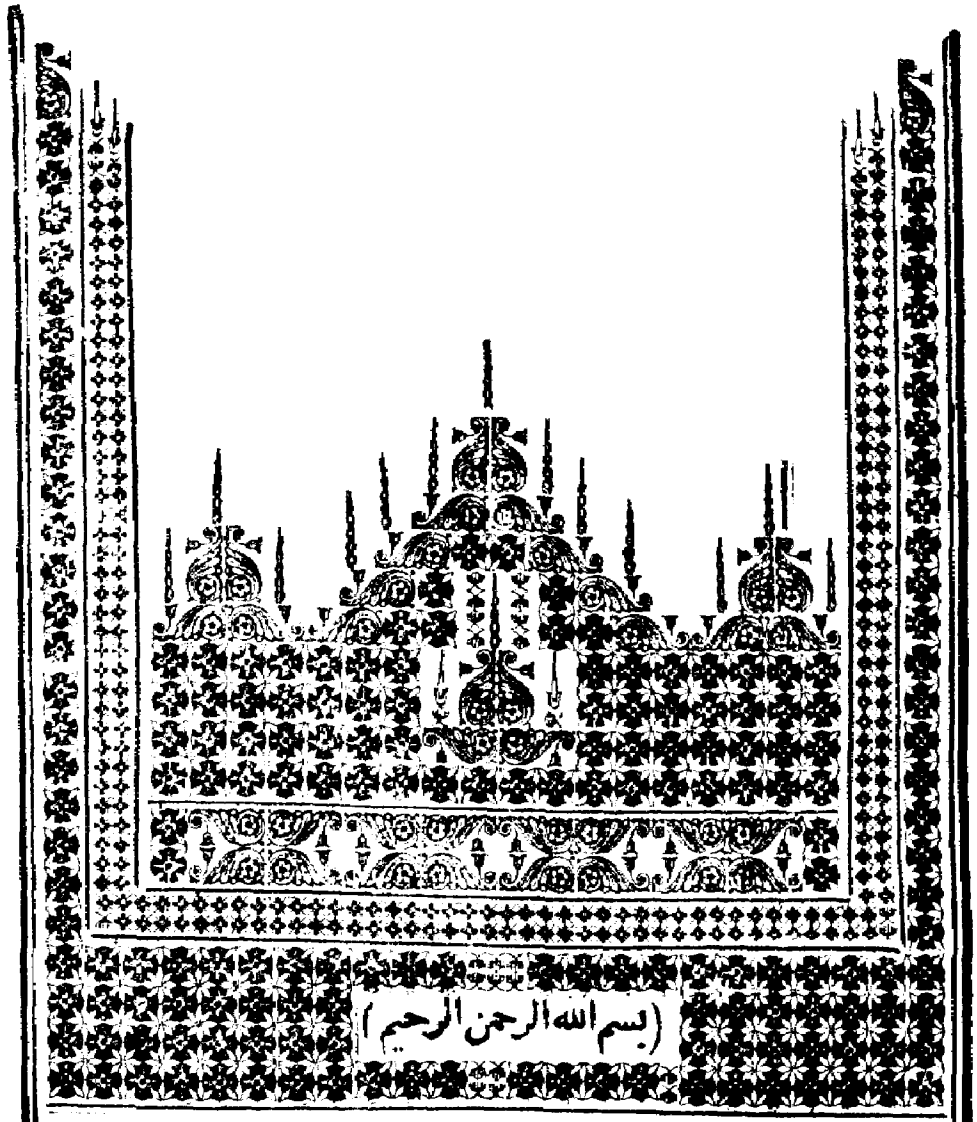

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قال الاصمعي﴾ هذا وقد أمرت عنيترة الجيش بالرحيل فرحلة العرب من غير تهاون ولا تطويل وساروا ذلك اليوم وتلك الليلة يقطعون الروابي والبطاح فصبحوا حي بني عامر صباح ولما قاربوا البيوت أكثروا من الصياح وظهرت بني عامر أيضا وقد ضاقت عليهم الاماكن الفساح وتدانت من بعضها بعض الفريقين وحان بينهما الحين وزعق عليهما غراب البين وتراموا باليدين والرجلين وأصابتهما العين وصار حالهما شين وقربت المواكب من المواكب وهزوا في أيديهم القواضب وقد بان المغلوب من الغالب وساروا بين مغلوب وغالب ومنكوب وناكب ومنهوب وناهب ومضروب وضارب وظهرت بينهم العجائب والغرائب وما نفع في تلك الساعة لاخل ولا صاحب ﴿قال الاصمعي﴾ لهذا الديوان وكان قد جعل

في أوائل

فى أوائل الفرسان أربعة وهم حماة بنى عبس وعدنان وأشهروا فى أيديهم السنان فيهم عنيزة بنت عنتر سيد الفرسان وخالها عمر وذو الكلب الاسد الغضبان وزهير بن الملك قيس سيد العربان وزيد بن الامير عروة بن الورد سيد الفتيان وعتيبة بن حصن الفارس القسور ثم انهم حملوا على ذلك الجيش وأذاقوا بنى عامر فى ذلك اليوم الموت الاحمر والبلاء الاكبر وأوردوهم فى أرواحهم العبر من سيوف لا تبقى ولا تذر ﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب الذى يجب أن نسوقه على الترتيب فعند ذلك تلقاهم عامر بن الطفيل وملاعب الاسنة والاخوص ابن جعفر وكان لهم يوم شديد أغبر كأنه من أيام الساعة التى هى أدهى وأمر وحمل أيضا مع بنى عبس خفاف بن ندبة ودثار بن روق ولهم عزيمة وهمة وكانوا كما قد ذكرنا قد أرسلهم لهم الامير دريد بن الصمة وحمل أيضا سبع اليمن بن مقرئ الوحش فارس النياق وحمل فى أثره عتيبة بن حصن ابن حذيفة وأبرزوا فى بنى عامر السيوف والرماح وأظهروا ما عندهم من الشجاعة والقوة ولم يأخذهم فزع وزادت منهم المروة وصاحوا صياح الليوث العوابس وانصبوا على مواكب بنو عامر أنصاب الليث العابس وقد أسروا ثلاثين كأنهم الجن والانس ﴿قال الاصمعى﴾ وقد أقاموا بنى عبس وبنى قضاعة وأقاموا الحرب على قدم وساق وطوقوا بالدم الرقاب والاطواق وضربوا الرؤس وأبروا الاعناق وحقوهم أى ألحاق وبلغت الارواح التراقى وأكثروا الصياح والزعاق ودهشت من شدة الكروب الاخلاق وجالت الخيل على بعضها البعض وانطرحت الاجساد على بسيط الارض ورأت فرسان بنى عامر وكلاب من بنى عبس وبنى قضاعه ساعة وأى ساعة فعند ذلك قال علقمة بن علاقه وكان من فرسان بنى عامر الموصوفة وشجعانهم المعروفة لبنى عامر يا ويلكم دونكم وهؤلاء الانذال لا تدعوا منهم سامع ولا ناظر وقربوا منهم الآجال واسقوهم كأس الهوان والوبال وضيقوا عليهم المجال وأرهبوهم ذات اليمين والشمال وخذوا بثاركم

منهم فلما سمعت بنى عامر ذلك القال والقيل مالوا على بنى عبس وبنى قضاعة كل الميل وحمل قدامهم علقمة بن علاقة ومروان بن مراقة وعامر بن الطفيل فاستقبلتهم عنيترة وعمرو ذو الكلب وزهير بن قيس وعتيبة بن حصن وزيد بن عروة ودنار بن روق وخفاف بن ندبة وقنامة الرجال وسبيع اليمن بن مقرى الوحش صديق عنتر وباقى الفرسان وأوقعوا ببنى عامر بالذل والهوان وأبلوهم بالحرب والطعان وأبادوا منهم الشجعان وأهلكوا الاقران ولم يزال الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تجندل ونار الحرب تشعل الى آخر النهار وقواطيل الانفصال وعادوا الى الخيام والاطلال وباتوا يتحارسان الى الصباح ولما ظهر النجم ولاح ركبت الفرسان على الجرد القداح بعدما اعتقلوا بالسلاح وطلبوا من بعضهم البعض الحرب والكفاح ونادى ملك الموت لا براح لمن يبيع روحه بين الارواح عند ذلك برزت الفرسان الى حومة الميدان فكان أول من برز من بنى عامر ملاعب الاسنة ورداد الاعنة فصاح وطلب البراز فبرز اليه واحد من بنى عبس فقتله وثانى فجندله وأسر منهم خمسة فرسان أقيال فلما رأت عنيترة الى هذا الحال خافت على رجالها من الوبال فبرزت اليه فى عاجل الحال وقالت له دونك والحرب يا ابن الاندال ويا فضالته أوباش الرجال فصاح بها غشم بن مالك وحمل عليها حملة الاسد الرئبال فتلقته عنيترة كأنها النمر الحردان وجالا اثنيهما فى المجال وأظهرا الاهوال وكانت عنيترة أثبت منه فى القتال وراوغته وضايقت عليه مجاله وطعنته بالسنان فى صدره أطلعته يلمع من ظهره فانجدل ومال كأنه قطعة من بعض الجبال فلما رأى بنى عامر هذا الحال حملوا على عنيترة من اليمن والشمال عند ذلك تلقتهم بنى عبس وبنى قضاعة كأنهم أسود الدحال وطال بهم المطال والحرب والقتال وجرى الدماء وسال كأنه السيل اذا سال وزادت نار الحرب اشتعال الى آخر النهار وقواطيل الانفصال ورجعوا عن المجال لما أقبل الليل بالاسدال وعول النهار على الارتحال ولما كان ثانى الايام

برزت عنيترة للجال وطلبت الحرب والقتال وهى تنادى يابنى عامر دونكم والقتال والطعن والنزال ولا يبرز لى الا فارسكم عامر بن الطفيل الذى خان العهود والمواثيق وأنكر صحبة الصديق وقتل زوجة أبى وأبوها وأخوها وعمل هذه العملة ولم يعلم ان صاحب الثار لا ينام فليبرز ذلك اليوم الى الحرب والصدام الا انها ما سكتت كلامها حتى سار عامر بن الطفيل قدامها فلما نظرته عنيترة علمت بما فى مراده فعند ذلك أنشأت تقول

أيا عامر يا ابن بنت العواهـــر ✽ أتاك القضاء من كف بنت الاكابر
ابى عنتر المعروف فى حومة الوغا ✽ همام البرايا ضـــار بابا البوتر
فكافئته لما توفى بفعـــله ✽ وجازيته بئس الجـزاء بالعشائر
اما كنت ترعى حرمة الود بيننا ✽ وتكرم له عبلة بطيب العناصر
ولكن جرى المقدور فيها فلا لمن ✽ يعز عليك اليوم ضرب العناتر
فقد قيل فى الامثال بيت مجرب ✽ جرى ذكره بين الورى فى العناصر
ومن يفعل المعروف فى غير أهله ✽ يلاقى كما لاقا مجير أم عامر

✽قال الراوى✽ ولما فرغت عنيترة من شعرها وما أنشأته من نظمها ونثرها حملت على عامر بن الطفيل حملة الاسد الدرغام وتضاربا بالحسام الصمصام وتطاعنا بالرماح المعتدلة أقوام وأخذ معها عامر فى الجد والكد والاخذ والرد والاقتراب والابعاد وكثر بينهما النمر والعناد وكان لهما ساعة تقشعر منها الاجساد ونظر عامر بن الطفيل من الاميرة عنيترة حرب ما رئى عمره مثله فى الزمان لا من فارس ولا من عشرة وسترتهما عن أعين الفريقين الغبرة وعلمت أم الزعازع أن عامر بن قدامها قليل المقدار فسطت عليه بقوتها سطوة جبار وحملت عليه حملة صادقة ما عليها عيار وضربته بالسيف صفحا على قفته فوقع من على الجواد وكادت أن تعدمه مهجته وبقى ممدودا على الارض من غشوته لان الضربة نزلت على رأسه مثل جمر المنجنيق فعدم منها السعادة والتوفيق وما فاق عامر من غشوته حتى انقض عليه الخز روف وشده شدا وثيقا وساقه قدامه وهو فى بحار الهم غريق ✽قال

الراوى ﴿ ولما نظرت بنى عامر الى حاميتها قد أسر و بعد العز ذل وقد قهر
اضحت عزائمها وارتعدت من الفزع قوائمها وحملت تروم خلاصه من يد
قناصة فاستقبلتهم بنى عبس و بنى قضاعة بقلوب غير مرتاعه وصدقوا
فى حملتهم فى تلك الساعه وكانت بعد عنيزة بعد أسرها العامر بن الطفيل
حملت على بنى عامر هى وخالها عمرو ذو الكلب و زهير بن قيس و زيد بن
عروة وسبيع اليمن ودثار بن روق وخفاف بن ندبة ودعسوا فى بنى عامر
واذاقوا هم الحرب المتعاثر وافنوا منهم الاكابر والاصاغر وعدم صبر بنى عامر
حتى لم يبق فيهم من يحارب ولا يضارب وداخل فى قلوبهم ما حير الخواطر
وأبهر النواظر وانصبوا عليهم بنى عبس كأنهم الاسود الكواسر فلم يجدوا
لهم بهم طاقة ولا على حربهم استطاقة فلم يكن لهم أوفى من الحرب فولوا
الادبار وركنوا الى الفرار لانهم لم يبق لهم على الثبات قوة ولا اصطبار فهجموا
على وجوههم فى القفار وتفرقوا فى السهول والاوعار وتبعتهم بنى عبس
وبنى قضاعة ومكنوا منهم الصارم البتار وما زالوا خلفهم الى آخر النهار
فرجعوا عنهم وقد حل بهم الفرح والاستبشار ونهبت العرب أحياء بنى
عامر قد نهبوا اموالهم ونياقهم وجمالهم وبعد ذلك دخلت عنيزة أبيات
عامر بن الطفيل ونهبت هى و رجالها ما فيها من الخيرات وأسرت كبشة ام
عامر واخته واحلت بهم الذلة وذلك لتأخذ منهم بثار عمها مالك و ولده
عمرو وابنته عبلة وأخذت جميع ما كان تبقى من أموالها وبذلك أخبرتها
رجالها وفرح زهير بن قيس بما كان من أحوالها وأخذت من عنده الدروع
الذى كانت لابوها عنتر ومن جملتهم الدرع الاحيحى وسيفه الضامى الابتر
وأخذت الخيل الذى كانت له ولم يعدم منها سوى الابجر لانه كما ذكرنا
أشرد عنه وقوع عنتر من عليه واستوحش فى البر الاقفر لان عبلة كانت
خذتهم معها لما اتزوج بها عامر كما أمرها عنتر وصارت كبشه أم عامر لما
رأت ما حل بها من ذلك الامر الجسيم تقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم والله ان ولدى كان عليكم ظالم وقد أصبح اليوم على فعله نادم وحرمة

العزيز الدائم هذا وبنى عبس قد نهبوا المضارب والخيام وسبوا الجوارى والمولدات والخدام وشالوا الحلة وأخذوا كل ما فيها ولم يدعوا شيئا لمنتفع وقد هجم على وجوههم الاخوص بن جعفر وقد رأى بعينه الموت الاحمر وباتوا بنى عبس وبنى قضاعة فى ذلك المكان وقد فرحوا بأخذ الثار وعلوا الشأن ومن الغد عادوا طالبين الديار والاطلال قاصدين أرض الشربة والعلم السعدى ليعمروا المنازل ويؤنسوا الديار ولا يعود أحد اعليهم يتعدى ﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا الى أن وصلوا الى الاوطان والديار ونزلوا فيها وقد فرحت بهم الديار وتعمرت الاوطان بالقطان والمنازل بالسكان ولما نزلوا ضربوا الخيام وأركزوا الاعلام وروجوا قدور الطعام وأنزعوا بواطى المدام وقد أخذوا فى اصطناع الولائم مدة سبعة أيام وضرب لعنيترة مضرب مكان أبيها على غدير ذات الارصاد وأنتها الشعراء والقصاد وكذلك زهير بن قيس نزل فى منزل أبيه وخرجوا بنى عبس وملكهم بما هو فيه وكذلك عتيبة بن حصن نزل فى منازل بنى فزارة وحلت لهم الفائدة بعد الخساره وتعمرت الديار بعد تلك الخراب واستأنست بأهلها بعيدان كانوا عنها غياب وهراب وكانت قفرة خراب لا يأويها الا البوم والغراب فسبحان الله العزيز الوهاب الملك العظيم التواب الذى اذا دعى أجاب واذا سئل أعطى بغير حساب يحكم فى خلقه ما يريد وله البقاء والنصر والتأييد ﴿قال الراوى﴾ وأقامت بنى عبس فى منازلهم والاوطان وقد خافت منهم وحسبت حسابهم جميع القبائل والعربان من بنى عدنان وبنى شيبان وبنى قحطان وخافت واخشت من عنيترة جميع الشجعان والاقران وقالوا لبعضهم هذا قد عاد ملك بنى عبس أحسن ما كان وقد تعوضوا عن عنتر بابنته عنيترة الذى أذل الشجعان وقهرت الاقران وأسرت مثل ذوالخمار ومثل عقبة الرقا الذى هم معدودين من فرسان الحرب واللقاء وأسرت مثل عامر بن الطفيل وقتلت بن خالته ملاعب الاسنة وأحلت به الفناء والويل وأخذت منهم بالثار وكشفت عن بنى عبس العار وشتت بنى عامر فى البرارى والقفار

وخلت منازلهم قفرا ما فيها ديار ولا نافخ نار ﴿قال الراوى﴾ ومضت الاخبار بذلك الى عمرو بن معدى كرب فتعجب كل العجب من ذلك واحتفل فى سادات قومه وسار الى بنى عبس السادات الغر ليهنى عنيترة بما أتاهما من النصر والظفر ومازل سائرا الى أن وصل الى بنى عبس ومن عندهم من القبائل فوجد المنازل قد أنست بالنوازل وازداد عددهم عما كانوا فى تلك الايام الاوائل لانهم كانوا فى أيام عنترا ربعة آلاف فارس والآن فقد صارت عنيترة وزهير فى اثنى عشر ألف فارس لان زهيرا قد اجتمع عليه من بنى عبس الذى تفرقوا الف فارس وبنى قضاعة قد جاؤا مع عنيترة وخالهما عمرو فى خمسة آلاف فارس وبنى فزارة قد اجتمع منها خمسمائة فارس ممن كانوا قد اختفوا فى الجبال وشئ منهم كان قد تخفى وسكن فى أحاقيف الرمال والباقى من فرسان العرب الذى قد أتت الى خدمة عنيترة لما بان منها هذه الشجاعة والقوة والبراعة وهم مثل دثار بن روق وخفاف بن ندبة لانهم راعوا ما كان بينهم وبين والدها عنترة من المودة والصحبة وكان كما ذكرنا قد أمرهم بذلك شيخ العرب دريد بن الصمة فاجتمعوا فى جماعة من بنى هوازن أهل العزيمة والهمم وكانوا قد ألقوها وأحبوا المقام عندها لانهم رؤها جيدة الخصال ولاجل ما كسبوا من المال والذوق والجمال ﴿قال الراوى﴾ ولما أتى الامير عمرو بن معدى كرب الى زيارة عنيترة ترحبت به وأكرمته غاية الاكرام وأنه وجد عندها الامير هانئ ابن مسعود فى جماعة من فرسان بنى شيبان الكرام لانه كان الآخر قد أتى الى عنيترة لاجل السلام هذا وعنيترة قد أقامت لجميع العرب بالضيافات والعلوفات وأكثرت لهم من الخيرات الزائدات وأصبحت أرض الشرية والعلم السعدى تريح بسكانها وتفرح بقطانها وقد بقيت أحسن ما كانت فى أول زمانها وسادات العرب مالهم حديث الا فى عنيترة لما بان منها من الشجاعة والقوة والكرم وحسن الشيم وجعلوا يقولون لقد أحيت عنيترة ذكر بنى عبس بعدما كانوا كأمس مضى من أمس لان والله من خلف

مثلها ما مات لانها قد أسرت جماعة من الفرسان والسادات مثل ذو
الحمار وعمته الزرقاء وأردتهما في الحرب واللقاء وقتلت بن بنتها أسد الفلاء
وأورثته البلاء ﴿قال الراوي﴾ وقد ذكرنا أن عامر بن الطفيل عندها
مأسور وقد أحلت به البلاء والثبور وقتلت بن خالته ملاعب الاسنة
غشم بن مالك وأنزلت به المهالك وكذلك عندها والدته وأخته في الاسر
والهوان فلما اجتمعت عندها سادات العربان فلم يجد والهم كلام في ذلك
الشأن وخلاص عامر مما هو فيه من الاسر والهوان لانه كما قدمنا معدود
من جملة الشجعان فعند ذلك سألها الاميرهانى بن مسعود وعمرو بن معدى
كرب بعامر بن الطفيل لاجل من معه من الفرسان فأجابتهم عنيترة الى
ذلك السؤال ولم تغلظ عليهم في المقال ولم يخطر لها ذلك الامر على بال ثم انها
أمرت باطلاقه في عاجل الحال وأخلعت عليه وأحضرته في جملة الرجال ثم
أقاموا عندها في ارغد عيش وأهنى بال مدة سبعة أيام وهم في أكل طعام
وشرب مدام وبعد ذلك استأذنوها في الانصراف فأذنت لهم في ذلك ولم يكن
عندها خلاف بعد ما أخلعت عليهم الخلع الحسان وساروا من عندها
وهم يتعايدوا ما فعلت في حقهم من الاحسان وأقامت هي بعد ذلك وقومها
وما اجتمع عليها من العربان وهم في أمان واطمأن برها من الزمان ﴿قال
الراوي﴾ وأما الفرسان الذي انصرفوا من عندها كل منهم قصد ماله من
الاوطان ومن جملتهم عامر بن الطفيل وقد ناله مما حل به من الاسر والذل
والويل لكن الشقاوة غالبة عليه بما قضاه الله تعالى من ايصال الكفر اليه
وذلك أن عامر لما وصل الى دياره ونزل فيها وقر قراره واجتمعت عليه العربان
الذي كانوا قد انهزموا في البراري والقيعان ونزلوا واستقرت بهم الاوطان
﴿قال الراوي﴾ ومما قضاه الملك الديان أنه لما بعث سيدنا محمد سيد ولد
عدنان وشاعت أخباره في سائر الاماكن والبلدان ودعى للناس الى
الاسلام والايمان وأرمى ما كان على البيت الحرام من الاصنام والاوثان
فبلغ ذلك الى عامر بن الطفيل فن خبث نفسه لم يلحقه عن ذلك فتور ولا

توان بل قال أريد أمضى الى هذا الرجل الذى شاعت أخباره وأغزوه
فى دياره فقد بلغنى أنه بمكة مقيم وأنه قد دعى الناس الى دين قديم وحط
القصائد عن البيت الحرام وأطاعته أصحاب كثيرة من الحاس والعام ولما
عزم عامر بن الطفيل على ذلك فأقبل على فارس كان قد نشأ فى بنى عامر
يقال له زيد بن ربيعة وكان الآخر كافر جاحد فقال له يا زيد هلم بنا لنقتل هذا
الرجل الذى قد ظهر ونقطع منه الآثر ودع لنا بذلك خبر يذكر فقال له
أفعل ما بدا لك فانى مطيعك فى جميع فعالك ثم اتفقوا على ذلك الحال
وساروا يقطعون البرارى والتلال وما زالوا كذلك الى ان وصلوا الى مكة
شرفها الله تعالى ونزلوا فى بيت امرأة تسمى سلوى وكانوا يعرفونها قبل تلك
القضية وهى أخت عبد الله بن سلول المنافق لعنة الله تعالى عليه ﴿قال
الراوى﴾ ولما أنهم نزلوا عندها واستقروا فى دارها صارت تخدمهم هى
وخدامها وجوارها وأقام عندها يزيد فرصة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبينما النبى صلى الله عليه وسلم جالسا فى بيت خديجة الكبرى والدة
فاطمة الزهرى واذا بجبرائيل قد هبط عليه وقال له يا رسول الله ربك يقرؤك
السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك ان رجلان من بنى عامر يقال
لاحدهما عامر بن الطفيل والثانى سيما زيد بن ربيعة العامرى قد أتيا اليك
ليقتلوك وهما قد نزلا فى بيت اخت عبد الله بن سلول المنافق وانهم قد
أملوا أملا بعيدا وقد أضلهم الله تعالى ضلالا شديدا وتبعا قول كل جبار
عنيد وربك يقول لك يا محمد ان أردت خسفت بهما الارض كما خسف الله
بقارون وان أخترت فهم على كل حال يهلكون فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رب أهد قومى فانهم لا يعلمون وقال يا أخى يا جبرائيل دعهما
فى غيهما وجهلهما يعمهون وقد وصف أخلاقه فى القرآن فقال عز من قائل
وانك لعلى خلق عظيم وخرج النبى صلى الله عليه وسلم وجلس فى المسجد
واذا بعبد الله بن سلول المنافق قد أقبل الى المسجد فى جملة الصحابة ودخل
وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف المنافق من المؤمن الصادق ولكن

كان المنافق يحقن دمه وماله بقول لا اله الا الله محمد رسول الله ﴿قال الراوى﴾ ولما أقبل عبد الله بن سلول الى المسجد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله أمضى الى دار أختك وأتينى بمن عندها من بنى عامر فسار عبد الله الى دار أخته لما سمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطرق الباب ففتحت له أخته وقالت له أهلا وسهلا بك يا أخى هل لك من حاجة فقال لها عبد الله يا أختاه هل عندكى ضيوف من بنى عامر من قرائب بعلك فقالت له نعم فقال لها دعيهم ينجوا بأنفسهم والا أهلكهم محمد بن عبد الله فلما سمعت ذلك منه تغير لونها واضطرب كونها ودخلت من وقتها وساعتها الى عامر بن الطفيل والى زيد بن ربيعة العامرى وقالت لهما قوما وأنجيا بأنفسكما من العطب والا قتلكما محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أشرها قتلة ومثل بكما أقبح مثلة فلما سمعا ذلك الكلام من اخت عبد الله قاما الى خيولهما فركبوها والى عددهما لبسوها وخرجا من وقتهما وساعتهما وقد سارا فى البر على وجوههما هاربين والى النجاة طالبين وقد سارا فى حيرة عظيمة فى ذلك البر الاقفر وقد اعتراهم الخوف والكدر الى أن وصلوا الى بنى عامر وكل واحد منهما عقله من رأسه طائر وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاعتداء من عامر بن الطفيل فدعى عليه وقال بلاه الله بغدة كغدة البعير فطلع له شئ فى رقبته يسمى الخوانيق فلما وصلوا الى بنى عامر ضعفوا أيام كثيرة واستجابت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عامر طلع له غدة فى رقبته حتى صارت كالطبل العظيم ولم يزل بها حتى هلك فلعنة الله عليه ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من عنيزة وبنى عبس وأحوالهم فانهم لما أقاموا فى أرض الشربة والعلم السعدى وقد بلغوا من النصر على الاعداء آمالهم وهم فى العيش الرغيد والجمع العديد واذا بنجاب على ناقة طويلة الحظام وهو قد أقبل من بين تلك الروابى والاكام حتى أشرف على أرض الشربة والعلم السعدى وهو راكب على ناقته وهو بها يحدى ويعيد ويبدى فلما بانت له الخيام وظهرت

له الرايات والاعلام ونظرته العرب فتسابقوا عليه العبيد والخدام فرؤه قد ترجل من على تجيبه من طرف الخيام وصار ماشى على الاقدام وسأل عن مضرب الاميره عنيتره فأرشدوه اليه الخدّام ومازال سائر حتى وصل اليها وقدم عليها وصار بين يديها فرآها جالسة فى مضربها وعندها سادات العرب وهى بينهم كأنها الأسد الاغلب وكل منهم ينظر الى ما أعطاها الله تعالى من الهيبة ومن شجاعتها وهى أيضا تتعجب كيف أذلت بفروسيتها فرسان البر والسبسب ﴿قال الراوى﴾ واذا بالحجاب قد أقبل فاستأذنوا عليه الخدام فأذنت له فى الدخول فدخل فترحبت به ولديها أقبل ولما هدى المكان من السلام والخطاب فأخرج من عمامته الى عنيترة كتاب وقال لها اذا قرأتيه وعرفتى مافيه ترد الجواب فأخذته عنيترة وسلمته الى زيد بن عروة وقد ذكرنا ان هذا زيد بن عروة لما مات عنتر كان صغير السن فوصى عليه عمر وذو الكلب فقبل فيه الوصية ورباه أحسن تربية فى العيشة الهنية المرضية وكنا ذكرنا أيضا ان أبوه قبل مماته قد علمه الخط والكتابة والفروسية والتصق بعد ذلك الى هذا الفارس الجسيم فخرج منه هذا المخرج العظيم وصار له يد طويلة فى الخط والقرائة والشجاعة وقد كان ذو قوة وبراعة فصار عند الاميرة عنيترة فى أعلا مكان وألطف محل وأعز شأن وهو الذى كان يكاتب لها سادات العرب وكان فيه فضل وأدب ﴿قال الراوى﴾ ومما اتفق من الامر انه كان فى تلك الايام لا زوجة له ترضيه لان زوجته كانت قد توفت التى كان قد تزوجها فى زمن أبيه وكان للاميرعمر وذو الكلب ابنة يقال لها الرباب ولم يوجد لها نظير فى الحسن والادب وكانت من ذوى الاحساب والانساب مليحة القد قاعدة النهد لها خصر نحيل وردف ثقيل وكان من محبة زيد بن عروة عند الاميرعمرو ذو الكلب زوجه ابنته وأقام عنده فى نعمته وعمل له الولائم ودام لها العز الدائم سبعة أيام وفى اليوم الثامن ضربت الزفاف وانقضى الامر ولم يبق فيه خلاف ودخل بها زيد بن عروة ووقعت بين الاثنين المحبة

والنجوة وأقامت معه مدة من الايام ورزق منها ولدا ذكرا كأنه بدر التمام فسماه عروة على اسم أبيه وتربى على أيدى العبيد والخدام وقد صار لزيد ابن عروة خيل وجمال ونعم وأموال وصار بعد من الابطال وصارت عنيزة لا تفارقه بحال من الاحوال ﴿قال الراوى﴾ ولما أتى ذلك النجاب وناول عنيزة الكتاب فأخذته منه وأعطته الى زيد بن عروة وأمرته أن يقرؤه حتى انها تسمعه وتعرف معناه واذا به من عند الملك المنذر بن النعمان وكان لذلك الكتاب له شأن وأى شأن قال وكان السبب فى ذلك وهو أن الملك المنذر كان فى كل سنة يحمل حملا الى الملك كسرى أنوشروان وهو شئ كثير من الاموال والهدايا والذخائر والتحف الغوال فاتفق من الامر العجيب والحديث المطرب الغريب أن المنذر قد جهز الحمل فى تلك السنة على جارى العاده وأرسله الى المدائن وسارت به الرجال وكان فى صحبة الحمل ألفين من الفرسان من السادات وكان المقدم عليهم عمرو بن هند أخو النعمان الذى كان أرسله الى بلاد اليمن ليرد بنى عبس لما ان كان النعمان عليهم غضبان وعادهم وأنزلهم فى أرض بنى عامر كما أمره أخيه النعمان وكان عمرو بن هند قد رزق هذا الولد التعيس وكان فارس رئيس يعد اذا برز الى الميدان بألف بطل من الشجعان وكان يسمى ماء السما ولما أراد الملك المنذر أن يرسل الحمل الى كسرى أنوشروان انتدب له بن عمه ماء السما حتى يكون لتلك الاموال حافظ وحمى وأرسله مع الحمل وصحبته ألفين من فارس أبطال وسار ماء السما بما معه من الاموال والنوق والجمال والصناديق الملآنة من الذهب والجواهر الغوال وطلب مدائن كسرى وتلك الاطلال وما زالوا كذلك سائرين على ذلك الحال وهم فى السوق الشديد الى أن وصلوا الى برية برقعيد والدواب بين أيديهم تسوقها الخدام والعبيد واذا قد طلع عليهم من جانب الوادى ألف عنان وهم على خيول أخف من الغزلان والكل من منتصرة العربان وكانوا خمسمائة من الروم الذى هم عبدة الصلبان يقدمهم فارس كأنه الاسد الغضبان وهو

أسمر اللون مليح الكون وقد نادى برفيع صوته بلسان فصيح ونطق مليح
ياويلكم ياعباد النار واللهب ويامن غضب عليهم الصليب خلوا
مافى أيديكم من المال والنوق والجمال وانجوا بأنفسكم فى هذه البرارى
الخوالى والاوحق المسيح وماوى حنا المعمدان انى أترككم رؤس
بلاأبدان وتحوم عليكم النسور والعقبان ﴿قال الراوى﴾ ولما سمع
ماء السما بن عمرو بن هند مقدم الجيش ذلك الخطاب من ذلك الفارس
المهاب نادى ياويلكم من تكون من الروم الكلاب أومن أصحاب الاصول
والانساب فعند ذلك تقدم اليه ذلك الفارس وانطبق عليه مثل انطباق
السحاب وقال لماء السما ياويلاك يقال لمثلى هذا الخطاب وأنا أسد الدحال
ومقتنص الابطال وفى هذا المقام يعرف عم أوخال أوتذكر أحساب
أوأنساب وهذا مقام الضرب بالصارم القرضاب ومحل قطع الرقاب ثم ان
فارس الروم بعد هذا الكلام انصب على فرسان بنى لخم انصباب الغمام
وتبعته الخمسمائة فارس والفارس يقدمهم كأنه الاسد الهجام وحملت معه
الالف الذى من العرب المنتصرة وطلعت على الطائفتين الغيرة ورهقتهم
الفترة وتضاربوا ضربات متواترة وصارت عقبان المنايا على رؤسهم طائرة
ودارت عليهم الدائرة وطمعت فيهم فرسان الروم والعرب المنتصرة وذلك
الفارس الرومى الذى على الفرسان قد تقدم فانه ساق الفرسان قدامه
سوق الغنم وبرى منهم كل ذراع ومعصم وقد ذل من بنى شيبان القدم
﴿قال الراوى﴾ وهذا الفارس الرومى ينادى ويقول أنا فارس الروم
والعجم أنا الغضنفر فارس هذه الارض وبن الملكة مريم ثم انه صار يجول على
الارض والدحال ويكردس بين يديه الرجال ويردى الاقيال ويرميهم ذات
الشمال فعند ذلك هابته الشجعان وولت من قدامه الاقران وتحاروا
فى الميدان وكل منهم يقول ماالخبر كالعيان وكانت ساعة من ساعة الزمان
انهزمت بنى شيبان وبنى لخم عن الغنية وطلبوا الهرب والهزيمة واعترض
الغضنفر الى ماء السما وقد طاب الآخر الفرار فتلقاه قبل أن ينهزم وقد

طعنه فى صدره بعقب الرمح أرداه فى تلك القفار فغاب عن الدنيا وكاد أن يحل به الدمار وتسلمته غلمانه الذى حواليه وأوثقوا بالشديدة ورجليه وبعد ذلك انحط على بنى شيبان وشتتهم فى البرارى والقيعان ولا زال يقتل فيهم ويأسر الى ان صار آخر النهار وعاد منهم وقد خلص الغنيمة وهو ذو فرح واستبشار وصار امام قومه وهو كأنه قد غرق فى بحر من الدم مما سال عليه من أدمية الفرسان وقد قتل من الروم مائة وخمسين فارس ومن القوم المتنصرة مثل ذلك ونزل الغضنفر وقد ضربت له الخيام ووقفت بين يديه العبيد والخدام وأعرضوا عليه الغنيمة الذى أخذوها من الدساكر الذى سائرة الى كسرى فوجدوا فيها شئ كثير لا يكيف ولا يرى من لؤلؤ وذهب وياقوت أحمر وقطع الزمرد الاخضر وفصوص المعادن والجواهر وأشياء تذهل العقول والبصر عند رؤيتها وشئ كثير من الخيول والجمال والنوق العصافرية والبغال وأكثرها محمل من الهدايا الغوال وأيضا معهم جوار وخدم وأموال ونعم تعجز عن جمع مثلها ملوك العرب والعجم ﴿قال الراوى﴾ ففرح الغضنفر بذلك فرحا عظيما وعلم ان طالعه مستقيم وقد أقام هناك ذلك اليوم وتلك الليلة ورحل بما معه من الاموال وقد تعجبت من فروسيته الابطال وكيف كسر بنى لخم وشيبان بشدة عزمه وقوة ساعده وهم ألفين عنان وأسر ماء السماء بن عم الملك المنذر وأخذه معه أسير وقد شد وثاقه بيديه بالقد وتركه على ظهر بعير وسار الغضنفر قدام فرسانه طالب قلعة برقعيد وبين يديه الاموال تسوقها الخدم والعبيد وقد بلغ من زمانه ما يريد وتلك الغنيمة قد سدت الفضاء وملأت المستوى ومازال سائرا الى ان وصل الى قلعة أهل الرشاق وجميع أصحابه وجماعته ﴿قال الراوى﴾ وقد أخبرت الرواة على أن هذ الغضنفر كان يحكم على أكثر من عشرة آلاف فارس من الروم منها خمسة آلاف أصحابه ومن خواصه وكانوا عنده فى القلعة مقيمين ومنها خمسة آلاف فى الضياع والرساتيق دائرين وكان هذا الغضنفر قد نشأ فى ذلك

الزمان وقد طلع فارس لا يوجد مثله فى الآفاق ولا نظر أحد اشكاله لا فى الشام ولا فى العراق *(قال الراوى)* ولقد سألت عن هذا الفارس ونسبته وفى أى أرض وبلاد كان منشأه وتربيته لان حديثه عجيب وقصته توجب الطرب وكيف لا أسأل عنه وقد كسر فى ساعة واحدة ألفين فارس من بنى شيبان ولخم وهما من سادات العربان وفيهم مثل ماء السما وكان يعد بألف فارس من الشجعان وأيضا ان كان الغضنفر هذا ما يقاتل يحامى عن نفسه وعن جميع من معه من أهل قلعته ومن فرسانها ورجالها مثل ما تحامى اللبوة عن أشبالها وذلك ان هذا الفارس كان قد نشأ فى القسطنطونية عند ملك الروم قيصر وكانت والدته بنت أخو الملك يقال لها الملكة مريم وقيل أنها من خواص سراريه وقد رزقت هذا الولد وكان أسمر اللون وله سواعد شداد مثل العمد وكان الملك قيصر كلما رآه مال قلبه اليه وأحبه ولكن كان فى بعض الاوقات طبعه ينفر منه لاجل سواد لونه دون الروم ولما دخل فى قلبه الشك من أجل ذلك اللون الذى قد صار فيه فقدمه على خمسة آلاف فارس من الروم وهو دون البلوغ وأرسله هو وأمه وجوارها وجميع أموالها ودخائرها وما يعز عليها الى قلعة برقعيد وكانت هذه القلعة حد ملك قيصر من ملك الملك كسرى وكان الملك قيصر أقصى مراده ان يجعله فى تلك القلعة الا ليكون فى وجه العدو وليدفع من يريد له بسوء فسار الغضنفر بعسكره كما رسم له عمه الى ان أتى الى قلعة برقعيد وكانت هذه القلعة عظيمة فوجدها قلعة حصينة ولكن أرضها بربة مخيفة غير أمينة فصعد الى تلك القلعة وأقام فيها وجعل معه فى القلعة من ذلك الجيش من هو مثله فى العمر وأكبر منه ودونه والبعض كان من قرائبه وقريب أمه ثم انه استخدم أيضا من كان قد انضاف اليه خمسة آلاف بالديوان وجعلهم فى الضياع والرساتيق لانه عمر تلك الآفاق وجعلهم يستخلصون له الخراج ويرفعون اليه الاموال فى كل عام

(قال الراوى) ثم بعد ذلك تفرس الغضنفر وسار يركب فى خمسمائة

فارس وأكثر ويتصيدهم طول النهار ويهجم الغابات ويقتنص منها السباع الضاريات ويقهرها بقوة ساعده فى كل الاوقات وقد سار له بهذا عادات ومازال كذلك على ذلك الحال أيام عديدة وليالى الى أن بقى له من العمر عشرين سنة فسار يبارز الفرسان ويقهر الشجعان ويرميهم فى الميدان مدة من الايام وسطى على الفرسان وزاد أمره وعظم شره وما رأى قافلة دخلت عليه من تلك الارض يلقاها وحده وما معه الا فرسان قلائل من جيشه وجنده ومازال على ذلك الشأن الى أن سمع بتلك الغنيمة التى هى سائرة الى كسرى أنوشروان من عند الملك المنذر وأخبره الذى أتى اليه باخبر أن معها ألفين فارس من بنى لخم وشيبان فقال وحق المسيح لاسرت اليهم الاوحدى ولا آخذ معى أحدا من جيشى ولا من جندى فقالت له والدته بحق المسيح ياولدى لاتفعل هذه الفعال وخذ معك ما يعينك من الرجال وكذلك قامت عليه أرباب دولته وجماعة من أهله وعشيرته فصحب معه تلك الخمسمائة من الروم والالف من العرب المنتصرة وسار فى طلب الغنيمة وقد وقف مرتقبا للفرسان فى فم المضيق حتى أنهم يعبرون على الطريق وكان ذلك الموضع مسيرة يوم وليلة من القلعة فى ذلك البر الاقفر وسار الغضنفر وله قلب أقوى من الصخر ❊ قال الراوى ❊ فبينما هو كذلك سائر قدام قومه فى تلك القفار الى أن عبر عليهم نصف النهار وقد نفخ عليهم البرنار واذا قد اعترضهم أسد فى تلك الطريق وهجم عليهم وأحل بهم عن المسير التعويق وكان ذلك الاسد قد خرج عليهم من بين الغابات والشجر وهو أسد أغبر المحجر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى بالصياح اذا زادو زجر له أنياب أحد من النوائب ومخاليب أشد من المصائب واسع الاشداق عبوس ضيغم أفطس الانف أدغم يسمع من غرغرته الرعد اذا همزوهمهم وتنظر البرق من عينيه اذا أظلم الليل وأقتم وهو كأنه القضاء المبرم وهو كما قال فيه الشاعر كلام يفهم هذه الابيات

وليث عبوس يصدع القلب وثبته ❊ وترتعد الابدان من عزم صرخته

بشدق تراه كالقليب ومحجر * كشعلة نار فى الدياجى وظلمته
وأنيابه مثل الكلاليب اذا بدت * يروع قلوب الناظرين برؤيته
اذا مارأته الخيل صارت شوارد * الى القاع تخشى من تعاظم سطوته
(قال الراوى) ثم ان ذلك الاسد طلب الخيل وهو يتمايل على جنبيه
وفى مشيه يتمختر ولما رأى ذلك الغضنفر قال لاصحابه لافيكم من يخطى
من مكانه حتى تنظروا مايكون من شأنى وشأنه ثم ان الغضنفر ترجل عن
ظهر جواده وخلع عن عدته وأدار أذياله فى ثغور منطقته وأخذ سيفه بيمينه
وأخذ فى شماله درقته وتقدم بخطر الى الاسد بقلب أقوى من الصخر والجلمد
ومازال ماشيا على قدميه حتى قرب منه ووصل اليه فلما نظره الاسد امتد
حتى صار كمثليه ثم انجمع بعد ذلك حتى صار كثلثيه وحمل على الغضنفر
وحمل الآخر عليه وضربه بالسيف بين عينيه فمن قوة الضربة وشدة حيل
الاسد طلع السيف يلمع من بين فخذيه فعندها ارتاعت قلوب الفرسان
من تلك الضربة لما نظروا اليه *(قال الراوى)* هذا وقد رجع الغضنفر
بعد ما مسح سيفه فى جلد الاسد وقد تركه على التراب ممدودا ورجع ركب
جواده وفى عاجل الحال وهو كأنه ما عمل شيئا من تلك الاعمال ولم يزل سائر
هو ومن معه من الفرسان الى أن التقى بماء السما بن عمرو بن هند أخو
النعمان وجرى له معه ومع قومه ماجرى من ذلك الشأن واحتوى
الغضنفر على جميع الغنية وطلب ابنى لخم وبنى شيبان الهزيمة ورجع هو
وقومه قاصدا الى قلعته وطلع اليها واجتمع بأهله وعشيرته ونظر والدته
الملكة مريمان الى ماقد أتى معه من الاموال والذخائر الثمنة والنوق
والجمال وتلك الصناديق المحملة على البغال ففرحت بما بان منه فرحا شديدا
زائدا عن الحد لكون أن ولدها قد صار حامية تلك الارض *(قال الراوى)*
هذا ما كان من الغضنفر ورجاله وماجرى لهم وأما ما كان من حديث
المنهزمين الذى من بنى لخم وشيبان وأحوالهم فانهم لم يزالوا فى هزيمتهم الى
أن وصلوا الى مدينة الحيرة وكل منهم فى ذل وحيرة ودخلوا على الملك المنذر

وقد عميت منهم البصيرة وهم صارخين مولولين وقد حل بهم الذل والخبال وجعلوا ينادوا ويقولوا أيها الملك نهبت الحلل والاموال وقتلت الرجال وساءت بها الاحوال ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك المنذر ذلك المقال تغيرت منه الاحوال وتغير لونه واضطرب كونه وقال للوزير أنظر ما ترى من الرأى والتدبير واصرف همتك الى ما ترى فى هذا الامر الذى قد صار عسير وكان وزير المنذر فى ذلك الزمان زيد بن عمرو بن نفيلة العدوى وزير الملك النعمان وكان قد طلع مثل أبيه رجل فاضل خبير وكان ذو عقل ورياسة وأدب وفضل وسياسة فقال له أيها الملك انى سمعت عن هذا الغضنفر أنه فى ذلك الزمان فارس البدو والحضر وأنه فارس لا كالفرسان وبطل تخضع لفروسيته الشجعان وماله الا فارس مثله وبطل شكله كشكله ويكون يفعل فى الحرب كفعله وما يوجد اليوم له مثيل فى الزى والمخبر الا ان كان أم الزعزع عنيترة بنت عنتر الذى من بعض فعالها أسرت ذوا الخمار وعامر بن الطفيل الفارس المغوار وقتلت مثل ملاعب الاسنة فارس بنى عامر وأحلت به الويل واذا أرسلنا اليها نعلمها بذلك الخبر فهى تأتى الى الخدمة بقوة قلبها وشدة عزمها وتكشف هذا الضرر وترجعه على يديها النصر والظفر والايام لك ان أرسلنا الى الغضنفر جيش آخر فانه يكسره وتخرق الهيبة ويبقى أمر وضيع منكر ويروح منك ناموس الملك ويحل بنا العبر وأنا الرأى عندى أيها الملك أن ترسل الى ابن خالك زهير بن قيس الذى قد بان لك على يديه قبل الآن على الطير فانه يأمر ابنة عمه عنيترة بالمسير هى وبنى عبس وبنى قضاعة فانى أعلم منها انها اذا سمعت بذلك فتأتى ولم تتأخر وترسلها من هاهنا أنت الى الغضنفر فانها تريقه الموت الاحمر وتنزل به بضاعتها الذل والعبر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك المنذر من وزيره ذلك الكلام فرح وابتشر بهذه الاسباب وأمر للوزير فى عاجل الحال ان يكتب اليهم كتاب وأن يسرع بأرساله مع النجاب ففعل الوزير ما أمره به لما سمع من المنذر ذلك الخطاب فأرسل بالوقت النجاب فسار من ساعته

طالب أرض الشربة والعلم السعدى وهو يلمع فى ذلك البر ولناقته يحدى
حتى وصل الى الديار والاطلال فرأى الى حلل ترتج بسكانها من كثرة
مافيها من الرجال والاموال فلقيه بعض العبيد فسأله عن ماجاء فيه من
الاحوال فقال النجاب أريد الاميره عنيترة بنت عنتر فقال له العبد الانتظر
الى ذلك البيت الرفيع العماد الاحمر فأمضى اليها واستأذن بالدخول عليها
واشرح لها حالتك فانها تقضى لك حاجتك وان كنت مظلوم فانها تعينك
على ظلامتك ﴿قال الراوى﴾ فسار النجاب قاصد المضرب فرأى العبيد
تمرح وتلعب وهم فى أمن من غير الزمان وفى غاية مايكون من الاحسان فلما
رؤا العبيد الى النجاب تسارعوا اليه وأعلنوا بالسلام عليه وسألوه عما جاء
فيه وأبدى لهم الامر ولم يخفيه فاستأذنوا اليه فى الدخول فأذنت لهم بدخول
الرسول وكانت جالسة وفى حضرتها من قدمنا ذكرهم من الاصحاب والى
جانبها الملك زهير بن قيس وهو كأنه الاسد الوثاب فدخل عليهم النجاب
فى عاجل الحال وقبل يديها وأوصلها الكتاب فأخذته وناولته لزيد بن
عروة وأمرته أن يقرأه حتى أن تسمع كل الحاضرين مافيه وتعرف معناه
﴿قال الراوى﴾ ورجعنا الى سياق الحديث والخبر فعند ذلك فضه زيد
وقرأه ولما سمعت عنيترة والملك زهير ومن حضرهم من الاصحاب ماقرأه زيد
ابن عرو من الكتاب فقالت عنيترة للملك زهير ماترى ياملك فى هذا الحال
وأى شئ الذى تراه من الاعمال فقال لها زهير مافى الامر الا المسير وسرعة
الجد والتشمير ونكشف عن ابن عمى الملك المنذر هذا الامر العسير وكذلك
قال كل من كان حاضر قرأة هذا الكتاب وسمعوا ماجاء به النجاب وعرفوا
ماجرى من تلك الاسباب وهم كما قدمنا فرسان الاعراب الذى كانوا قد أتوا
للسلام والتهنئة مما وصل اليهم من الانعام فقالوا كلما نسير فى خدمة
أم الزعازع ولبوة الوقائع فقالت عنيترة لا وحق ذمة العرب وشهر رجب
لا سار الى الملك المنذر فى قضاء حاجته الا أنا وحدى وبنى عمى لا غير ولا
يكون فى صحبتنا الا ابن عمى الملك زهير وأما أنتم أيها السادات الاخيار فاننا

ما ندخركم الا للمهمات الكبار واذا أتانا شئ أقوى من هذا فذلك الوقت يكون ما تريدوه من الاختيار فتعجبوا الحاضرين من قوتها وما منهم الا من اعزها واحبها وتمت فرسان العرب على ما هم عليه وما هم فيه بقية ذلك اليوم في أكلها وشربها ﴿قال الراوي﴾ ولما كان من الغد ودعت عنيترة والملك زهير من كان عندهم من الفرسان وسار كل منهم يطلب دياره والاوطان ولما أن تفرقت سادات العرب من عند عنيترة وقد أوصلت اليهم الخير الكثير فقالت الملك زهير يا ملك ما بقى غير المسير فقال لها نعم ما تفعلين وما اليه يا ابنة العم تشيرين فعند ذلك أمرت عنيترة للفرسان بتجهيز حالها فسمعوا الجميع لمقالها واهتموا في اصلاح العدد والسلاح وقد تجهزوا للسفر والرواح ﴿قال الراوي﴾ ولما كان بعد ثلاثة أيام سارت بنى عبس وبنى قضاعة يقدمهم عنيترة وزهير وعتبة بن حصن وزيد بن عروة وسبيع اليمن بن مقرى الوحش ومن يشاكلهم من الابطال وأقامت الهيفاء أم عنيترة هي وبعض الرجال لاجل حفظ المنازل والاطلال وسارت الجيوش والفرسان يقطعون الاوديه والقيعان وينزلون على المنازل والوديان والمناهل والغدران وما زالوا كذلك الى ان وصلوا الى الحيرة فوجدوا عليها جيوش كثيرة فنزلت العشائر في المضارب والخيام ودخل الملك زهير وعنيترة على الملك المنذر لاجل السلام وفي حال دخولهم كانت عنيترة داخلة والى جانبها اليمين زهير بن قيس البطل الهمام والى جانبها اليسار عتبة ابن حصن وبين أيديهم العبيد والخدام ولما رآهم الملك المنذر فرح بهم وقام لهم قائما على الاقدام وترحب بهم غاية الترحيب لان كل منهم له قريب ونسيب وأجلسهم الى جانبه وسار واعنده أعز من أهله وأقاربه وقد قرب عنيترة اليه من دونهم غاية التقريب لانه سمع عنها كل أمر عجيب وجعل يحادثهم ويباسطهم في الكلام الى أن حضرت الرجال بالطعام فأكلوا ما طاب لهم ورفعت الاوانى الخدام وبعد ذلك قال الملك المنذر يا أم الزعازع ولبوة الوقائع قد حدث علينا أمر مريع وحال شنيع وهو أني أرسلت الحمل

الى الملك كسرى حكم الرسم والعادة وأرسلت معهم ألفين فارس والمقدم عليهم بن عمى ماء السما وذلك لما مشيئة والارادة فوافقتهم فى الطريق قلة السعادة والتوفيق فخرجت عليهم خيل من بربة برقعيد وهم مقدار ألفين فارس صناديد وقد بلغنى أنه قد كان مقدم عليهم بطل عنيد وفارس صنديد وذلك الفارس يقال له الغضنفر بن دادة الملك قيصر وقيل أنه بن ابنة أخو الملك وهكذا قالوا عنه فى الخبر وقد خرج منه فارس عظيم لا كالفرسان وبطل لا كالشجعان وقد قطع عليهم الطريق وأعدمهم السعادة والتوفيق وأخذ منهم الحمل بعد قتل الفرسان وأسر بن عمى وقد حل بهم الذل والهوان وقد زاد لذلك همى وغمى والمراد من احسانك يا أم الزعازع ولبوة الوقائع أن تسيرى بن معلك من بنى عبس وبنى قضاعة وأسعفك أيضا بعشرة آلاف فارس ممن يعرف بالفروسية والشجاعة ليوث عوابس وسيرى بهم الى قلعة برقعيد وتخلصى الحمل وابن عمى ماء السما من ذلك البطل العنيد وتخربى تلك القلعة وتعودى الى فى عاجل الحال مسرعة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعت عنيترة ما أخبرها الملك المنذر من ذلك المرام فقالت أيها الملك الهمام وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وحرمة الواحد الاحد الفرد الصمد الذى خلق الانسان من ماء مهين وجعله أبيض وأسود وأحمر وأخرج الماء من ضم الحجر الجلمد ما تبغى من فرسانك أحدا لا أبيض ولا أسود ولا آخذ معى غير الف فارس من بنى عمى وخمسمائة من بنى قضاعة وأقضى حاجتك وأعود ممتثلة الامر بالسمع والطاعة ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الملك المنذر من عنيترة ذلك الكلام تعجب وأخذه الفرح والطرب وقال ها قد أحلف الله على بنى عبس عنيترة ابنة عنتر بن شداد واحيا ذكره بين العباد فى سائر البلاد وقال يا أم الزعازع ليس بالكثرة من باس ولا يزهما أحد من الناس فقالت عنيترة أيها الملك وحق من يعلم تردد الانفاس وخلق لهذه الصورة الآدمى وما فيها من الحواس ما أسير الى هذا الامر فى أكثر من ألف فارس ممن يكونوا يحملوا همى وضيرى ولا أرسل فى هذه

الحاجة

الحاجة غيرى والا أكون قد ساويت أكثر من الناس ﴿قال الراوى﴾ فقال لها الملك المنذر يا أم الزعازع افعلى ما بدا لك فاهاهنا أحد يخالف مقالك فلما سمعت عنيترة كلام الملك المنذر فرحت بمقاله وأعجبها سائر أحواله وانطلق عليها جميع أقواله ثم انها قامت من وقتها وساعتها وأخذت من بنى عمها ألف فارس ممن يبادروا الى طاعتها فيهم مثل خالها عمرو ذو الكلب والملك زهير بن قيس وزيد بن عروة وسبيع اليمن وعتبة ابن حصن ومن يجرى مجراهم من الابطال والشجعان وصارت تنقيهم وتقول فلان وفلان الى أن عزلت ألف فارس من كل مدرع ولابس وبرزوا كأنهم الاسود القناعس وهى أمام القوم كأنها البوة شمطا ومازالت سائرة الليل والنهار تقطع البرارى والقفار الى أن وصلت الى تربة برقعيد ونظرت الى ذلك البر والبيد وبانت لها الضياع والرساتيق ورأت الخيل سائبة ترعى فى تلك الاودية والآفاق ورأت الى شئ كثير من الخيل والجمال والنياق ﴿قال الراوى﴾ ولما رأت عنيترة الى تلك الاحوال أمرت الفرسان بنهب الاموال وأخذ الخيل والنوق والجمال فتبادرت الفرسان اليها ودارواوأحاطوا عليها وساقوا أيضا سائر الاموال وهربت الرعاة وطلبت الاودية والجبال ومنهم من طلب القلعة فوصلوا اليها فى عاجل الحال وألقوا النفير فى الرستاق وأكثروا من الصياح والزعاق ووصل الخبر الى القلعة وأعلموا فى عاجل الحال الغضنفر بما كان من تلك الفجعة وأنه لما سمع ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وزاغت عينيه فى أم رأسه واضطربت جميع حواسه ونهم ودمدم حتى هابته جميع جلاسه وصرخ فى العبيد وقال لهم ياويلكم يابنى الزوانى من ذا الذى طرق أرضى من قاصر ودانى فقالوا له أيها الملك ما طرق ديارنا عشائر ولا جيوش ولا دساكر وما أغار على أموالنا وأخذ جمالنا والنياق غير ألف فارس ونظنهم من فرسان العراق لاننا سمعناهم يتكلموا بلغة أهل تلك الآفاق ورأينا يا ملك يقدمهم فارس أسمر وله صوت مثل الرعد اذا هدر وكالاسد

اذا رأى الفروسية قدامه واندعر وسمعناه يتكنى و يقول أنا عنيترة بنت عنتر الذى كان فارس البدو والحضر ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الغضنفر من العبيد ذلك الخبر هدر وزمجر وطار من عينيه لهيب الشرر وزعق على الفرسان فركبت والى نحو الصياح طلبت ثم انه فى عاجل الحال ركب جواده واعتد بعدته جلاده وركب أمام الخيل وطلب فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وقد انصب عليهم انصباب السيل فرآهم قد أخربوا الرستاق وأفسدوا جميع ما بين أيديهم من تلك الآفاق فلما رأى الى ذلك الشأن حمل وحملت معه الفرسان فتلقتهم بنى قضاعة و بنى عبس وعدنان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الفرسان والاقران بالاقران والشجعان بالشجعان وطلع على رؤسهم الغبار الى العنان ﴿قال الراوى﴾ هذا وعنيترة قد كر دست الابطال وأرمتهم ذات اليمين وذات الشمال وجندلت الاقران على الرمال وكذلك فعل الغضنفر و رأت فرسان بنى عبس و بنى قضاعة منه الموت الاحمر وعاينوا من طعنه وضربه الامر المنكر وقاتل فقتال من لا يبقى ولا يذر وخسف الصدور وقلع العيون وأفسد الصور وما زال القتال يعمل والدم يسيل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والسؤل لا يقبل الى أن أظلم الظلام ومنع الناس من ضرب الحسام وقد افترقت الفتيان وانفصل الجمعان وأكثروا وقيد النار وتحارست الفريقان ومازالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح واصطفت الصفوف وتعدلت الالوف وجردت وعزموا الفريقين على شرب كاسات الحتوف واذا بفارس قد برز الى الميدان ومشى فى ركابه مائتين فارس أعيان وهو بينهم كأنه الاسد الغضبان راكب على حصان خفيف الجريان أشقر اللون مليح الكون سابل الغرة مليح الطرة ظريف الوفرة تضرب شعرته الى حمرة راكبه من الحدثان فى أمان يطير فى الهوى كأنه الطير فى الطيران وهو كما قال فيه الشاعر

يسابق الريح فما يسبقه * لانه يسبق الرمق البصر

كأنه فى حسنه عادة * بحسنها تسبي عقول البشر
راكبه فى عيشة راضية * لانه دومة قرير النظر

قال الراوى وعلى الفارس درع مكوكب مذهب مقصب وفى صدره مرأة من الجوهر ينبو اعليها الصارم الذكر يأخذ نورها بالبصر ومن فوق الكل ثوب أطلس أصفر مليح الزى والمنظر محشو بالمسك الازفر تتوه فى حسن نقشه الفكر وأكمامه قد عقدها الى وراه بشراريب ابريسم حرير أخضر وقد أخرج الفارس يده من جلباب درعه فى ذلك الوقت والمنظر وفى كفه صارم ذكر لو ضرب به جبل لطير منه الشرر وعلى صدره صليب عجيب يسوى من الذهب الاحمر خرج اقليم والفارس له عينان كأنهما شواظان أو نجم بارق الامعان والصليب مكلل بالياقوت والمرجان وقد خرج ذلك الفارس فى هذا الزى والمنظر الذى تحير فيه الفكر وكان هذا الفارس هو الغضنفر فلما توسط الميدان رجعت من حوله الرجال والاقران فوقف فى ذلك المكان ونادى يطلب البراز والطعان ولما تبينته فرسان بنى عبس وبنى قضاعة وعرفته عشيرة من تلك الساعة وهمت أن تبرز اليه وتحمل عليه واذا قد سبقها فارس مليح الشمائل ألاق الخصائل للفروسية عليه علائم ودلائل وهو راكب على حصان ابلق يحاكى النجم اذا زرق والطير اذا انطلق مليح الرونق سابل الغرة كبير الحدق وعلى ذلك الفارس زردية كثيرة العدد ومتقلد بحسام مهند ومعتقل برمح مسدد فتبينته فرسان بنى عبس واذا به زيد بن عروة ذو الفروسية والبراعة وقد برز الى لقاء الغضنفر وهو كأنه الاسد القسور *قال الراوى* ولما صار زيد فى الميدان ومعترك الجولان حمل عليه الغضنفر وانقض عليه مثل السيل اذا انحدر أو النمر اذا اندعر وصاح عليه ويلك من تكون من فرسان بنى عبس يا أخس من طلعت عليه الشمس فقال له زيد بن عروة الويل لا بيك وأهلك وأقاربك وذويك يا ويلك أنا زيد بن عروة بن الورد صاحب الفروسية والشجاعة والنخوة فقال له الغضنفر بئس الفارس المهين وأنت

أحق أن تكون لى قرين ثم ان الغضنفر حمل عليه وصمم بالطعنة اليه فتلقاها زيد الطعنة بحسن صناعته وقد سبقها على درقته و بطلها بقوة همته فسل سيفه الغضنفر وهجم عليه هجوم الاسد الغضور وتضاربا وتباعدا وتقاربا وتواصلا وتناصلا وتكافحا وتراحما وقد رأى زيد بن عروة من الغضنفر فارس لا كالفرسان و بطل تبطل عند قتاله قوة الشجعان وقد زاد عليه الدرهم قنطارا بالقبان هذا وقد قل من الاصطبار وسطى عليه الغضنفر سطوة جبار وهجم عليه هجمة الاسد الهدار وضربه بالسيف صفحا على رأسه كاد أن يخمد أنفاسه وانقلب الى الارض بثقل ما عليه من الزرد فصار كانه الجذع الممدد وانقض عليه أخذه أسيرا وقاده ذليل حقير وانكشف بعد ذلك الغبار وبانوا لاعين النظار واذا بزيد بن عروة منقاد قدام الغضنفر أسير فلما رأت عنيترة الى ذلك الحال همت أن تبرز اليه لعل أن تخلص زيد من الاعتقال واذا بفارس قد برز اليه وسبقها عليه ولم يقدم بين يديه لا فزع ولا خيفة فتبينته عنيترة واذا به عتيبة بن حصن بن حذيفة وقد طلب البراز وسأل الانجاز فتلقاه الغضنفر بقلب أقوى من الحجر وجنان أقوى من تيار البحر فاذا زخر وكذلك تلقاه عتيبة الآخر وتضاربا ضربا أحمر من الجمر وأمر من الصبر وتباعدا وتقاربا وتضاربا وتجازبا وتقاتلا ثم ان الغضنفر همز بجواده وثبا أفى بداده وطلب عتيبة الى أن حل الركاب بالركاب ومسك درع عتيبة من الجلباب وجزبه اليه بعد أن عرف دخله من خرجه وصاح به واقتلعه من سرجه وصار معلق فى يده بعد أن كاد يغمى عليه وقد ملكه أسيرا وقاده ذليل حقيرا وسلمه الى بعض الغلمان وعاد بعد ذلك الى الميدان وطلب الضرب والطعان فبرز اليه عمرو ذو الكعاب ولم يخف من لوم ولا عتب فتلاقيا من غير كلام ولا خطاب وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار وجرى بينهما قتال يحير الافكار ويقصر الاعمار وما زالا كذلك الى آخر النهار وأقبل عليهم الليل بغياهب الاعتكار وافترقا على سلامة وكل منهما يأكل كفيه على صاحبه ندامه وبانوا الفريقين الى

الصباح وكل منهما قد أراح واستراح ﴿قال الراوى﴾ ولما طلع النهار وبان ضوءه للابصار وبرز الغضنفر الى الميدان وطلب الضرب والطعان وما استقر به المكان حتى برز اليه عمرو ذو الكلب وصار قبالة بين الطائفتين واذا بعنيترة قد خرجت من حرقة قلبها على خالها وحسن وداده قد أطلقت فى عاجل الحال رأس جواده وسرت مثل البرق الخاطف أو السحاب الواكف وقد ردت خالها عن البراز وقد طلبت بذلك الانجاز فلما رآها الغضنفر داخله فيها الطمع وقد انقته عنيترة مثل الاسد الادرع وحملت عليه حملت البطل الصميدع وتضاربا ضربا يحير الافكار ويعمى الابصار ورأى الغضنفر من عنيترة أمرا مهولا وقتالا يحير العقول وأخذ فى الميدان عرضا وطولا وكلما همت عنيترة أن تضرب الغضنفر يأخذها عليه الرأفة والفكر وتلحقها عليه المحنة وهى لم تعرف أى شئ لحقها من تلك المحنة ولم تدرى ما ذلك الحال وما وجدت لها يدا تمد اليه بالحرب والقتال وحملت عليه وقومت السنان اليه وكذلك فعل الغضنفر وكان بينهما فى الحرب أمر منكر وقد أخذوا فى الكد والجد والاخذ والرد والملاصقة والمفارقة والمباعدة والمطابقة وسطى كل منهما على بعضهما بعض حتى تدكدكت من تحت أرجل خيلهما الارض وقد أخذوا فى الابرام والنقض فعند ذلك قام الغضنفر فى ركابه ونطا فى بداده وضرب عنيترة ضربة واصلة وقال انها تكون لعمرها قاصلة واليها قاتلة فتلقت الضربة بقوة ساعدها فنزلت على الدرقة أسرع من طبق العين فانقسمت الدرقة نصفين فأرمتها من يدها قطعتين وهجمت عليه أن تفعل به كما فعل بها وشالت بالسيف يدها وضربته بقوة جنان فتقهقر الى خلفه بالحصان واذا قد وقعت رجليه فى بيت اليربوع فما كان له بد من الوقوف فوقع الى الارض وقد تمدد عن جواده بالعرض فانقضت عليه أخذته أسير وقد جعلته حائل سيفها فى رقبته وصار بين يديها حقير وقد ضجت الجيشين وتعجبت من هذا الاتفاق الفريقين ﴿قال الراوى﴾ ولما رأت بنى عبس وابنى قضاعة الى عنيترة

وقد أسرت العضنفر أخذهم الفرح والطرب وأيقنوا بالنصر والظفر فعند ذلك حملوا حملة منكرة وكردسوا الروم خمسة خمسة وعشرة عشرة وعمرو ذو الكلب أمام الخيل وأنزلوا بالروم البلاء والويل وجعل عمر يكتال الرجال كيل وأى كيل وقد قتل من الروم القوى والحيل وأخذ فى الهرب وأعطت ظهورها للعرب واوسعت فى جنبات تلك الارض ولعب السيف فيهم طولا وعرض وانهزموا طالبين قلعة برقعيد ومانجى منهم بنفسه الا من كان تحته جواد جليد وتبعوهم بنى عبس وبنى قضاعة الى منازلهم والخيام وقد كلوا وملوا من ضرب الحسام ولكن قد نهبوا فى أموال الروم ومضاربهم وخيامهم مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولما نزلوا واستقروا فى الخيام وأكلوا ما راج من الطعام فعند ذلك أحضرت عنيترة الى بين يديها العضنفر وقد بان منه ان قلبه قد انكسر وقالت له يا ويلك يا ولد الزنا وتربية اللخنا وحق الدائم الباقى بلا زوال ولا فناء الذى جعل الليل سكنا والنهار معاشا لئن لم تفد نفسك بمن عندك من الاسرى والاموال والا عذبتك عذابا لا تحمله الارض ولا الجبال فهما زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن معهم من الرجال ثم ان عنيترة سلت سيفها ووثبت عليه وأرادت أن تبطش عليه فساطوعها قلبها على ذلك ولكن لم تدر ما هذا الامر الموجب لذلك وقد ارتعدت يدها وتحرك كل عضو فى جسدها فأرمت السيف من كفها وأمرت العبيد أن تقيده بالحبال وتعيده الى ما كان فيه من الشد والاعتقال فقال لها العضنفر لما رأى نفسه قد صار فى هذا الحال قال أيها الاميرة كلما تريدين من المال وخلاص الرجال فاحلينى الى تحت القلعة الذى لنا ان أردتى نجات نفسك من المهالك وان أمى تفدينى بكلما تملك يدها سرعة فقالت غدى أفعل ذلك ﴿قال الراوى﴾ ثم ان العبيد تسلموا العضنفر وأمرتهم بالحفظ عليه ولكن لا تأسى عليه من الحنة الذى اخذتها عليه فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم وأما ما كان من الروم المنهزمين واحوالهم ما زالوا فى هزيمتهم الى ان وصلوا الى القلعة وأكثر وا من الصياح

والزعاق وأخبروا بما نزل بهم من تلك الفجعة فوصل الخبر الى الست مريم
أم الغضنفر الذى قدمنا ذكرها أنها ابنة أخو الملك قيصر وأن ولدها قد
أسرته عنيترة بنت عنتر وقد حكم بذلك القضى والقدر فلما سمعت بذلك
الحديث والخبر انقطف لونها وتغير كونها ثم ان رجال ولدها احضروا بين
يديها المأسورين وهم زيد بن عروة وعتيبة بن حصن وما معهم من الرجال
وأخبروها بما جرى لهم من الحرب والقتال فلما رأتهم قالت دعوهم فى الشد
والاعتقال ويتوكل بهم الى غداة غد جماعة من الرجال لعلى أن أفدى بهم
ولدى مما هو فيه من الخبال فقالوا لها سمعا وطاعة ثم انهم فعلوا
ما أمرتهم به فى تلك الساعة ﴿قال الروى﴾ وأن هذا الغضنفر بن عنتر
من مريم هذه وقد ذكرنا فى كتابنا هذا فيما تقدم كيف تزوج بها فى مدينة
رومة الكبرى لما كان أرسله الملك قيصر الى بلاد الافرنج وقتل بهند أخو
خيلجان ملك الافرنج وقد ذكرنا أصل زواجه بها وكيف أخذها من عند
أخوها ابن أخو الملك قيصر وأتى بها الى القسطنطونية وخلاها عند عمها
ويقال فى بعض الاقوال أنها من بعض سراريه الخاص ﴿قال الراوى﴾
ان القول الصحيح الثابت الذى ليس ينكر أنها ما كانت الا بنت أخو الملك
قيصر ولما أبقاها عنده وصار طالب بحر الفراء وجرى له ما جرى مع الاسد
الرهيص وقتل ومات وكان موته بذلك الحال رخيص لكن ما تم نعيم الا
ويكون وراءه تنغيص وذلك كما قيل فى المعنى وأى نعيم لا يغيره الدهر
وذلك ولدت مريم هذا الولد الغضنفر وكان أسمر أغبر وقد كان أشبه الناس
بأبيه عنتر ولما رآه الملك قيصر نفر قلبه منه كما رآه على ذلك اللون الاحمر
وقال فى نفسه ان الذى أراه من الرأى المدبر أننى أعطى هذا وأمه بعض
القلاع يعيشوا فيها ويكون معهم جيش فأخفاه عنده وما خلى أحدا
ينظره لا من جيشه ولا من جنده وما زال عنده كذلك الى أن صار
الغضنفر من العمر عشر سنين فأعطاه خمسة آلاف من خواص جيشه
وأمره بالرواح الى قلعة برقعيد وأرسل معه أمه بجميع ما معها من الاموال

والخدم والجوار والعبيد والحلى والحلل وسار بينهم الغضنفر وهو كأنه
الاسد القسور الى أن وصل الى تلك القلعة فرآها أزهى أرض وأحسن
بقعة ووجد أيضا فى صناعها خمسة آلاف فلاحين من منتصرة العرب
وهو فى تلك الارض مقيمين فصار الحاكم على الرفيع منهم والوضيع وأنتشى
وكبر وصار له شأن وظهرت منه الفروسية وقهر كثيرا من الشجعان وأذل
الاقران وهابته الابطال وخافت بأسه الرجال وشاع ذكره فى سائر
الاقطار والبلدان ومن جملة ماوقع من الاتفاق ان وصل اليه خبر الجمل الذى
أرسله المنذر من أرض العراق الى كسرى وجرى ماجرى من الامور وسار
الى الغنية واحتوى عليها وأسر ماء السما بن عم الملك المنذر هذا ومريم
تطول روحها عليه وتعلم أنه لابد لبنى عبس من القدوم عليه وبعد ذلك
تعرفه بأهله ويجتمع بهم شمله ووصلت اليه أخته عنيزة وأسرته وحكم عليه
القضاء والقدر وذلك كله لاجل تدبير رب البشر ووصل الى أمه ذلك الخبر
ففرحت فى قلبها وشكرت على ذلك ربها ومازالت صابرة الى أن أصبح الله
بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأمرت من بقى عندها من الفرسان أن يسيروا
معها حتى أنها تخلص ولدها وتطوى بخلاصه تاركيها وقد أخذت معها
ماء السما بن عم المنذر الذى أسره الغضنفر فى النوبة الاولى لما أخذ حمل
كسرى ثم أخذت أيضا زيد بن عروة وعتيبة بن حصن ومن كان معهم من
بقية الرجال وسارت الست مريم فى أربعة آلاف فارس من أهل الرستاق
وخلت المنهزمين مقيمين فى القلعة الى أن تعود لما يقع من الاتفاق وسارت
بمن معها ذلك النهار وتلك الليلة فصبحت القوم صباح وأمرت جيوشها
بالنزول فملؤا ذلك الوادى عرضا وطولا ثم انها لما استقرت أرسلت فى ساعة
الحال الى عنيزة رسول وكتبت معه كتاب وأعلمته بما يقول *(قال
الراوى)* وكان الذى كتبته فى الكتاب ان بعد السلام أما بعد فان الذى
أعرضه بين يديكى يا أميرة من الكلام بان الدهر كثير العجب وهو باهله
يتقلب والعاقل من اعتبر وتعلم بمن مضى قبله من الامم وانى أريد منكى

يا أم الزعازع ولبوة الوقائع المهلة الى الليل ونبطل اليوم القتال وركوب الخيل ومهما أردتى بعد ذلك حملت لك ما تريده من المال وقد أتيت معى بجميع الاسارى وهم مطلوقين من الاعتقال وهذا الذى أريد منك والسلام ولكن أريد الاجتماع بك فى هذه الليلة عند المنام ﴿قال الراوى﴾ فسار الرسول بذلك الكتاب الى عنيترة فلما وصل الى مضربها استأذن عليها فأذنت له بالدخول فلما دخل عليها وجدها جالسة فى ذلك المضرب ولها هيبة تقلق الحجر والى جانبها اليمين زهير بن قيس والى جانبها اليسار خالها عمرو ذو الكلب ولم أحدا فى ذلك المضرب والمحضر يحسر يقول لالم ولا ليس فلما حضر الرسول ناولها الكتاب فأخذته منه وأعطته للملك زهير بن قيس فقرأه وعرفوا جميعهم معناه فقالت عنيترة للرسول سلم على الست مريم وقل لها قد سمعت لها بكلما تريد وأكون بين يديها كبعض الخدم ومهما قالته وفعلته فانى ما أخالفها فيما به تتكلم ﴿قال الراوى﴾ فسار الرسول الى الست مريم بغير كتاب وأعلمها بما ردت عليه من الجواب لما أنها قد عرفت ما فى الكتاب من الخطاب ففرحت مريم بما تيسر من تلك الاسباب وصبرت الى الليل وقامت هى بنفسها بعدما أمرت الغلمان بحمل الاسارى من حبسهم فأتوا بهم الى بين يديها وأعرضوهم عليها فأخلعت عليهم الخلع الغالية المثمنة وأنعمت عليهم النعم الشاملة وأحسنت اليهم غاية الاحسان وأخذتهم بين يديها وخرجت من ذلك المقام وأخذت معها مائة غلام وبين يديها أربعة من خصائص الخدام ومازالت سائرة وقد سمحت لاجل خلاص ولدها بالمال والنفس الى أن وصلت الى قرب جيش بنى عبس وأخذت الاذن من الحراس وطلبت منهم المشورة فمضى بعضهم وشاوروا الاميرة عنيترة فأذنت لهم بالدخول عليها وأن يحضروها الى بين يديها فعند ذلك دخلت عليها المضرب وبين يديها الخدام الاربعة فقامت اليها عنيترة قائمة على الاقدام ومشت اليها واستقبلتها أحسن استقبال وكانت المضارب فى ذلك الوقت خالية من الرجال فسلمت عليها

وأخذتها بالاحضان وكل منهما فيما هو فيه من ذلك العز والشان وعادت بين يديها وجلست على السرير وأخذتها بجانبها وقربتها اليها وتميزتها فرأتها في ضوء ذلك الشمع المكوفر أشبه الخلق بولدها الغضنفر فقالت في نفسها سبحان خالق الصور وأنبع الماء من الحجر ثم انها بكت وأنت واشتكت فقالت لها عنيترة مما تبكين أيتها الملكة الاميرة والسيدة الكبيرة ان كان خوفا على ولدك فانه لاجل قد ملك علينا قد نجى من المهالك وها أنا الساعة أحضره الى بين يديك وتقر برؤيته عينيك فقالت لها مريم أيتها الاميرة وحق المسيح ان كان الكذب بهجة فالصدق أحسن وأنجى وهو شئ مليح وانى أخبرك بما كان من الامر الصحيح وأشرح لك في هذه الساعة حديث أعجب من كل عجيب وكلام تلذبه المسامع وتطرب له الاذان ويؤرخ في الدفاتر ويكتب وهو أن هذا ولدى الغضنفر هو أخوك من أبوك عنتر وحق خالق البشر لان حديثي وحديثه عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن يبصر وذلك أنه تزوج بي لما أرسله الينا عمي الملك قيصر وأتى الى رومة الكبرى وكسر الافرنج وأحل بهم العبر والدليل على ذلك أن ولدى مثلك أسمر وذلك بخلاف أهل بلاد الروم وهذا الكلام صحيح وحق الحي القيوم *(قال الراوى)* فلما سمعت عنيترة من الست مريم ذلك الخطاب والكلام ظهر الفرح على وجهها ولحقها الوجد والهيام وفرحت غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح وقالت عنيترة وحق مالك الممالك المنجى من المهالك لقد صدقت أيتها الملكة في ذلك لانى كنت كلما رمت أضربه ونحن في الحرب والقتال لم تطاوعني نفسي على هذه الاعمال وكان يأخذني من ذلك العجب لانى قاتلت وقتلت كثير من فرسان العرب ولم رأيت هذا العجب *(قال الراوى)* ولما فرغوا مما دار بينهما من القيل والقال قامت عنيترة في ساعة الحال ودارت بها الغلمان يمينا وشمال وسارت الى المضرب الذى فيه أخوها الغضنفر وهي تكاد أن قلبها من الفرح قد انفطر ومازالت حتى انها دخلت عليه وأمرت الغلمان فحلوا يديه ورجليه وأمه معهم وقد

حضرت الى ذلك المكان وصارت تقول سبحان الحنان المنان الذى كل يوم هو فى شان وأقبلت عنيترة على أخيها الغضنفر وانكبت عليه وسارت تقبل صدره وبين عينيه وهى تقول سبحان جامع الشتات الذى يعلم ما مضى وما هو آت والغضنفر يتعجب من ذلك غاية العجب ولا يدرى ما الامر الذى أوجب لذلك السبب واذا بأمه قد أقبلت عليه وسارت تقبل رأسه وبين عينيه وتقول له يا ولدى ان الله تعالى رد الوديعة الى أهلها وكانوا أحق بها وأولا بها فلما رأى أمه جعلت تفعل ذلك فأمن على نفسه من شرب كأس المهالك وقال لها بلسان عربيا معتبر يا ويلك أعلمنى ما الخبر وأى شئ هذا الذى قد ظهر فقالت له الملكة مريم يا ولدى أتيت أخبرك بما تقرر وذلك انك أخو هذه الاميرة عنيترة وأبوكم عنتر كان فارس الفرسان وأبو الفوارس عند الطعان وقد ظهر ما كان قد اختفى ومضى الحقد والجفا فقال لها ويلك يا أماه ولما لا كنت أعلمتينى من زمان وحدثتينى بما جرى من ذلك الشان فقالت له أمه يا ولدى كانت بنى عبس قد انقطعت وطلبتهم جميع العربان وفيهم طمعت وخفت أنى أقول لك أنك بن عنتر فتخرج من يدى وتغالبك الاعداء وربما قلعوا منك الاثر ولما رضى عنهم الزمان وجمع شملهم الواحد المنان وعادوا الى منازلهم والاوطان وخافتهم جميع العربان لحيات أختك هذه أم الزعازع عنيترة قاهرة الشجعان وقاتلة الابطال والاقران وقد عوضت أبوها عنتر سيد الفرسان ما كان تجمع شمل العشيرة من كل جانب ومكان وأخذت حمل الملك كسرى وجرى لك مع ماء السماء بن عم المنذر ما جرى فعلمت أن لابد أن تطلب بنى عبس وكان ظنى أنك تأسر منهم من يفتدوه بالمال والنفس وأعرفك بعد ذلك انهم بنى عمك وربما ان أحدا منهم يقيم عندك وما كان ظنى ان فيهم مثل هذه الاميرة عنيترة وان لها فى الحرب مثل هذه الصولة والمقدرة فلما أسرتك وفعلت هذه الفعال ما بقى لى صبر على اخفاء الحال فاتنى أتيت الى عندك وأعلمتك بما كان من الاحوال وان هذه اختك الاميرة عنيترة بنت أبوك من الهيفة فناصة الرجال

وقد عادت وعمرت بلادهم الذى هى العلم السعدى وأرض الشربة واجتمعت عليها الاصحاب وأتت اليها سائر الاحبة وخافت من هيبتها جميع العرب من بعد منها ومن اقترب *(قال الراوى)* فقالت عنيترة وحق المالك الجبار الذى يعلم ما تكنه الصدور وما تخفيه الاسرار وهو الله الواحد القهار انى ما أسرته لا بقوة ولا باقتدار لانه والله فارس فى الحرب ما عليه عيار ولكن ما ساعدنى عليه الا الاقدار حتى يتضح المخفى وتصح الاخبار *(قال الراوى)* ولما سمع الغضنفر كلام أمه وأخته تعجب غاية العجب وعلم أن الدهر بأهله ينقلب وفرح لكون ان بنى عبس وأقرباءه ان عنيترة أم الزعازع أخته وان عنتر بن شداد أباه لان اسم بنى عبس كان بين العرب كبير ولا سيما بذكر عنتر بن شداد الفارس النصير ثم انه قال لامه الان عرفت من هو أبى ومن هم قومى وعربى ثم أسرع الى أخته عنيترة وقبل رأسها ويديها واستقر بذلك أمره وقبلت الاخرى يديه وصدره وباست عارضيه ونحره واخلعت عليه فى عاجل الحال وسمعت به سائر الابطال فاتاها الملك زهير ليهنيها بما صار من تلك الاحوال وكذلك خالها عمرو ذو الكلاب أتى اليها فى جماعة من الرجال وهنوها أيضا الجماعة للذى خلصوا من الاعتقال وقد زادت البشائر وارتفعت بذلك قدر بنى عبس المشاهر وكان لهم ليالى وأيام مارؤا مثلها فى سائر الايام وكان أفرح الخلق بذلك الملكة مريم وذلك باظهار نسب ولدها وارتفاع قدره بين العرب والعجم وانهم أقاموا فى ذلك المنزل ثلاثة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام وأيام كانها أضغاث أحلام مما فاض عليهم من الخير والانعام لان تسامعت بذلك فرسان قلعة برقعيد فأتوا لاجل ملكهم الغضنفر بالخير المزيد وبعد ذلك قالت عنيترة لاخيها الغضنفر يا أخى اذا سمعت العرب انك أخى ويشتهر ذلك الامر ويظهر فهم يحسدونى ويحسدونك وربما أن يتورشيأ من الحقود الكامنة ويكون ذلك أمرا وضيعا منكرا والرأى عندى أن تسير معى الى ديارنا والاوطان وتكون عندى فى أعظم منزلة وأعلى مكان واذا كنا مجتمعين مع

بعضنا تهابنا العربان وتم وجه آخر وهو ان لنا ثارا على قوم يسمو ابنى نبهان فنريد أن نأخذه منهم ونكشف عن أنفسنا العار ونزيل عنا الهم والشنار فقال الغضنفر هذا هو الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب ونكون كلنا يدا واحدة على ما نرجوه من المعونة والمساعدة (قال الراوى) لهذا الكلام وانهما اتفق بينهما ذلك المرام أقاما فى هذا المنزل بقية الثلاثة أيام هما ومن معهما من الرجال الكرام وهما بنى قضاعة وبنى عبس فرسان المنايا والموت الزوام وفى اليوم الرابع عزموا على المسير والجد والتشمير فقال الغضنفر لعنيترة يا أخاه لا بد لى من العود الى قلعتى لاقضى منها حاجتى وآخذ منها ما يعز على من مالى ومال والدتى ﴿قال الراوى﴾ ثم انه سار فى عاجل الحال طالبا قلعته وأمه ورجاله فى صحبته وقد دارت به كما كان أرباب دولته وكبراء عشيرته وقد سار فى ستة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وقد ذكرنا فيما تقدم من هذه الاقوال النفائس انه حاكم على عشرة آلاف فارس وكان خلى فى القلعة ألفين فارس لاجل حفظ أموالها والالفين الاخرى متفرقة فى القرى والضياع لاجل قضاء أشغالها ولما كان ثالث يوم كان قد قضى أشغاله وحاجته وعاد طالبا أخته عنيترة كما اتفق بينهما الميعاد وكان من الامر كما قدمنا انهما خلصوا ماء السما بن عم الملك المنذر وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن سيد بنى فزارة وقد أخلعت على ماء السما خلعة سنية تساوى ألف دينار كسروية وأعطته جميع ما كان أخذه أخوها الملك الغضنفر من الحمل بتاع الملك كسرى أنوشروان الذى كان من تحت رأسه هذا السفر فانهم لما تعارفوا وشاع الخبر فلم يكن له منكر ولا جاحد بل انه قال لهما يا أخاه هو عندى ولم ينقص منه الدرهم الواحد وان الله تعالى على ذلك وكيل وشاهد ﴿قال الراوى﴾ وانه لما مضى الى القلعة ليقضى منها أشغاله فأتى بالحمل جميعه وفى صحبته أمواله ولما عزمت عنيترة هى وأخوها على المسير سيرت بن عمها ماء السما بذلك الحمل والمال الكثير وسيرت معه ألف فارس من بنى قضاعة وبنى عبس

الرجال الاقيال ليحفظوا ما معه من تلك الاموال وسارت الاميرة عنيترة بعد ذلك طالبة أرض الحجاز ومنازل بني عبس وصحبتها الامير الغضنفر أخاها ابن الاميرعنتر وأمه وهي تود أن تفديه بالمال والنفس والسمع والبصر وذلك لما وقع في قلبها من الوداد والاخوة والمحبة وجعلوا قصدهم العلم السعدي وأرض الشربة * (قال الناقل) * المصنف لهذا الكلام وكان مسيرهم على نواحي أرض الشام ولم يخافوا من أحد من سائر الانام لان قد كبرت شوكتهم وعلت كلمتهم واشتدت جيشهم ولا سيما من حين اجتمعت عليهم هؤلاء الفرسان والتمت عليهم تلك الاقران وقد صارت عليهم وحواليهم جيوش كثيرة من العربان من بني فضاعة وبني فزارة ومن الروم وبني عبس وعدنان * (قال الناقل) * المرتب لهذا الديوان فبينما هم سائرين في تلك البراري والقفار وهم يقطعون السهول والاوعار واذا بغبار عن يمينهم قد ثار وبعد ساعة تقطع ومار وانكشف عن خمسمائة فارس كرار مامنهم الا كل شجاع مغوار وفي مقدمتهم فارسين كأنهما الاقمار وما على مثل فروسيتهم عيار فأما الاول فهو أسمر أكحل تضرب سمرته الى الحمرة وكان الآخر أبيض أشقر كأنه من أولاد الملوك الكبار (قال الناقل) المصنف لهذه الاخبار فلما رأت عنيترة واخيها الغضنفر الى ذلك الجيش الجرار قالوا لواحد من الفرسان الذي بين أيديهم اكشف لنا عن هذه الاخبار وانظر لنا ما تحت هذا الغبار فان كانوا أصدقاء فبشرهم وان كانوا أعداء فبشرهم بدمارهم وفنائهم فسار ذلك الفارس حتى انه التقى بتلك الفرسان واذا بهما على رؤسهما رايات وصلبان وعلائمهما تدل على انهما من بني غسان ومنتصرة العربان * (قال الراوي) * فلما وصل اليهم ذلك الفارس ناداهم يا هذه الابطال القناعس أخبروني من تكون من العربان فأنا نرى عليكم زي فرسان بني غسان وأيضا منتصرة العربان وأعلمكم ان هذه الفوارس المقبلة عليكم فانها من فرسان بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان والمقدمين عليهم أم الزعزع عنيترة واخوها

الغضنفر

الغضنفر أولاد الامير عنتر بن شداد الذى كان شجاع الزمان ومقنص الشجعان والملك زهير بن الملك قيس ملك بنى عبس وعدنان (قال الراوى) فلما هم الان سمعوا تلك الفارسين من ذلك الرجل الذى قاله من الكلام حتى انهم نادوا عن لسان واحد وابشراه بملتقى أحباه وأصدقاه ونخبركم هانحن فرسان بنى عبس وعدنان الكرام المعروفين بين الانام بفرسان المنايا والموت الزوام وأخبركم عن هذين الفارسين أحدهما يسمى ياسر بن ميسرة الفارس الغضنفر والثانى يسمى ليث الميدان بن مازن بن شداد أبو الامير عنتر الذى كان ذكره قد ملأ السهل والجبل وذكره باق الى يوم الحشر ✻ (قال الناقل) ✻ الحر رلهذا الخبر وقد كان السبب فى ذلك الامر الذى تقرر ان عنترلما انفسك فى مدينة دمشق عند الحارث سيد بنى غسان بحيلة الربيع بن زياد القرنان وأيضا به أبى حارثة سنان وقعد فيها مدة كبيرة من الزمان وسار الحارث بجيشه للقاء الفرس ودساكر الخيرسان وأتى أبو الدوح بن أخو الحارث وهجم على البلد هو ومن معه من الفرسان من أجل ابنة عمه حلمية كما قدمنا فى هذا الديوان ودخلت حلمية على عنتر هى ومن معها من النسوان وأخبروه بما صار لهم من ذلك الشان وأطلقوه هو ومن معه من بنى عمه من القيود بعدما أخذوا عليه الايمان والعهود وقتل أبو الدوح وأحيى البلد وأعطاهم الامان وعاد الى القيود والاصفاد كما كان ولما عاد الحارث سيد بنى غسان وأخبرته ابنته بذلك الشان وبعد ذلك اصطلحوا وكان منهم ما كان وأهدى الحارث الى عنتر الثلاث جوار حسان لما أراد السفر والرواح الى الاوطان فأعطى الواحدة لميسرة وأعطى لأخوه مازن الجارية الاخرى واعطى لعروة بن الورد الثالثة من غير تهاون ولا فترة وقد عادوا بعد ذلك راجعين الى الاوطان وأقاموا عندهم برهة من الزمان ورزقوا منهم هذه الولدين باذن مكون الاكوان فلما قتلوا ميسرة ومازن وشربوا كأس الهوان ورحل عنتر الى بحر الفراء وأقام فى ذلك المكان واشتهوا الجوار على عنتران يروحوا

لستهم حلمية ويزوروها فأذن لهم فمضوا تلك الوالدين وكانوا تربوا على صدرها صغار وبعدها قتل عنتر وشرب كأس البوار وحكم عليه بذلك العزيز الجبار الذى ما لاحد من حكمه مهرب ولا فرار واقاموا هذين الوالدين مع أمهاتهما الى أن صاروا كبار وهما يسمعوا عن بنى عبس تلك الاخبار وبعد ذلك سمعوا من بعض السفار أن قد انتشى فى بنى عبس فارسة تسمى أم الزعازع وقد قهرت مثل ذوالخمار وقد اجتمعت عليها بنى عبس الكبار منهم والصغار فعند ذلك استأذنوا سيدتهم حلمية وأخوها عمرو الفارس القمقام وقد سارا فى هؤلاء الخمسمائة فارس ليتظروا ما كان من تلك الاخبار وجرى ما جرى والتقوا فى تلك البيداء والقفار فعندها سار ياسر بن ميسرة وليث الميدان حتى التقوا بعنيترة وأخوها الغضنفر شجيع الزمان وتعارفوا وكان منهم ما كان وتلقتهم عنيترة وأخيها والملك زهير ومن معهم من الفرسان بالترحب والكرامة وأحسنوا لهم غاية الاحسان وساروا الكل طالبين أرض الشربة والعلم السعدى ومنازل بنى عدنان وما كان معها فى الطريق سوى مائة فارس ممن كان قد صحبها من الفرسان وانضاف اليها تلك الخمسمائة فارس الذى مع ياسر وليث الميدان لاننا قدمنا فى هذا الديوان انها خلت فرسانها فى الحيرة عند الملك المنذر وسارت هى فى الف فارس أعيان لخلاص الحمل فانقضى الشغل وهان وأيضا أرسلت من كان معها من الفرسان مع ماء السما ليحفظوا الحمل من شياطين العربان وامرت بنى عبس الذى ساروا الى الحيرة مع ماء السما أن يأخذوا من كان متخلف فى الحيرة من بنى عبس وعدنان وبنى قضاعة ويسيروا بهم الى أرض الشربة والعلم السعدى وتلك الوديان ﴿قال الناقل﴾ لهذا الشان ولما وصلت عنيترة وأخيها الغضنفر ومن معهما من الفرسان تباشر بهم كل من كان فى ذلك المكان واستأنست بهم الديار وكثر فيهم الفرح والاستبشار واطمأنت المنازل بالنازل والاوطان بالقطان وشاع ذكرهم وصاروا فى أعلى مكان وما أقامت عنيترة وأخوها الغضنفر ومن معهم الا

أيام قلائل ووصلت بنى عبس وعدنان من عند الملك المنذر ومعهم الخلع والملابس الحسان والنوق والجمال والخيل المسومة الغالية الاثمان ومن النوق العصافير خمسمائة ناقة بيض الالوان أرسلها الملك المنذر لعنيترة خاصة من دون الفرسان وبعضها محمل خز وبزمن دق العراق وشيأ كثير مما يضيه ديوان ومال كثير تنفقه على من لها من الشجعان وأخبر وا عنيترة ان الملك المنذر عليها غضبان كيف انها ما سارت مع ابن عمه ماء السما وكانوا يجتمعون مع بعضهم برهة من الزمان فقالت لهم والله يا بنى عمى ما فعلت ذلك احتقارا به ولا أردت بذلك الا التخفف عنه وانى ما أريد أخذ على ما فعلت من الجميل جزاء ومع هذا فانه قد غمرنا بجميله وأرسل لنا ما فيه الكفاية وفوق النهاية وزاد عليه بتفضيله فقال الملك زهير والله يا أم الزعازع ان المنذر أكرمنا غاية الاكرام وأقام بواجب حقنا بما نريد من الانعام وذلك كله أكراما لك ويريدان يجازك على فعلك معه فقالت له عنيترة والله يا ملك ان الفضل لكم على وأنتم الذى أحسنتم الى غاية الاحسان وانتى بسيوفكم اضرب وبهيبتكم أغلب وما أضرب فارسا الا بحسامكم وما أطعن بالرمح الا بعزمكم ولاسيما من حين وصلنا وجاءنا أخى هذا الغضنفر الفارس الكرار والليث المغوار وهؤلاء الفارسين الآخرين أخى ياسر وابن عمى ليث الميدان واجتمعت علينا هؤلاء الشجعان فلا بد لنا من حين يخلا بالنا وتلتم رجالنا ونسير الى أخذ الثار وكشف العار من بنى نبهان اللئام الفجار فشكرتها الحاضرين وزهير بن قيس على كلامها وقوت قلبها وحسن اهتمامها وأقامت بنى عبس ومن اجتمع عليهم فى اصطناع الولائم وقد رتع فى تلك الخيرات القاعد والقائم وقد خافتهم جميع العرب من بعد منها ومن أقترب وعاد عزهم أعظم ما كان وأخلف عليهم الزمان أقوى من حاميتهم عنتر بن شداد الذى كان قاهر الاقران وقد صارت بيوت قراد أحسن ما كانت فى اول الزمان لانه انضاف الى بيوت عنيترة أخوها الغضنفر بمن معه من الفرسان وأيضا ياسر ابن ميسرة وابن عمه ليث

الميدان ومن قدم معهم من بني غسان وكذلك عمهم جرير وابن عمهم
الخزروف وأيضا زخمة الجواد أخو شداد وسيسم اليمن بن مقرى الوحش
ليث الطراد وزيد بن عروة والامير عمرو ذو الكلب واخته الهيفة قناصة
الرجال وكان قد انتشى لغصوب بن عنتر في بني قضاعة ولد لما غضب من
غمرة وسار طالب مكة وجرى له مع أبيه ما جرى وانتشى ذلك الولد وبقي
فارس قسور وانضاف الى عنيترة والى أخيها الغضنفر وكان فارس شديد
يسمى أسيد ﴿قال الراوي﴾ وكان أيضا قد ظهر للغضبان ولد من زوجته
دعد وكان اسمه الدبال وكان يعد في الحرب بألف فارس من الابطال وكان
الآخر قد انضاف اليهم على ذلك المثال وكان كل واحد من هؤلاء الذين
ذكرناهم من الاهل والاقارب يحكم على رجال وابطال وله خيام ومضارب
ونوق وجمال ونعم وأموال وخيول وجنائب واما بني زهير فان ما كان بقي
منهم سوى زهير بن قيس وبعض أعمامه الكبار وكانت عنيترة توقره غاية
الوقار وما تعده الا من جملة الملوك الكبار مثل ما كان أبوها عنتر يفعل مع
الملك قيس فانه كما ذكرنا كان عنده جليل المقدار وأما بني زياد فانهم
انقطعوا من بني عبس ونفذ فيهم حكم رب العباد لان عنتر لما قتل الربيع
وأخوه عمارة وأحل بهم الذل والخسارة ورحل الى بحر الفراء وأقام هناك
على ما قدمناه من تلك العبارة فأنزل الله بعد رحيله على بني زياد الهلاك
والفناء والذي تبقى منهم انقطع يوم وقعة بني عبس وحل بهم الارتباك وذكر
الاصمعي مصنف هذا الكلام انه لم يبق منهم ولم تخلف منهم غير الشمر بن
زياد الذي قتل سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب في أرض كربلا وذلك
باذن رب المشارق والمغارب وكانت قد سبقت فيه دعوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لانه دعى عليه بالعطش والظمأ فصار كل يوم يشرب عشر
مرات من الماء ولا يروى حتى انفقعت بطنه ومات وذلك كان بدعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد السادات ونرجع الى ما كنا فيه من
الكلام وأقامت عنيترة حامية ديار بني عبس هي وأخوها الغضنفر مثل

ما كان أبوها عنتر وقد هابتهما سائر العربان وخافت من بأسهما سائر الاقران (قال الاصمعي) لهذا الديوان فهذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان وأما ما كان من الامير قيس بن الملك زهير واخوته لما دخلوا الى الصومعة وعلموا رهبان لاتها قد ذكرنا أنه لما مات عنتر واتتهم العرب من كل سهل ووعر وجرى عليهم ما جرى من ذلك الامر المنكر ومحى شأنهم واندثر وانقطع منهم الاثر فأخذا بنته الجمانة على كفل جواده داحس وسافرا بها أيام حتى وصل الى بحر الفراء فأرمى روحه فيه وهو من الحياة آيس فقطع به الجواد البحر وقد أمل النجاة فوقعت ابنته من خلفه فغرقت وماتت موت الفجاء ونجى قيس وطلع من البحر على ظهر جواده وسار هائما على وجهه وقد آيس من بلوغ مراده الى أن وصل الى الصومعة التي ذكرناها وقتل الراهب وقد سكن موضعه وصار من الامر ما قد مناه وبعد مدة من الزمان وقد طالت نوبته ﴿ قال الراوي ﴾ فبينما هو قاعد الا وقد أتت عليه ثلاثة من أخوته وقد خافوا على أنفسهم من الموت لما روا الى بني عبس قد انقطعوا وفات فيهم الفوت وقصدوا الى تلك الصومعة وهم يظنون ان فيها أحدا من الرهبان وهو مقيم فيها من قديم الزمان فأرمتهم المقادير على أخيهم قيس فلما عرفوه وعرفهم عولوا على الاقامة في ذلك المكان وكادوا ان يخرجوا من عقولهم من حسن هذه الاتفاق الذي لم يسمع بمثله في سائر الآفاق وكانوا الثلاثة الذين قدموا على قيس من اخوته أخبرنا عنهم من ذكر هذا القول بالتحرير انهم كانوا ورقة ونوفل وكثير فأقاموا عند أخيهم جملة من الاعوام وقد أمنوا من حوادث الليالي والايام وهم في تلك البراري والاكام وكانت مدة أقامتهم عشرة أعوام الى أن بلغهم ما جرى لبني عبس وعدنان وكيف عادت دولتهم مثل ما كانوا من أول الزمان وقد خافتهم سائر العربان وقد انتشى فيهم فارسة ما تهاب الموت الاحمر يقال لها عنيترة بنت عنتر وامها الهيفة قناصة الرجال أخت عمر وذو الكلب سيد بني قضاعة وقد أطاعت لعنيترة سائر القبائل بالسمع والطاعة وساروا

نازلين فى أرض الشربة والعلم السعدى ومن الهيبة الذى لها فى قلوب الناس
لم يكن أحدا على أحد متعدى وزهير بن قيس حاكم على ألف وخمسمائة
انسان وهم من بنى عبس وبنى فزارة وبنى غطفان وعنيترة وخالها وأخيها
الغضنفر قد صاروا فى عشرة آلاف فارس وأكثرهم اليوم فى أمان واطمأن
وقد هابت بنى عبس وبنى قضاعة سائر العرباد ﴿قال حازم المكى﴾ ﴿لهذا
الديوان ولما تحقق قيس واخوته ذلك الكلام من السفار والعابرين بهم
فى الليل والنهار ممن يهدوا لهم الهدايا ويقربوا لهم القربان وهم يعتقدون
منهم انهم رهبان واتضح ذلك القول والبرهان فقال قيس لاخوته
ماعندكم من الرأى الرشيد فقالوا له أنت أحق منا بالقول السديد والامر
الحميد والعرب تسميك قيس الرأى فافعل ما تريد ﴿قال الراوى﴾ فلما
سمع قيس كلام اخوته وعلم ما اتفقوا عليه من اتباع مشورته فقال لهم ان
الرأى اننا نسير ونطلب أرض الشربة والعلم السعدى ولعل الزمان يكون
قد غير الاحوال فقالوا له اخوته نعم ماذكرت والصواب ما به أشرت
﴿قال الراوى﴾ وكانت خيولهم سائبة فى تلك الارض عندهم كل هذا
الزمان يأكلوا من تلك الاودية ويشربوا من تلك الغدران وقد ساروا
كلهم فما كان لهم دأب الا انهم شدوا على خيولهم وأخفوا أحوالهم بالامور
الذى يعرفوها وساروا طالبين ديارهم وأطلالهم وهم يتأسفوا على ماجرى
فى أموالهم وعيالهم ﴿قال الراوى﴾ وانهم لم يزالوا يقطعون البرارى
والقيعان حتى أرمتهم المقادير على أرض بنى نبهان وكان جوارهم عليها
فى جوف الليل فكروا عند ذلك من تحتهم الخيل فأصبح صبحهم على أطراف
بلادهم وتحققوهم الرعيان وكانت سائر قبائل العرب تعرف فرسان بنى
عبس عبيدها وصناديدها وتعرف أوباشها من أماجيدها الا انها كانت
طائفة قليلة وأعداها كثيرة وقد فعلوا بهم فى تلك الوقعات الكبار
ولاسيما الملك قيس بن زهير وأخوته وما فعلوا فى العرب فى أيام عنتر
وشجاعته فقام عليهم العبائط من الرعيان وتجمعت خلفهم عبيد بنى نبهان

ودار واحوالهم من كل ناحية ومكان وقد تبع قيس واخوته أوفى من ثلثمائة عبد من العبيد الشداد فوقف قيس وقفاته المعروفة ووقفت اخوته وتجالدوا أشد جلاد وقال لهم يا بنى أبى موتوا كرام ولا تموتوا لئام فان لابد من ضرب الحسام فقال له أخوه نوفل نعم ما قلت يا أخى من هذا الكلام ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم أكبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا على العبيد وحملت العبيد عليهم وهؤلاء فرسان بنى عبس الاماجيد وليوثها الصناديد وهؤلاء الذين التقوا بهم على كل حال رعيان وعبيد فما كان الا ساعة حتى أرموا منهم تسعين عبد على الصعيد وقد نثروهم فى الميدان ومددوهم على الصحصحان وقد سال الدماء من السيوف وتناهلوا كاسات الحتوف وان كل بطل موصوف ﴿قال الراوى﴾ وكان قيس واخوته كما قدمنا من شجعان العرب وقد قدمنا ذكر قيس وما جرى له يوم الجبلين أجره وسالم مع معدى كرب فقتل هو واخوته فى تلك الساعة أكثر من نصف العبيد وأحلوا بهم العطب وقد عولوا الباقين على الفرار والهرب يطلبوا لانفسهم النجاة فى ذلك البر والسبب ﴿قال الراوى﴾ واذا بالغبار قد علا من ناحية أرض بنى نبهان بعد ساعة وبانت من تحته الفرسان وقد ظهرت الشجعان وكانوا أوفى من ثلثة آلاف عنان وقد أتوا الى قتل الملك قيس بن زهير واخوته وبعدموا كلا منهم مهجته لان العبيد مضوا فى عاجل الحال وأعلموا السادات بذلك الشان فركبت فى الوقت والساعة فرسان بنى نبهان وطلبوهم فى تلك البرارى والكثبان ﴿قال الراوى﴾ لهذا الديوان ولما رأى قيس واخوته ما أتاهم من فرسان العرب قال لهم يا بنى أبى اطلبوا بنا الهرب والا متنا موت الفجاءه وحل بنا العطب فقال ورقة نعم ما قلت يا أخى من هذا الرأى المصائب ثم انهم ألووا رؤس خيلهم وطلبوا النجاة فى ذلك البر والسباسب ولما رأتهم فرسان بنى نبهان وقد فعلوا تلك الفعال أخذوا عليهم سائر الطرقات وطلبوهم من جميع الجهات فلحقوا منهم نوفل وتكاثروا عليه فقتله وأحلوا به التدمير ﴿قال الراوى﴾

وأما قيس فانه كان تحته جواده داحس وقد ذكرنا فيما مضى من حديث هذا الجواد وما كان فيه من الامور النفائس فطار بقيس فى ذلك البر والتلال وطلبته الخيل من اليمين والشمال فما لحقوا منه الا الغبار ونجى بقيس وتبطن فى تلك البرارى والقفار فطلب ناحية البحر الاعظم وقد خاف قيس على نفسه من الهلاك والعدم ومازال كذلك وهو قدامهم وهم وراءه حتى أرمى روحه فى بحر الفراء هو وجواده داحس فغرقوا الاثنين وحان عليهما الحين *(قال الراوى)* هذا وبنى نبهان قد عاينت ذلك الحال ورؤا الى ما فعل قيس من تلك الفعال وقد أرمى روحه فى البحر وغرق وشرب كأس الوبال ولا رضى بمن يحكم فيه وينزل به الاذلال فقالوا لبعضهم يالك من فارس من بين الفرسان اخترت الموت عن الذل والهوان ثم انهم رجعوا عنه نادمين وفيما فعلوا خاسرين وفيهم من بكى عليه ولاموا أنفسهم بما أسواعليه *(قال الراوى)* فهذا ما كان من قيس وما جرى له واما ما كان من ورقة أخيه وأحواله فانه لما اشتغلوا عنه بنى نبهان فى اتباعهم لقيس فى تلك البرارى والقيعان وقتلهم أخيه نوفل فنجى بنفسه وقد اشتغلت عنه الخيل ومازال سائر بجواده الى أن دخل عليه الليل وكان هذا الجواد الذى تحته معدوم المثال فى الخيل وكان الحق سبحانه وتعالى قد أسكن فيه القوى والحيل ولما انه أقبل عليه الليل تم سار طول ليلته الى أن أصبح عليه الصباح وقد أيقن انه نجى بنفسه من ذلك الامر العامر فرأى روحه قد قارب ديار بنى عامر فتحايد عن الطريق وسار فى أودية وأوعار الى ان صار آخر النهار ونزل على بعض الغدران وأراح واستراح الى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح فركب جواده وسار طالب العلم السعدى وأرض الشربة وهو مشتاق الى من فيها من الاهل والاحبة وقد انكبه الدهر فى اخوته أى نكبة *(قال الراوى)* ومازال سائرا الى ان اقبل على الديار والاوطان وبانت له المضارب والخيام والغدران فتهاطلت دموعه على خديه مثل الجمان ومازال كذلك الى ان شق بجواده بين

المضارب والخيام وكان ذلك بعد ثمانية عشر أيام فتبادرت اليه أهل الحلة فعرفوه بالصياح والرعاق وانهلت الدموع من الاماق وتبادرت الى صوت ورقة الرجال وأقبلت عليه الابطال ووصل الخبر الى الملك زهير بن الملك قيس فخرج للقائه ماشي على رجليه وقد كاد من الفرح أن يغشى عليه ومازال الى أن التقى بعمه ورقة وهو لا يصدق ان ذلك الامر صدقا ولا يؤمل انه يراه حقا ولما رآه ورقة ترجل اليه واعتنقه وضمه الى صدره وسلم عليه وصار يقبله في عارضه ونحره وبين عينيه وقالت أيضا عنيزة وأخوها الغضنفر وأقبل خالها عمرو ذو الكلب الاميروأقبل جرير وابن أخيه الخزروف وكل منهم على لقاء ورقة ملهوف وسار والناس متعجبين من هذا الامر وهم وقوف فسلمت عنيزة على ورقة غاية السلام وتبادرا اليه جرير والخزروف وسلما عليه وسار مع جلة الناس قيام وجعلوا يتذاكرون مامضى وقد تباكوا لما جرى عليهم وحكم به القدر والقضاء ولما انتهوا من السلام انعزل كل خل بخله وقد سار الملك زهير ومعه عمه ورقة وقد كاد قلبه من فرحه به يطير وينفطر وذلك الاميرة عنيزة بنت عنتر وأخوها الملك الغضنفر وعمها جرير وابن عمها الخزروف وسبيع اليمين بن مقرى الوحش وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن ووجوه القبيلة ومازالوا كذلك الى أن وصلوا الى مضرب الملك زهير وجلسوا للحديث والكلام بعد مافرغوا من بعضهم من السلام وقد جعل ورقة يحكي لزهير ولمن حضر ماجرى له وماعليه قدتم من هذا الامر المنكر وعلى اخوته من بني نبهان وكيف قتلوا اخوته نوفل وكثير وقد أخبرهم كيف غرق قيس وجواده وابنته في النهر والغدير والله أعلم ﷺ قال الراوي ﷺ فلما سمع زهير كلام عمه ورقة بكا بكاء شديدا وبكت الجماعة الحاضرين بكاء شديد ماعليه من مزيد فقالت له عنيزة ما بالك أيها الملك تبكي لا أبكا الله لك عينا ولا أشمت بك انسان وكيف تبكي يا ملك الزمان وحولك هاهنا رجال مثل العقبان وكل فارس منايا قوم بجماعة من العربان فدع عنك البكاء والانين ولا تشتكا

وسيرنا الى بنى نبهان لنقلع آثارهم ونخرب ديارهم وننزل بهم الذل والهوان ونأخذ منهم بثار أبوك واعمامك وأيضا ثار أبى سيد الفرسان وأخلى ديارهم مثل أمس كان ونفعل بهم ذلك وحرمة الملك الديان الواحد المنان الذى لا يشغله شأن عن شان ﴿قال الراوى﴾ ثم ان عنيترة التفت الى أخيها الغضنفر والى من حوله من الفرسان والى خالها عمرو ذو الكلاب ومن تحت يده من الشجعان وقالت لهم خذوا أهبتكم حتى اننا نسير للحرب والقتال ونأخذ ثارنا من بنى نبهان ثم قالت له كل منكم ينهى رجاله ويوصى أبطاله ثم انها الاخرى بعد ذلك صرخت فى بنى عبس وبنى فزارة وكان قد التم منهم جماعة كثيرة وساروا من تحت يد عمها زخمة الجواد وقالت الخيل يا أرباب الخيل لترفعوا عن أنفسكم ما حل بكم من الويل ﴿قال الراوى﴾ فركبت بنى عبس لوقتها وساعتها وصرخت أيضا فى بنى تحت يدها من الفرسان وقالت لهم خذوا أهبتكم وكذلك قالت للملك زهير قوم يا ملك وأزل عن قلبك بأخذ ثارك ما قد اعتراك من الهم والضير فقام الملك زهير قائما على الاقدام لما سمع منها ما أبدته له من ذلك الكلام وقد موا له الجواد النوبة العبيد والخدام فركب وركبت لركوبه سائر الفرسان ومن قد أجتمع عليهم من قبائل العربان وكانوا خفيفين الظهر متأهبين لذلك الشان ولم يأخذهم عن ذلك اهمال ولا توان وساروا فى عاجل الحال طالبين أرض بنى نبهان وعنيترة وأخيها الغضنفر بين يدى الفرسان وهو تقول لا أهلا ولا سهلا ببنى نبهان وهى بحرقة التلاق تقول لا بد ما أشتت شملهم فى أقطار الفلا وحرمة العلى الاعلى ﴿قال الراوى﴾ ثم سارت القبائل تتبع بعضها بعض اطلاب اطلاب وهم بنى عبس وبنى قضاعة ومن يليهم من الاعراب وتبعهم أيضا بنى فزارة وكان قد أجتمع عليهم ألف وخمسمائة ممن لهم من الخلان والاصحاب وكذلك المتنصرين الذى أتوا مع الغضنفر وهو سائر بين أيديهم كانه الاسد القسور وقد كملت عدتهم اثنى عشر ألف فارس قد وكلوا بالاموال ألفين فارس أعيان لان

عدة من كان فد اجتمع عليهم من بني عبس وعدنان ألفين فارس أعيان
ممن كانوا قد اجتمعوا في الجبال وسكنوا في الاودية الخوار ﴿قال الراوي﴾
وذكروا أن الغ نفر قد رأى في أربعة آلاف وعنيترة وظالما عمرو ذو الكلب
من بني قضاعة في أربعة آلاف فارس انجاب وانضاف عليهم من بني فزارة
والظلماء والاصحاب ستة آلاف وأكثرهم من القرائب والاحباب
فصاروا في ذلك اليوم أربعة عشر ألف فارس انجاب وقد قدمنا في هذه
الاقوال النفاس ان بني عبس كان عدتهم في زمان عنتر أربعة آلاف
فارس فهؤلاء قد زادهم الامر عن حد القياس وقد زاد في قلوبهم لهيب النار
لاخذ الثار لاجل يخمدوا منهم الانفاس فسار وا يقطعون البراري والقفار
والقيعان طالبين ديار بني نبهان ليجلوا بهم الذل والهوان ويكشفوا عن
أنفسهم العار والذل والشنار ﴿قال الاصمعي﴾ لهذه الاخبار فبينما هم
سائرين على ذلك العيار وهم يقطعون المناهل الليل والنهار ولا يقر لهم
قرار الى أن كان يوم من بعض الايام واذا قد ثار من بين أيديهم غبار وقام
ساعة وقد انكشف ذلك الظلام وبان من تحته ألفين فارس كأنهم الاسود
العوابس وبين أيديهم هودج عالي والرهج من كثرة الذهب الذي عليه
يتلألأ وهو مقبل بين يدي تلك الابطال على عجل طالبين أرض الحجاز
من غير مهل وكان اقباله من ناحية أرض الشام وتلك الفرسان محتاطين به
في ذلك البر والآكام ﴿قال الراوي﴾ لهذا الكلام العجيب فلما رأت
فرسان بني عبس الى ذلك الحال والى تلك الفرسان المقبلة وما معهم من
المال فقالت الاميرة عنيترة لابن أخيها ياسر ولابن عمها ليث الميدان
أنظروا ما هؤلاء الفرسان فاني أراهم مقبلين من أرض الشام وتلك الفرسان
من بني غسان فعند ذلك سارا كما أمرتهما الى أن قاربا تلك الفرسان
وتبينوهما فعرفوهما واذا هم من منصرة العربان والراكبة الذي في تلك
الهودج الست حليمة بنت الحارث الوهاب وبين أياديها خدمها ورجالها
وجماعة من الاصحاب فلما رؤها في عاجل الحال ترجلا عن خيولهما وقبلا

بين يديها الارض والمهاد وكان قد تبعهما جماعة من الرجال فلما رؤهما قد
فعلا ذلك الفعال عادوا الرجال الى عنيزة وأخيها الغضنفر وأخبروهما
بذلك الحال فعند ذلك سارت عنيزة والغضنفر فى مقدمة الرجال والتقوا
ببعضهم البعض فرؤهم قد أبركوا الجمل الذى عليه الهودج ونزلت
الست حليمة الى وجه الارض فعند ذلك ترجلت اليها عنيزة هى وأخيها
الغضنفر لما رؤا عليها من جلالة والقدر وحسن المنظر وقد أندهش من
رؤيتها كل من حضر وقد تاقتهم بالبكاء والنحيب وقد أكثرت من
الصراخ والتعديد حتى انزعج كل من كان حولها من الغرسان الاماجيد
﴿قال الروى﴾ فتقدمت الاميرة عنيزة واعتنقتها وجعلت تهديها
عن البكاء والعوال وتسألها عن ماجرى لها من تلك الاحوال التى سبب
ذلك النحيب والاعوال ثم انها أمرت بنزول الجيوش ونصب الخيام حتى
انهم يأخذوا لهم راحة فى ذلك المقام ونصبوا أيضا رجال الملكة حليمة لها
سرادق من الحرير مرقوم بفصوص الجواهر ولما نزلوا واستقربهم القرار
فأبدت تحدثهم بما كان لها من الكلام ﴿قال الراوى﴾ انه كان
السبب الذى أوجب تلك الاحوال وأتى بهذه الملكة حليمة الى هاهنا بحالة
الاذلال بعدما كانت بغاية العز والاكمال وذلك ان الست حليمة وأخوها
عمر ولما ولاهما عنتر وكان قد سار كما ذكرنا الى جانب الفراء وفعل ما فعل
معهم من ذلك الامر فأقاما بعده من تحت يد الملك قيصر على هذه الاحكام
مدة هذه الاعوام الى أن كان فى بعض تلك الايام فبينما هما فى غفلة عما
تحدثه الليالى والايام واذا قد بلغهما الخبران قد ظهر من البحر جيوش بعد
الرمل وقطر المطر وانهم قادمين على أرض دمشق وما يليها من الاقاليم
والاحكام ولهم ملك ما رأى أحد مثله فى سائر الانام وقد قتل الرجال وأباد
الابطال وأخرب الديار والاطلال ونهب ما أدخرته الملوك من الاموال
وفعل ما فعله قبله أحد من الملوك ولا من الابطال وقد نقلوا عنه أنه جبار
عنيد وشيطان مريد لا يهاب الرجال ولا يخشى من الابطال فى يوم الحرب

والمحال ﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام فلما سمع الغضنفر كلامها وما حدثته من مرامها طار من عينيه الشرار وقال لها أى شئ دين هذا الملك اما يعبد الصليب ويشد الزنار فقالت يا مولاى هو دين المسيح بن مريم ويعرف قدر الانجيل المعظم فقال لها وما السبب الموجب لقتاله فى أهل دينه وأحل بهم المهالك فقالت يا مولاى وحق المسيح ما نعلم بذلك وهذا الذى سمعنا به من أحواله وما وصل الينا أعلمناك به وأطلعناك عليه وقد ذكر والنا عليه أيضا ان له عند عرب الحجاز ثار يريدان يستوفيه وكذلك عند قيصر ملك الروم ثار يريدان يقتضيه ﴿قال الراوى﴾ فلما فرغت من كلامها وفهم الغضنفر مرامها أشار الى بنى عمه وجميع مقدمين الجيوش وقال لهم يا بنى العم ما ترون فى هذا الامر المنكر والحال الذى قد ظهر فقالت عنيترة وجميع من حضر يا أمير الرأى عندنا أننا نسير الى هذا العدو ونلتقيه ونكفى الناس شره ومايأتى منه من ضرر فاذا أمنا من شره ودواهيه عدنا الى الامر الذى كنا فيه وعزمنا على أخذ ثارنا وكشف عارنا فقالت عنيترة يا أخى وحق ذمة العرب هذا هو الصواب والامر الذى الايهاب وان لم نفعل هذا الامر فى الاول والا انقلبت علينا الاعداء ويقصدوا الافرنج ديارنا ويشغلوا خواطرنا وأسرارنا وتسير العرب جميعا مع الاعداء علينا وينفتح باب ما نقدر نسده ولا نعلم بعد ذلك ما نلتقى ولا ما يحدثه الدهر فينا فاستصوبوا جميع الحاضرين هذا الرأى وباتوا تلك الليلة وهم عازمين بالمسير الى دمشق الشام وبلدة واهذا العدو الذى هو الجوفران بن الملك كوبرت ملك جزيرة الكافور وتلك البلدان ولما فرغوا من ذلك الكلام أنزل الملك الغضنفر للملكة حلمية هى ومن معها غاية الاكرام ورفعها على أعلا مقام وتولى خدمتها تلك الليلة ياسمين ميسرة وايث الميدان وتذكرا جميلها وما لها عليهما من الاحسان ﴿قال الراوى﴾ ولما أصبح الله بالصباح وبان لهم الضوء من الشرق ولاح أمر الغضنفر أن ينادى المنادى بالرحيل وان يعتدوا بآلة الحرب للتحويل

فرحلوا جميع الجيوش طالبين بلاد الشام ونشرت على رؤس الدساكر الرايات والاعلام وعلى رؤس السادات والفرسان الكرام ونشرت على رأس الملك زهير بن قيس راية أبيه العقاب وكانت الراية أخذتها عنيترة من بني عامر لما وقع لبني عبس ما وقع مع القبائل والاعراب فأوصلها عامر بن الطفيل اليهم في جملة المال كما وصفنا الذي أنفذه مع كوكب وما كان عليه كما قدمنا ورفعوا حلية الى هودج ها بعد ما طيبوا قلبها وأوعدوها بانكسار العدو عن بلدها وتسليم غنائمها اليها وسار الجيش وفي المقدمة عنيترة بنت عنتر وخالها عمرو ذو الكلب وياسر بن ميسرة وليث الميدان الآخر وفي القلب الملك زهير وفي الميسرة الملك الغضنفر وسادات بني عبس وفي الميمنة أسد بن غصوب والملك الغضنفر يترنم وينشد ويقول

أعد للحوادث رمح طعنا ✽ تهد به الاعداء هدا
وذو حسام قد يقد ✽ البيض والابدان قدا
وعلمت انني من بني عبس ✽ الكرام أباوجدا
قوما اذا لبسوا الحديد ✽ تراهموا كالنار وقدا
كل امرء يجري الى ✽ يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت الصارخات ✽ يصحن ياذا العزم شدا
وأتت حليمة كأنها ✽ بدر التمام اذا تبدا
وبدت محاسنها التي ✽ قد جاورت للحسن حدا
لما رأيت نساءنا ✽ يفحصن بالعزاء شدا
ما ان جزعت ولا هلعت ✽ ولا يرد بكاي زندا
أغني غناء الذاهبين ✽ أعد للاعداء عدا
ذهب الذين أحبهم ✽ وبقيت مثل السيف فردا
ليس الجمال بمئزر ✽ فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن ✽ ومناقب أورثن مجدا

(قال الراوى) المصنف لهذه المقالات وكان الغضنفر وهو ينشد هذه الابيات والخزروف وجرير بين يديه يبكيان بغزير العبرات ويظهران اكثر الحسرات فقال لهما الغضنفر لاى شئ تبكيان لا أبكا الله لكما عينان فقال جرير وذمة العرب يابن الاخ ما بكاءى الا انى تذكرت أيام أبيك عنتر ونحن سائرين قدامه طالبين دمشق وعمك شيبوب فى صحبتنا وأخى عنتر قدامنا وهو ينشد أبيات تتقارب هذه الابيات فوحق عالم الخفيات العالم بما مضى وبما آت فكانى أسمع أبوك وهو ينشد هذا الكلام وهذا الشعر والنظام وكأنك ما خليت من أبوك شئ لا من خلقته وهذا الامر الذى جرى فى خاطرى وأجرى دموعى مماجرى فضجوا الجميع من حولهما بالبكاء والعويل وقد تذكروا ماجرى على بنى عبس من الويل والتنكيل والعذاب الطويل *(قال الراوى)* لهذا الاخبار ولم يزالوا سائرين الليل والنهار وهم على ماهم عليه من قطع الاودية والقفار والسهول والاوعار الى أن أشرفوا على غوطة دمشق وتلك الديار وكان دخولهم فى النهار ولما رؤا البلد وهى فى وسط البساتين فقال الغضنفر لجرير هذه البساتين تمنعنا عن المجال وتردنا عن الوصول الى هؤلاء الاندال فقال لهم الخزروف اتبعوا أثرى حتى أقطع بكم هذه البساتين والرمال وأرميكم على الاعداء فى أرض خاليه من الاشجار الطوال فقال له جرير افعل فان هذا الصواب والامر الذى لا يرد باب ثم انه سار وا خلف الخزروف طول الليل فى ذلك المدا فلما طلعت الشمس الا وقد صاروا من غربى الاعداء *(قال الراوى)* وطلع الغبار الذى لهم حتى أظلمت منه الاقطار وثارت الافرنج طالبة الغبار والقفار وقد ظنوا ان بعض الملوك الافرنج قد وصل اليهم من بعض جزائر البحار *(قال الراوى)* فلما وقعت العين على العين وصحت الاخبار ونظرت الافرنج الى قلة جيش العرب وهم فى تلك البيداء مقابلتهم قد تغرق فطمعت فيها وحملت عليها حملة الحنق فالتقتها العرب بقلوب جريئة من غير فزع ولا قلق وتصادموا بالسيوف والرماح والدرق حتى فاض الدم

من الاجساد وا نهرق وأطبقت عليهم الافرنج مثل انطباق البحر اذا اندفق وماجت الجيوش فى بعضها البعض حتى صار وامثل البحار الزواخر وانعقدت على رؤسهم الزوابع والغبائر *(قال الراوى)* ونادى الغضنفر فى عشائره اجعلوا الطعن والضرب من كل جانب فاصطدمت العرسان والمواكب وخاضت الشجعان فى الكتائب وطارت الرؤس عن المناكب وحميت عنيترة فى ذلك اليوم واظهرت العجائب وحمل من خلفها ياسر بن ميسرة وليث الميدان والديال بن الغضبان وسبيع اليمن بن مقرى الوحش نجيع الزمان وعمرو دوالكلب ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان ودثار بن روقة وخفاف بن ندبة فتى الفتيان وكذلك فعل الملك زهير بن قيس فى ذلك اليوم فعل حير الاعيان وصاحت الاقران وصرخت الفرسان وبربرت الشجعان وطلع الغبار الى العنان ونعبت الخيل من كثرة الجولان وحملت على بعضها بعض تلك الطوائف المختلفة والجموع الذى غير مؤتلفة *(قال الراوى)* وكانت بنى عبس قد داخلهم من كثرت الجموع القلق واعم صارم الموت على رؤسهم وبرق وتقطع الاكباد وتمزقت القلوب من كثرة الجزع وضاق بهم البر المتسع وصاح الصائح فلم يسمع *(قال الراوى)* لهذا الديوان هذا وقد نظر الغضنفر الى كثرة الجيوش وازدحام الكتائب والعشائر فصار يضرب ضربا لا ترده الدروع ولا الفاخر ولا تقيه الزرديات والعدد ولا يخاف الموت اذا أورد ويطعن طعن شجاع قادر يخرق به الزرد فتركهم كلهم مطرحين على الارض مثل العدد وصارت الرجال بين يديه مثل الغنم وعمل فى ذلك اليوم عمل حير الالباب والاذهان مع فرسان الحجاز الشجعان *(قال الراوى)* ولولا ان عشائر الافرنج كثيرة والا كانت كسرتها عشائر العرب واحلت بها الدمار والعطب وكان هذا القتال كله والملك الجوفرا واقف تحت الاعلام والصلبان كأنه شيطان من شياطين الجان وهو يقول وحق المسيح ان فرسان الحجاز هم ليوث الميدان وابطال الزمان ولابد أن

أبرز غدا اليهم وآخذ فرسانهم وأقهر شجعانهم والا ما أبلغ منهم مرادا ولا تقع هيبتي في قلوب العباد (قال الراوي) وكان جيش بني عباس ثمانية آلاف وعشائر الملك الجوفران اثنين وستين ألف لانه كان قد فرق عشائره على القلاع والحصون وأيضا سيره لاثنين ألف انطاكية فساروا في أسرع ما يكون وكان قدم عليهم بطريق من بطارقة الافرنج جسيم وسيم كأنه الفيل العظيم وكان الذي تبقى عند الجوفران على حصار دمشق هؤلاء الاثنين وثلاثين ألف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وذلك لعلمه ان ما في البلد من يلقاه ولا له عدو يقصده ولا يطلب ملتقاه وانه هو قاصد الاعداء ويريد أن يحل بهم الرداء وما كان يقول ان عرب الحجاز تقدم عليه ولا تسير بهذه العشائر اليه (قال الراوي) وتحاربوا الطائفتين في تلك البطاح الى أن أقبل عليهم الظلام وهم على ما هم عليه من الحرب والكفاح وانفصلوا الطائفتين وتأعدوا عن بعضهم الفريقين ونزلوا الى الميدان للراحة لابدان الى ان برق الصباح وبان وأشرق نوره الوضاح ولاح على الكثبان فتقدموا عند ذلك الى الميدان يطلبون الحرب والكفاح راكبين على صهوات الجرد القداح وهم مقلدين بالسيوف ومعتقلين بالرماح (قال الراوي) هذا والصباح في البلد قد علا حتى بلغ الى وسيع الفلا وصار وايدعو اللعرب بالنصر والحما ويطلبون لهم الظفر من رب الارض والسماء فلم تكن الا ساعة ودقت في عساكر الافرنج النقارات وعلت بينهم الضجات وقد أخذتهم الفرحات والمسرات وركب الملك الجوفران ونشرت على رأسه الرايات والصلبان وتقدمت بين يديه الفرسان (قال الراوي) ولما أعتدلت الصفوف وترتبت المائة والالوف برز من عشائر الافرنج فارس في الحديد غاطس راكب على جواد أبلق كبير الخلق له بين الخيول زي ورونق متقلد سيف أبتر نوره يأخذ بالبصر ومعتقل بقنطاريه خلجيه ثم انه سار على ذلك الجواد الموصوف حتى انه بقي بين الصفوف وأشار بيده يطلب البراز

ويسأل الانجاز فما استتم كلامه وما أشار به من مرامه الا وقد برز اليه ياسر ابن ميسرة وله همة قوية ومقدرة وهو راكب على جواد أجرد مقلد بسيف مهند ومعتقل برمح أسمر من عمل سمهر ثم انه جال بجواده حتى انه صار مع الافرنج فى الميدان وقاربه حتى صار الحصان محاذى الحصان فعند ذلك وقف ياسر وأنشد يقول هذه الابيات

أسل السيوف واخوض الصفوف * وقرب الحتوف وضرب الغلل
وسارت الحماجة فى الخافقين * تريك المنايا برؤس الاسل
الذ وأشهى من الماذيات * وشرب المدام فى يوم ظل

(قال الاصمعى) ثم ان ياسر حمل على الافرنجى حملة جبار لا تبقى ولا تذر وكذلك الافرنجى التقاه بقلب أقوى من تيار البحر اذا زخر وتطاعنا بالرمح حتى تكسرت وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وأخذا فى الحرب الشديد والقتال العنيد وابعد فى الكر والفر والهزل والجد والاخذ والرد والبعد والقرب والملاصقة والموافقة والمطابقة حتى قل من الافرنجى الحيل وضعف عن خصمه وحل به الويل فعند ذلك أطبق عليه ياسر وضربه بالسيف على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وقد انهد أساسه وخمدت أنفاسه *(قال الروى)* فعند ذلك برز اليه أخو المقتول فما أمهله ولا تركه يجول حتى انه طعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم انه وقف بالميدان ونادى يا معاشر الافرنج من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فانى فى أنا أعرفه بنفسى أنا ياسر بن ميسرة الفتى القسور صاحب الهمة المقدرة فأبرزوا الى فرسانكم المذكورة وشجعانكم المشهورة *(قال الراوى)* فلما سمعوا منه ذلك الكلام فلم يمهلوا دون أن برز اليه فارس وهو لابس درع حديد وهو كأنه مشيد فما أمهله ياسر يجول حتى تركه على الارض مجدول وقد ضربه دامه أرمى رأسه قدامه ثم انه طلب البراز وسال الانجاز فبرز اليه رابع فقتله وخامس فقتله والسادس فأهواه والسابع فأرداه والثامن عجل فناه وألحقه برفقاه وتركهم مطرحين فى الفلاه

ولم يزل يخرج اليه فارس بعد فارس وهو يقرب دماره و يجعل بواره حتى قتل من الافرنج ثلاثين فارس وهم فرسان عوابس والى أن قرب المساء وأعتمت الدنيا وتخندس الظلام ورجعت الطائفتين الى الخيام هذا والملك الجوفران قد حار ولحقه الانبهار مما شاهد من فرسان العرب وكان كلما هم أن يبرز اليه ما سر فلم يمكنوه أرباب دولته وخواص مملكته وأما بنى عبس فانهم فرحوا بياسر الفرح الاكبر وشكروه وأثنى عليه الملك الغضنفر وكذلك عنيترة بنت عنتر وقام الغضنفر وتولى الحرس بنفسه وقد أراد بذلك أن يفدى أبناء جنسه وقد أشعلوا النيران وتحارسوا الفريقان (قال الراوى) لهذا الديوان ولما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا الفرسان الخيول واعتقلوا بالدبول وتقلدوا بالنصول وبعد ذلك اصطفت واشتهرت السيوف وتعدلت الالوف وتقابلت المواكب وترتبت الكتائب وصهلت الجنائب وهمت الطوائف أن تحمل بعضها على بعض وقد ارتجت من ركض خيلهم جنبات تلك الارض واذا بفارس قد برز من فرسان الافرنج وهو كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وهو بالحديد مسربل فجال فى الميدان ولعب بالرمح على ظهر الحصان ساعة ومسك العنان وأشار الى ناحية بنى عبس بطرف السنان وكانت اشارته انه يطلب البراز و يسأل الانجاز فهم ياسر بن ميسرة أن يبرز اليه فسبقه ليث الميدان بن مازن وحمل عليه وسار فى وسط الميدان وساوى الافرنجى فى موقف الطعان وكان عليه درع داودى ومن فوقه زردية فضية وعلى رأسه طاسة بيضاء عادية ترد مضارب السيوف الهندية متقلد بصمصامة كسروية بشراب الموت مسقية وهو كما قال فيه وهب بن عطية هذه الابيات حيث يقول

غداة الروع حتى كأنه * من الله فى قبض النفوس رسول
أن الرسول لسيف يستضىء به * مهند من سيف الله مسلول
كان على أفرنجه موج لجة * يقاصر فى مصطاحه و يطول

اذا ما انقضى للموت فى جنباته * فلانه من رؤس هناك تميل

(قال الراوى) وهو معتقل برمح يخرق جسم الجلامبدو على رأسه سنان ممدوكان راكب على جواد من الخيل الجياد قوى الاعصاب وقوائمه طوال وفى المجال صبور على ملاقات الابطال فى ميدان القتال وهو على صهوته كانه الاسد الرئبال وحمل على الافرنجى حملة الغضب على ان يسقيه كأس العطب وهو ينشد ويقول

أعازلى كفى ملامك اننى * مشوق الى نارلها الحرب تشعل
وشرب دما الابطال فى رهج الوغا * ألذ من الصهباء والكاس ينقل
وصوت طنين المشرفى على الطلا * ألذ وأشهى من حبيب يعلل

(قال الراوى) فما استتم ليث الميدان كلامه وشعره ونظامه حتى تقرب منه الافرنجى وسار قدامه وقد انقض عليه أنقضاض القضاء والقدر وضربه بالقنطارية أسرع من لمح البصر ونظر ليث الميدان الى القنطارية وهى واصلة اليه فعلم انه ان توانى عن نفسه قضت عليه فمال عنها أسرع من البرق اذا تناها ولحقها بالحسام طيرا علاها وعطف على الافرنجى وضربه بالسيف على رأسه شق البيضة والرفادة والبطانة ونزل السيف الى حد رأسه فمال عن الجواد يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه وبعد ذلك صال وجال وطلب البراز والقتال *(قال الراوى)* فبرز اليه فارس من خواص الجوفران وساق حتى ساواه فى حومة الميدان وقيل انه كان من الفرسان المذكورة والابطال الذى فى الحرب مشهورة وكان قد لاقى وقعات كثيرة وله مواقف هائلات خطيرة فحمل على ليث الميدان وأخذا فى الضراب والطعان وتصادما بالابدان وتقاتلا بالسيف والسنان

(قال الراوى) وانهم لم يزالوا فى حرب وكفاح حتى تكسرت فى أيديهما الرماح وتثلمت من الضرب على الدروق الصفاح وانهما لم يزالا على ذلك الرواح الى نصف النهار وكل الافرنجى ومل ولحقه الانبهار فرأى من ليث الميدان التقصير وعرف ذلك منه معرفة خبير فقط أفى كعوب الرمح وطعنه

فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره ثم انه صال وجال وطلب البراز والقتال ونادى وقال هل من مبارز هل من مناجز فلا يبرز الى هذا المقام لاجبان ولا عاجز الا مايكون بطل الهزاهز فلم يزل يبرز اليه فارس بعد فارس وهو يقتل ويأسر حتى فعل ذلك بخمسة عشر فارس *(قال الراوى)* فعند ذلك حلقت عليه الافرنج وحملت على ليث الميدان باذن الجوفران ولما نظرت بنى عبس الى غدر الافرنج للشام صرخ فيهم الملك النعضنفر اهلة الحملة يابنى الاعمام فهذا يوم الحرب والصدام فعند ذلك أكبت رؤسها فى قرابيص سروجها وطلبت بنفوسها وطاقت أعنة خيولها تؤمل وترتجى بلوغ مأمولها والتقت قنطاريات الافرنج بصدورها وطعنتها برماحها فى صدورها ونحورها *(قال الراوى)* والتقت الاقران بالاقران والشجعان بالشجعان وقد طلع عليهم الغبار حتى حجبهم عن أعين النظار وتقسطل النقع الموار وزاد من القوم الافتكار وحمى على رؤسهم من حرارة شمس النهار وقدحت الارض فى ذلك الوقت شرار النار واختلفت النفوس وزل الفارس العبوس وفر الجبان المنحوس وقاتلت الفرسان الشوس وعظمت الاهوال على الشجعان وقل القيل والقال وتقصفت الرماح الطوال وجاء الجد وذهب المحال والمزاح وتجالدوا بالصفاح وسمعوا بالارواح بعدما كانوا يسمعون بالصياح ونادى الشجاع بالسلاح وتصايحوا أعظم صياح وتناهلوا من شرب المنية أقداح وعدموا فى ذلك اليوم الصلاح وسالت الدماء من الجراح وتقلعت المقل الصحاح ودام القتال وعظم النزال وارتجت الارض بالزلزال ولم يزل السيف يعمل والدم يسيل والرجال تقتل ونار الحرب تشتعل حتى ولى النهار بانواره وأقبل الليل باعتكاره ونادى منادى الانفصال فى الفريقين ورجعوا الى المضارب والخيام وهم سكارى من شرب كأس الحمام لاجل الراحة والمنام وتذكرت بنى عبس ما جرى لهم فى يومهم من عظم القتال وما لاقوا فيه من الاهوال الثقال وكثر عدد الابطال فقالت عنترة والنعضنفران هؤلاء القوم ما لهم الا البراز والنزال لعل

نأخذ منهم الابطال وأما واحى نفعل هذه الفعال وباتوا على ذلك الحال وقد تناولوا الطعام وأخذوا الراحة بالمنام ✻ (قال الراوى) ✻ فهذا ما كان من هؤلاء وما دبروا من المرام وأما ما كان من الملك الجوفران ومن معه من فرسان الحرب والصدام فانهم لما نزلوا من الحرب واستقر بهم المقام أخذوا يتعاهدون فى الحديث والكلام وقد فعلوا كما بنى عبس فى الراحة وأكل الطعام وقال لهم الجوفران لابد من خروجى غداة غد الى الميدان وأفعل بهم كما فعلت اليوم بالفرسان وأأخذ منهم الابطال والاقران والشجعان والا ما تنكسر حدتهم ولا يصغر لهم شان ثم ان كل منهم قام الى منامه بعد ما فرغ كل واحد منهم من كلامه ولم يزالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح فعند ذلك اصطفت الجيشين وتقابلت الفريقين ووقفوا ينظروا من يفتح باب الحرب ويعول على الطعن والضرب ولما اعتدلت الصفوف وترتبت الالوف قفز من عشائر بنى عبس فارس فى الحديد غاطس راكب على جواد أبلق كبير الحدق له بين الخيول زى ورونق ومتقلد بسيف أبتر نوره يأخذ بالصر ثم انه سار حتى بقى بين الصفوف وأشار بطلب البراز ويسال الانجاز فما أستتم كلامه وما أشار به من مرامه حتى ترجل من عشائر الافرنج مقدار ألف فارس وبينهم فارس راكب والكل يمشون قدامه فلما سار وسط الميدان عادوا الكل عنه وقد نادى بلسان عربى طليق أنا الملك الجوفران وكان راكب على جواد ما مثله فى الخيول الجياد ومعتقل بقنطارية خلنجية من صنعة معلمين الافرنج فى ذلك الزمان ثم انه حمل على ذلك الفارس الذى ذكرناه والبطل الذى وصفناه فما هو الا ان قاربه حتى طعنه بعقب تلك القنطارية أرماه على وجه الارض فتبادرت اليه الافرنج فشدوه كتاف وأوثقوا منه الاطراف ✻ (قال الراوى) ✻ ثم انه صال وجال وافتخر على ابناء جنسه وقال يا فرسان الحجاز دونكم والبراز ومقام الانجاز لانى أقسمت بالتوراة والانجيل والصليب وألزنار انى لا أدع أحدا منكم يعود الى أهله والديار لان

البترك قد بخرني برجيعه الشائع في الاقطار فاليبرز الي منكم كل فارس وبطل مغوار ﴿قال الراوي﴾ فما استتم كلامه وما نطق به من مرامه حتى قفز اليه ليث الميدان وصوب الى ناحيته بالسنان وحمل عليه حملة منكرة وزعق عليه زعقة لها هدير وزمجره وصال عليه سولة من له على الحرب مقدرة فثبت له الجوفران ثبات من له عادة بلقاء الاقران وتمهل عليه حتى جاوزه بالحصان وأخرج رجله من الركاب ورفص ليث الميدان أرماه على وجه الصحصحان فانكبا عليه رجلين فأخذوه في عاجل الحال أسير وقادوه ذليل حقير ومازال الجوفران على حاله في الميدان ويطلب براز الفرسان ولقاء الاقران فبرز اليه خفاق بن ندبة فما أمهله يجول معه بل صبر عليه حتى حاداه وفي الجولان ضايقه وساواه فعلق به وقبض على أطواقه وجذبه بمقدرته من أزياقه فاقتلعه من على ظهر الحصان وحذفه من يده على قاع الصحصحان فشدوه الرجلين الذي خلفه كتاف وقوي منه السواعد والاطراف وقد أشرف على التلاف وبعد ذلك نادى الجوفران بلسان عربي يفهمه كل من حضر هل من مبارز هل من مناجز هذا مقام الخطر فبرز اليه دثار بن روق كأنه نار محرقة أو صاعقة مبرقة فبادره الجوفران بضربة صادقة فنزلت عليه كأنها بارقة وكانت الضربة بالسيف صفحا فلم يلحق يقيم في يده الطارقة فجاءت الضربة على البيضة كأنها صاعقة فانقلب عن الجواد الى الارض والمهاد فأسرعت اليه الغلمان من غير خلاف وأوثقوه كتاف وقوي منه السواعد والاطراف وقادوه الى الجيش أسير وهو ذليل حقير ﴿قال الراوي﴾ هذا وقد ضجت القسوس والرهبان ورفعت الانجيل وشالت الروم صلبانها ثم ان الملك الجوفران جال وصال في حومة الميدان وقد تبرك برجيع البترك وطلب البراز من الفرسان وسال الانجاز حتى يشتفي من الاقران فتعجبت العرب مما رأت من ذلك الشيطان من الفروسية وقوة الجنان وحسن قتاله للشجعان فعند ذلك برز اليه دريد بن الصمة العالية العزيمة والهمة وكان لما رأى فعل

الجوفران بأصحابه قد اعتد للقتال ولبس آلة الحرب والنزال وساق حتى قارب الملك الجوفران وقد غيره الكبر وأوهنه طول الزمان فناداه أحترز على نفسك ياشيخ من الطعان ثم انه بعد ذلك الكلام انطبق عليه انطباق الغمام فالتقاه دريد بقلب أقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر وأخذا فى الكر والفر والانطلاق والمستقر والمزل والجد والصد والرد وتطابقا وتضايقا وعادا افترقا بعدما كادا التصقا وانفرقا عن بعضهما فى تلك الساحة ووقفا متقابلين لاجل الراحة *(قال الراوى)* فقال الجوفران لدريد لما رأى قتاله وما شاهد من حربه ونزاله ياشيخ المسيح ماطلع ظنى فيك صحيح فقال له دريد وما كان ظنك يافارس الفرسان فقال وحق دينى وما أعتقده من عبادة الصلبان لما نظرت اليك والى كبرك ورأيت دموعك جارية على خديك فظننت من شدة خوفك من الحرب وكثرة فزعك من الطعن والضرب *(قال الراوى)* فناداه دريد وقال له كذاب والله أملك وأخطأ ما أملته من سهمك على اننى وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما أنا الا غارق فى بحر فكرتك ومتحير فى أمرك وقضيتك فقال له وكيف ذلك ياشيخ فقال دريد لانى أراك فصيح اللسان بكلام العرب وعندك فضل زائد وأدب وقد خالفت صفة الافرنج وبنى الاصفر فى اللون والزى والمخبر فقال له الجوفران اعلم أن الخالق الرازق قادر يخلق الابيض من الاسود والاسود من الابيض وليس عليه فى ذلك معترض وأما كلامى فمن أمى تعلمته وأتقنته وفهمته وأنى أحب لسان العرب دون الافرنج محبة متكاثرة لان فيه معانى ظاهرة وأشياء فاخرة فقال له دريد بن الصمة يافارس الخيل وأما سبب بكائى فماهو من خوف الموت ولا من ارتباك الفوت لانى قد بلغت من العمر خمسمائة عام وأنا لم أشتهى الاضراب الحسام والخوض فى الظلام وما بكائى الا على فارس كان فيما مضى من الزمان قد ساد على الفرسان وعلى بشجاعته على سائر الاقران وقتل بغيا وعدوان فلما انى برزت الى حومة الميدان تذكرت

فعاله ونتاله للاقران ثم ان دريد لما فرغ مما دار بينه وبين الجوفران من الكلام أشار ينعى عنتر بهذه الابيات وبقول

يا راكبا ان الاثيل مظنة * فقلت لهم ودمع مهمل ومدفق
الا تبكيه حن الارض ان تسقط الورق
فاني سوف اذكره اذا الريات تختفق
فلعل سمعن النصران ناديته * ولا الوى الى فرج مدا الايام تلتحق

(قال الراوى) فلما فرغ دريد من شعره وذلك النظام أطبق عليه الجوفران كأنه الباشق اذا انقض على الحمام وهو مثل الاسد الغضبان وتضاربا بالقضب اليمان ضربات تتعوذ منها مردة الجان وعلى الغبار على رؤسهما الى العنان وسارا تارة يظهران للعينان وتارة يغيبان عن أعين الفرسان وهما في منازلة ومجاولة ومطاولة ومقاولة وقد أخذا في الكد والصد والاخذ والرد والانطباق والالتصاق والبعد والاقتراب وقد اتسع عليهما مما فعلا بالميدان وضاق ونظر دريد من الجوفران ما حير منه العينان وكذلك نظر الملك الجوفران من دريد ما توقف البنان ويذهل عقول الشجعان وكان في ظنه انه قد غيره الكبر وما علم انه مثل النسر المعمر الا ان دريد كل وهل في آخر النهار وهي عزمه واضمحل فحمل عليه الملك الجوفران حملة جبار قد عارك الاهوال ومارس الاخطار ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه وقبضه من جلباب درعه واقتلعه من سرجه وأخذه أسيرا وقاده ذليل حقير وعاد به الى خيامه وسلمه الى غلمانه وخدامه والليل قد أقبل بظلامه (قال الراوى) فعند ذلك انحلت عزائم العربان وخافوه سائر الشجعان والاقران هذا والغضنفر قد لحقته الآلام والاحزان ولم يذق تلك الليلة شيئا من الطعام ولا التذ بالمنام حتى طلع الصباح بالابتسام وولت كتائب الظلام وركبت الطائفتين تطلب القتال ومعانقات الحرب والنزال وتقدمت قطلب بعضها بعضا وقد انتشروا في جنبات تلك الارض

(قال الاصمعي) لهذا الكلام ولما اكتملت الصفوف وتزينت الاتوف

واذا بالملك الجوفران قد خرج للبراز فى الميدان بزيه المعروف وجواد الموصوف ونادى بلسان عربى يسمعه كل انسان ولم يحتاج مع ذلك الى ترجمان فتكلم وقال هل من مبارز هل من مناجز فان هذا يوم الهزاهز فلا يبرز فيه جبان ولا عاجز الا من يكون فى الحرب بطل وان كان فيكم بقى بطل مقاتل فليبرز ويدع التكاسل وان كان قد عجز تم عن الحرب والقتال وخفتم من الموت وقرب الآجال فسلموا الينا الخيول والاسلاب واطلبوا لانفسكم النجاة والذهاب وان لم تقدروا على البراز وما فيه من الامور النفائس فابرزوا فارس لفارس أو مائتى لفارس أو ألف لفارس والا ان أبيتم وللبغى أتيتم فاحملوا بجمعكم على فانى بحربكم وفيا وبقتالكم مليا ﴿قال الراوى﴾ وما تم الملك الجوفران كلامه وما نطق به من مرامه الا وعنيترة بنت عنتر قد صارت قدامه بعد ما تعلق بها أخيها الغضنفر فما قسمت بمن خلق الشمس والقمر وبحق تربة أبيها عنتر لا أدعك تبرز الى هذا الشيطان الا ان أموت وأقبر أو يكون الامر على مقدورى فى ذلك الوقت أفعل ما عليه تقدر ﴿قال الراوى﴾ فسمع لها بذلك أخيها الغضنفر فعند ذلك خرجت الى الميدان أسرع من لمح البصر وحملت على الملك الجوفران بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر وكانت راكبة على جواد أحمر مليح المنظر عظيم الخبر وهو فى عدة الابجر الذى كان لابيها عنترة اسم الملمس ان حبسته الحبس واذا ضايقته الخيل تركها واختلس وكان عليها يومئذ درع من دروع الاكاسرة من الذى كان عند ابيها عنتر مدخر وعلى رأسها خودة عادية ترد أسباب المنية وتضرب بها الرجال المسمية وتدفع مضارب السيوف الهندية وبيدها صارم أبتر صقيل المتن مجوهر فى حده الموت الاحمر ومعتقلة برمح أسمر من عمل سمهر وعلى رأسه سنان يلتهب كأنه عقرب أو قبس على مرقب أو نار ذات اللهب ﴿قال الراوى﴾ وحمل كل واحد منهما على صاحبه والتقى طعنه ومضاربه وابدى كل واحد منهما فى الحرب عجائبه وغرائبه واغتم عليهما مشارق الارض ومغاربه وهدر كل واحد

منهما كأنه لاسد الهدار والبحر الزخار وعلمت عنيترة ان الجوفران فارس مغوار وبطل كرار ليس فى الحرب عليه عيار وصرخ فى وجوه بعضهما بعض صرخات متواترات فكادت أن تزول من شدتها الجبال الراسيات ولم يزالا كذلك حتى تتابعت منهما الصرخات مع الهمرات الى ان بقيت القلوب مرتاعة وكانا فارسين تبطل عندهما الشجاعة وكان لهما ساعة رأى ساعة كشف الحق فيها قناعه وصرخا على بعضهما صرختين صرت الخيل آذانها وارتعدت أبدانها ﴿قال الراوى﴾ الا ان عنيترة بينما هى فى شدة جولانها واذا قد عترها حصانها فانقلبت من عليه كانها جذع نخل أو شجرة باسقة تكسرت أغصانها فانقض عليها الجوفران قبل ان تتور كانقضاض البازى على أضعف الطيور فأخذها أسيرة وقادها بعدان وضع حمائل سيفه فى رقبتها ذليلة حقيرة وسلمها الى غلمانه وقد حلت بها الدهشة والحيرة وأقرنوها الى الاسرى وقد تحير الغضنفر مما جرى ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك الجوفران بعد ذلك عاد الى ساحة الميدان وهو كانه الاسد الغضبان وقد أعجبته نفسه لما رأى نصرته على تلك الاقران وصولته على تلك الفرسان وبعد ذلك صال وجال وطلب الحرب والقتال ونادى وقال ويلكم أبرزوا يا معاشر الابطال ودعوا من هذا التكاسل فقد طال بنا المطال فانى من أمر على استعجال ﴿قال الراوى﴾ فلم يتم مقاله حتى صار عمرو ذو الكلب قباله بعدان تعلق به الغضنفر فأقسم عليه بتربة أبيه عنتر أن يدعه ينال من براز هذا الفارس وطر ثم انه حمل على الجوفران بقلب من الحنق ملآن وفؤاد غير فزعان وقد ذكرنا فروسية هذا الامير عمرو ذو الكلب فى غير هذا الديوان فتلقاه الجوفران بقلب لا خائف ولا وجلان وانفسحا فى حومة الميدان وكان ساعة بينهما ما تقشعر منها الابدان وقد سار الغبار على رؤسهما مثل الدخان وغاب عن الابصار وتعجب مما جرى بينهما النظار ورؤا ان الوصل الى بعضهما بعيد والدنو الى ما بينهما صعب شديد فألقوا عند ذلك من أيديهما رماحهما وجذبا بعد ذلك سيوفهما التى

كانت أعجل لقبض الارواح ووقع الجد بينهما وطال الكفاح وذهب من بينهما اللعب والمزاح وعلا منهما الزعاق والصياح ولم يزالا فى ذلك الامر الا ان تقلمت فى أيديهما الصفاح هذا رقد أرتعدت من قتالهما قلوب الرجال وخرس اللسان وانذهل الجبان وقد تعب مما حل بهما الابدان وايقنا بحلول الاجل الاثنان الى ان تقضا عليهم النهار ولبست الشمس حلة الاصفرار ولحقهما التعب والانبهار وأيقنا من بعضهما بالبوار ولم تزالى على ذلك الحال الى ان ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال ونادى المنادى لهما بالانفصال فافترقا على سلامة ولم يعلم أحدهما على صاحبه بعلامة وعاد كل منهما الى جيشه وقومه وكل منهما يذكر ما لقى من خصمه فى يومه وكل واحد تلقوه رفقته وفرحوا به وهنوه بسلامه ✻ (قال الراوى) ✻ ولما رأى الى ذلك تمغص بالمضض وكيف لم يبلغ عمرو ذو الكلب من خصمه غرض فأقسم بمن خلق الارض والسماء وأجرى وعلم أدم الاسماء لابرز فى غداه الى هذا الجوفران الا أنا لعل أن أظفر به ونستريح من التعب والعناء وان كانت الاخرى ولم تصل يدى فتهيؤا كلكم فى أمر تعتمدوا عليه ثم انهم تناولوا شيئا من الطعام وأخذوا الراحة للمنام الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وترتبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح فعند ذلك برز الاثنان الجوفران بزيه المعروف الى ساحة الميدان واشتهر بين الفريقان وجال وصال حتى لين عريكة الحصان ونادى كما سبق له فى الايام الخالية من الزمان وسمعت ندائه بالعربى جميع الغرسان من شدة عزمه واهتمامه فلم يتركه الغضنفر يتم كلامه حتى برز اليه وصار قدامه بعدما تعلق به عمرو ذو الكلب فلم يفعل وكذلك زهير بن قيس فلم يقبل لاجل ما فى قلبه من الاهوال فلم يسمع لاحد منهما مقال ✻ (قال الراوى) ✻ وانه لما صار فى الميدان جال وصال حتى لين عريكة الحصان وكان عليه فى ذلك اليوم درع أبيه المانع ومتقلد بسيفه الصامى القاطع وجال قدام خصمه فى ساحة

الميدان

الميدان ونادى به وقال له ويلك ياقرزان يا ابن ألف قرزان يا كثير الفشل والهزيان دونك والحرب والطعان ثم مد اليه لسان السنان وصال وجال وترنم وأنشد وقال هذه الابيات

ألم تعلموا انى همام عشيرتى ✻ شديد القوى والحرب غاية مقصدى
فان ماجد فى بنى عبس محدث ✻ فمجدى فيها باسق غير مفقد
وأنا علوة على الفخر فى مجالنا ✻ نحامى عن الاخوان والقوم تشهد
وانى لقتال الرجال برمح وصارم ✻ لا يقاومه فى الحرب ألف مهند
ولست من الحرب العوال بفازع ✻ ولم أك رعديدا ولا رعش اليد

﴿قال الراوى﴾ لهذا الكلام فلما سمع الجوفران شعر الغضنفر شمر وتخر وتجبر وأخذته الحمية ونخوة الجاهلية والعزمة القوية وقد هاج كأنه الاسد القسور ونطق بالشعر لسانه وما قصر لانه تربية بنى الاصفر وأجابه على شعره بقول

أنا البطل الندب الذى شاع ذكره ✻ ببذل المعالى واكتساب الرغائب
فمالى مبذول لكل مؤمل ✻ وسيفى فى هام العدا والترائب
يعلق هام الظالمين ذبابه ✻ وما كنت رعديدا عند التقالب
ففى السلم سلام وفى الحرب قاهر ✻ وللجود مبذال وفى الحرب غالب
أنا الجوفران الندب سيد قومه ✻ أبيد الاعادى بالسيوف القواضب

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الجوفران من شعره ونظامه سل فى يده حسامه وأبدى ما عنده من وجده وغرامه وحمل على الملك الغضنفر حملة ليث قسور فالتقاه الملك الغضنفر بوجه بشوش قد أزهر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر وتحاربا وتطاعنا بالرمحين وتماشقا فى أيديهما السيفين حتى تحيرت من فعالهما الطائفتين وقد قلقت من تحتهما الجوادين ﴿قال الراوى﴾ ودام بينهما القتال واستطالا فى الحرب والنزال وعظمت الاهوال وتضاربا بالنصال وتكسرت فى أيديهما الرماح الطوال وبليا بالاهوال الثقال واصطدما بالابدان كأنهما الجبال وطلع عليهم الغبار الى الاعنان

تغيرت منهما الوجوه وخاب ما كانوا يؤملوه ويرجوه ونشفت ألسنتهما من العطش وحار كل منهما واندهش ولم يزالا على ذلك الحال وهما في حرب وقتال الى أن ذن الله للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالاسدال ورجعت الطائفتين الى الخيام لاجل الراحة والمنام وقد التقوا بنى عبس بالغضنفر وسألوه عن خصمه وما كان بينهما من ذلك الامر المنكر فقال لهم وذمة العرب العربه ما رأيت مثله في الحرب أقوى همه وقد تعبت في هذا اليوم من قتاله وحربه ونزاله ولكن غداة غد يكون نهاية حربه وانفصاله ويكون النصر لواحد منا آمالي وآماله *(قال الراوى)* هذا ما كان من الغضنفر واما ما كان من الجوفران فان أصحابه التفوا وأرباب دولته وسألوه عن خصمه وما رأى شجاعته فقال لهم وحق المسيح ما هو الا فارس مليح وهو جسور القلب في طعنه وضرابه ولكن لولا المساء أدركني ما كنت عدت الابه ثم انهم أحضروا اليه الطعام فأكل وبعد ذلك انكفاه لاجل الراحة والمنام بعد ما أوصى أصحابه بالحرس ونام *(قال الراوى)* ولما كان من الغد عند الصباح ركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وركب في مقدمتهم الملك الجوفران وسار قدام الدساكر الى حومة الميدان فرأى الغضنفر قد ركب وسبقه الى الميدان الى مكان الضرب والطعان فعند ذلك نزر اليه الجوفران ونادا دونك والمبارزة فاني ما أبقيت عليك بالامس الا حتى تنظر شجاعتي وتخبر لمن عندك من الفرسان عند مفارقتي فيشهدوا اني أوحد الزمان في فروسيتي فزعق فيه الغضنفر بصوت مدعر وقال له تقصر يدك عن هذا يا كلب بني الاصفر ثم انه أشار اليه يقول هذه الابيات

أنا الفارس القمقام يوم الكتائب * أخا المجد والعلياء كريم المناسب
اكر وأحمي الجار ولا أرى * لنفسي روعا عند وقع القواضب
ولا عجبا فيما أقول لانني * أبيد كماة الحرب عند التضارب
فيهجني لقاء ليث يصول مبادرا * بعزم صادق للحرب غير كاذب

(قال الراوى) فلما سمع الملك الجوفران منه ذلك الكلام والنظام فانطبق عليه كانطباق الغمام وأجابه على شعره يقول

لست بالحايد الحميد عن الحرب * لا ولا أنا بالجبان عند الضراب
واذا كانت النفوس جميعا * لم تكلني الفرسان عند الطلاب
وأنا الفارس المقدم فى الحرب * وكريم من سادات انجاب
ليس لى فى الحروب كفوا وانى * لشجاع لا أثنى عند حراب

(قال الروى) ثم انهم بعد ذلك حملوا الفارسين على بعضهما بعض واتسعت جنبات تلك الارض واخذوا فى معنات الطعن والضرب حتى عقد عليهما الضباب وبقيا عن اعين الناظرين فى حجاب وحارت مما وقع بينهما أولى الالباب وحكمت فيهما السيوف الرقاق وجرى لهما ما أبهر الاخلاق وحير الاحداق الا ان الغضنفر طعن الجوفران طعنة هائلة قاتلة وكانت الى صدره واصلة وقال له خذها من فارس عبس وعدنان فوقعت فى كتف الملك الجوفران فابذل دمه وارتعد منها وصار فى رجفان ولكن قوى عزمه وهدى روعه وصبر عليه وطاول خصمه الى أن أقبل الليل وعاد كل منهما عن صاحبه وهو يتأسف على خصمه ويتحسر وعاد الملك الجوفران وهو مرتبك مما قد اعتراه فالتفتت أرباب دولته وصاروا ينشفوا له دمائه وكانت الجراح قد أوهنته وعن المنام منعته فوضعوا له الرهبان عليها حشائش يعرفونها وشدوها شدا وثيقا وقد زادت به الاشجان وبات وهو يتقلق كأنه النمر الحردان ولم ينم تلك الليلة مما ناله من الهيمان *(قال الراوى)* وما زال على ذلك الشان الى أن أصبح الله بالصباح وما صدق بالصباح أن يصبح حتى ركب وخرج الى الميدان ونادى وطلب البراز وسال الانجاز واذا بالغضنفر مما به من الخنق قد خرج اليه مثل البرق اذا برق أو الغيث اذا اندفق أو السهم اذا انطلق ثم انهما حملا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرضا حتى تدكدكت من تحت أرجل خيولهما الارض وصالا طويلا واعتركا وبيلا وأخذا ميمنة وميسرة وسارت الخيل تجرى بهما ناره

خبيا وترة قهقرة وشخصت لهم أعين الفريقين لان جرى بينهما حرب تحيرت منه الطائفتين وأندهلت الفرسان مما جرى لهؤلاء البطلين من شدة ماصار بينهما من القتال ومالقيوا فى ذلك اليوم من الاهوال وقد صرخا صرختين تفطرت منهما القلوب وكادت الاكباد منهما أن تذوب وجرى بينهما حرب شديد يحير منه البطل الصنديد ويشيب له الطفل الوليد ولم يزالا على ذلك وهما فى حرب أكيد وقتال عنيد وهما على ماهم عليه من ذلك الحال الى أن أقبل الليل بالانسدال وعزم النهار على الارتحال وعادا عن بعضهما بسلامة ولم يبلغ أحدهما من صاحبه غرضه ومرامه ورجع كل واحد الى أصحابه وقد زادت به أوصابه وكل منهما تلقته قومه وأحنادة وقد امتلأ بالحنق فؤاده وقال عمرو ذو الكلب للغضنفر كيف رأيت خصمك فى هذا اليوم فقال لعن الله الكذب فانه يزرى بالرجل ولو كان من أكابر القوم ووالله ماهو الا فارس عظيم وبطل جسيم ولقد لاقيت منه فى هذا اليوم ثبات مقيم وهو بذلك الجرح العظيم مثل مالاقيته منه بالامس وهو سليم وفى غداة غد يكون الانفصال بمشيئة الملك المتعال ﴿قال الراوى﴾ فهذا ما كان من الغضنفر وماتم له من الاقوال مع قومه وأما ما كان من الملك الجوفران فانه التقوه خواصه وقومه بأحسن استقبال وقالوا له كيف رأيت خصمك فقال لهم وحق المسيح ومزمار داود والحوار المليح ماهو الا فارس شديد وبطل صنديد مليح وهو جيد الحرب والنزال وغدى يكون بينى وبينه الانفصال ﴿قال الراوى﴾ ثم انهم تناولوا الطعام واخذوا الراحة التى هى صحة الاجسام وباتوا تلك الليلة على ذلك الرواح الى أن اصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الطوائف تطلب الحرب والكفاح وترتبت الصفوف وتعدلت الالوف وبرقت فى أيديهم السيوف ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك ركب الملك الجوفران وصار فى عاجل الحال فى وسط الميدان وطلب البراز وسأل الانجاز ونادى وقال هيا يافرسان الحجاز ابرزوا لى فارسكم المغوار وبطلكم الذى هو عندكم رأس الطراز

فماتم الجوفران كلامه الا والغضنفر حمل عليه وصار قدامه وكان قد خرج على مهل من غير انزعاج ولا عجل والجوفران يظن ان ذلك من الخوف فعند ذلك قصده الغضنفر وانطبق عليه انطباق الاسد انقسور وقام فى رأسه حمية أبو عنتر فأنشأ يقول

سلوا الخيل عنى حين أعلو اسروجها ✻ وأسرى بها نحو الاعادى سرعا
اليس أنا الموت المفجع للعدا ✻ اذا اشتبكت زرق الاسنة طلعا
أبيد ركات الحرب فى حومة الوغى ✻ وأمحنهم فى السلم أفضل موضعا
أقوم بهم لا أعطى الحرب حقها ✻ أجندل منهم كل قرم صميدعا
أدير عليهم كاس حنق من الردا ✻ تمازج سما فى الجوانب ناقعا

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الغضنفر من شعره وما أبداه من نظمه ونثره حمل على الملك الجوفران وأطلق لجواده العنان وقوم بين أذنيه السنان فالتقاه الجوفران بقلب أقوى من الصوان وأوسع معه فى الميدان وأجابه على عروض شعره بفصاحة لسان وقوة عزم وثبات جنان وأنشد وقال

الا سائلا عبس يوم الوغى ✻ غداة التقينا جميعا معا
تقودهموا فى وسيع الفلا ✻ على كل صافنات أربعا
تعلق بالبيض هاماتهم ✻ وسبق يوم الوغى من سعا

﴿قال الراوى﴾ ولما فرغ الجوفران من شعره والنظام أنطبق على بعضهما بعض وأخذوا فى المجال طولا وعرض وأخذ الغضنفر من الجوفران الحذر وكالفه بالحسام الذكر وصار بينهما حرب يذكر ما طلعت الشمس والقمر وكان لهم ساعة تقشعر منها الجلود وظن كل واحد منهما انه ما يعود وحملا على بعضهما بقوة وزعجرة وتصادما صدمات منكرة ورأت الفرسان منهما فى ذلك الوقت ساعة عسره وجالا جولا طويلا واعتركا غير قليلا ولم يزالا فى كر وفر ومقام ومستقر وأخذ ورد وهزل وجد وقتال ونزال حتى تحطمت من طعناتهما تلك القنطاريات الطوال وتثلمت فى أيديهما من كثرة الضرب السيوف الصقال ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى مجادلة

ومحاربة ومقاتلة حتى قاربت الشمس ان الزوال وقد تيقن كل واحد منهما انه لا يرجع الى دياره مما أوقد من الحرب عليهما ناره وخاف الغضنفران ينقضي عليه النهار ولم يبلغ من خصمه ما يختار فلاصق الغضنفر الملك الجوفران وطابقه وسد عليه طرائقه وقام في ركابيه وتطأ في بداديه وأراد أن يضربه بالسيف يقضي عليه والجوفران قد احترز من ضربته واستتر بدرقته فمن قوة حنق الغضنفر فقسام بركابيه وضرب الجوفران فعند ذلك انقطع به الركاب وقد سقط عن الجواد ووقع على التراب وقد انوهن بعضه في بعض فانقض عليه الجوفران أسرع من البرق وأعجل من نزول الورق وأخذه من على وجه الارض بسرعة وهو متوهن من تلك الوقعة وعاديه وهو في صفة الاموات وقد علت من تلك الافرنج الاصوات ودقت الطبول والكاسات وصرخت الرجال ونعرت البوقات وحملت فرسان بني عبس على الاثر وأيضا بنى هوازن وبنى قضاعة برمتهم واخلاص الغضنفر فالتقتهم الافرنج كأنهم السيل اذا انحدر وعمل بينهم الصارم الذكر ولعبت الخيل بجماجم الرجال كأنها الاكر وعمل الشجاع أعمال تحير البصر وانهزم الجبان وتقهقر ولم تزل الابصار حائرة خاسرة والسيوف أحكامها في الابدان جائرة وأفاعي الرماح الى نهش الارواح متبادرة والوحوش الى جثث القتلاء نافرة وقلوب بني عبس لفقد الغضنفر طائرة ﴿قال الراوي﴾ هذا وقد عمل الحسام في الرؤس والاجسام واختلفت رسل الحمام ولمعت نجوم الاسنة من تحت سحائب القتام وقامت عروس الحرب على الاقدام وانتشرت عليها جماجم الكرام ومازال السيف يعمل والدم يسيل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى أقبل الليل وانسدل وانفصلت الطوائف عن الحرب والعمل وعادت فرسان العرب وهي تخوض في بطون القتلاء وقد حل بهم من أسر عنيترة والغضنفر البلاء وما أحمى نار الحرب الاعمرو ذو الكلب فانه هو الذي دفع عن قومه في ذلك اليوم البلاء ورجعت عن بعضها بعض الطوائف وفيهم من هو آمن وخائف وباتوا بني عبس وما فيهم من استطعم

بزاد ولا تهنى برقاد ولا قر له فؤاد ﴿ (قال الراوى) ﴾ هذا وعمر وذو الكلب يقول ما بقى فى الامر الا انى فى غداة غد أبرز الى الميدان وأطلب مبارزة الملك الجوفران وابذل فى قتاله المجهود فاما أن أرجع بنيل المقصود أو أبقى معفر فى الثرى ملحود وافترق الجمعان وباتت الطائفتان وتحارس الفريقان وبات عمر وذو الكلب على هذه النية وقلبه وقلوب بنى عبس على حر النار مشوية ﴿ قال الراوى ﴾ هذا ما جرى لهؤلاء وما وقع لهم من الاحكام وأما ما كان من الملك الجوفران وما يريد أن يدبر من المرام فانه أقبل الى سراداقه وهو فرحان ومن حوله الابطال والفرسان وداروا به القسس والرهبان وقد صلوا عليه صلاة الموتى بطيب الالحان وهو مما لاقاه من الحرب سكران ﴿ (قال الراوى) ﴾ وبات الحرسيد ورين الطائفتين الى أن أصبح الله بالصباح واسفر الفجر بنوره الوضاح فعند ذلك ركبت بنى عبس ومن معها من الطوائف واصطفت الصفوف واهترت الدوابل واشتهرت السيوف وفى ذلك الوقت أقبل على عمر وذو الكلب بن شيبوب الخزروف وقال له يا أمير انا لا ننبغى اذا اشتغلتم فى هذا اليوم بالحرب والصدام أن أختلط بالافرنج واذا عادوا أعود معهم الى الخيام وأتسبب فى خلاص أولاد عمى عنيترة والغضنفر لو أنى لا فى فى خلاصهم الموت الاحمر ﴿ قال الراوى ﴾ فقال له عمر وخاف عليك أن تعرف فتهلك ويعدموك قومك وأهلك فقال له الخزروف يا أمير ما يكون من الرب العظيم الا كل خير كثير ثم انه خلع عنه ثيابه ولبس ثياب تصلح لهذه الاشغال لانه كان قد أخلف أبوه وفاق عنه وتكامل فى المكر والمحال ثم انه ألقى ما فيه لاربع وطلب البر القسيح وكان قد عصب رأسه بعصابة حرير ولبس فوقها كنبوش أسود كبير وشد وسطه بسير عريض وأخذ فى يده عكاز كبير غليظ ولفق مع تلك العصاة عصاة ألطف منها وشد الاثنين شد وثيق وأخذ فى يده الاخرى قطعة خلنج رأبريق وعمل على صدره صليب من خشب بعقبق ولبس برجليه ملابس بطريق وتزيا بزى شماس عتيق وخرج من الجيش كأنه شيطان أو من

بعض عمار الجان وأخذ فى عراض الجيش ودخل من بين البساتين كانه الذيب الاغبر وقطع فى الفلاء ساعة ملية الى أن علم بحاله قد سار خلف جيوش الافرنجية فعند ذلك عرج وأتى من خلفهم حتى انه يتجسس ويدخل الى جيوشهم ﴿قال الراوى﴾ وكان للاتفاق قد ركبت الافرنج للقتال لمسارات بنى عبس وقد اعتدلت للنزال لانهم طمعوا فيهم بعد أسر حماتهم عنيترة وأخوها الغضنفر الاسد الرئبال هذا وقد أرتجت الاقطار وأظلم ضوء النهار وتهتكت الاستار وذهلت من هول ما عاينت الابصار وحار من شدة الحرب نظر النظار وحملت الصفوف على الصفوف وتلاطمت الالف مع الالوف وتقطعت المناكب والكفوف وحكمت فى الاجسام الرماح والسيوف وقاتل فى ذلك اليوم عمر وذو الكلب القتال الموصوف وجعل يكفكف الفرسان عن قومه فى البطاح ويلتقى عنهم بصدره أسنة الرماح وأما أم عنيترة قناصة الرجال فانها حيرت بفعالها الشجعان واذهلت بقتالها نظرا لعينان ونكست عن السروج الاقران من شدة الطعان وضرب بالسيف اليمان وهى الى جانب أخيها عمر وكانها الاسد الغضبان ولله در سبيع اليمن بن مقرى الوحش وما فعل فى ذلك اليوم العظيم الشان وسابق وأخيه لاحق يا ما فعلوا فى حومة الميدان وكذلك الديال بن الغضبان فانه حير بفعاله الفرسان واقتتلت الجيشان وثبتت الفرسان وفر الجبان وهو منذهل العقل حيران ﴿قال الراوى﴾ ولله در الملك الجوفران وما عمل فى ذلك اليوم بالاقران والشجعان وكان التقى بعمرو ذى الكلب آخر النهار وجرى بينهما حرب يحير النظار ويذهل الابصار وافترقوا عند اقبال الظلام لطلب الراحة والمنام وكذلك افترقوا الجيشان ورجعوا عن القتال الطائفتين وباتوا يتحارسوا الفريقان ﴿قال الراوى﴾ ونزل الملك الجوفران فى سرادقه وقد كاد الغيظ مما قاسى فى ذلك اليوم ان يخنقه وقد أشعلت الشموع بين يديه والبطارقة والحجاب دائرة من حواليه وهو يديرفيهم عينيه ويجلس خواصه ومن يعز عليه وينظر الى الاسارى

ويريد يقدمهم اليه فجاءت منه التفاتة فنظر الى الخزروف وهو واقف بين تلك الصفوف وهو ينظر الى الخيمة التى فيها الاسارى بنظر خفيف فقال لبعض خدامه آتونى بذلك الرجل الضعيف الذى صاحب الجسد النحيف فما كان بأسرع ما أحضروه بين يديه ولما حضر الخزروف بين يديه أومأ بالسلام عليه وصلب على وجهه وكشف رأسه وسكع والتراب قبل وركع (قال الراوى) فقال له الجوفران من أنت ومن أين تكون وما هو دينك من الاديان أصدق بالحق والا وحق المسيح وما رى هذا المعمدان ضربت رقبتك بهذا السيف اليمان وأنزلت بك الهوان فقال له الخزروف يا مولاى أنا من بلاد الملك ساسان وقد جار على الزمان ورمانى منه بالحرمان وقد فقدت الاهل والخلان (قال الراوى) فقال له الجوفران ومن فعل بك هذه الفعال من أهل ملة الصلبان فقال له الخزروف يا مولاى وحق المسيح وديرقشه وصومعة الرهبان ما فعل بى هذا الفعال الا هؤلاء الاسارى الذى هم أوشم العربان الذى هم فى قبضتك الآن وقد فعلوا بى ذلك على زمن الملك خيبجان وأتت بنى عبس ومجمعة العربان وهم فى عزمة وهمة وخاصوا الاسارى مع هذا الشيخ الذى يسمى دريد بن الصمة الذى فى قلبى منه ألف رزية وغمة ولو حصل هذا الشيخ فى يدى يا مولاى لأكلت لحمه وشربت دمه لانهم قتلوا لى ثلاثة أخوة وولدى وقد فطروا فؤادى وكبدى وقد هدوا قواى وجسدى وكانوا قد أخذونى معهم أسير بحالة الويل والتنكيل والتعتير وكنت قد بقيت معهم أسوق الاموال والنوق والجمال ووصلت معهم الى أن قربت من هذه البلاد فهربت منهم وبقيت مشتت وحيد على حالة الانفراد وبعد ذلك توصلت الى أن دخلت القسطنطونية وخدمت فى بعض الكنائس لاهل ملة النصرانية الى أن أتت هذه الايام وسمعت أنك أيها الملك الهمام والبطل الدرغام قد استأسرت من بنى عبس أقوام فأتيت الى هاهنا لانظرهم النظر التام ولان قتلت منهم أحد أيها الملك وأبدت عزمه وشويت لحمه أكلته وتلطخت بدمه (قال الراوى) ثم

ان الخزروف أظهر الحسرات وتصاعدت منه الزفرات وأسيل العبرات وأنشأ يقول

لاتعجبا من عبرتي ونحيبي ❊ ياصاحبي فليس بعجيب
وتخوفا يوم الفراق فانه ❊ لاشئ أعظم من فراق حبيب
ترك الفراق العاشقين كانما ❊ أجسامهم خلقت بغير قلوب
من لم يكن عرف الهوى وذاقه ❊ فلقد أخذت من الهوى بنصيبي
أرأيت ياهذا أشد بلية ❊ نزلت على بشر فراق حبيبي

﴿قال الراوي﴾ ثم ان الخزروف أظهر البكاء والاحزان وأجرى دموعه من الاجفان حتى رحمه الملك الجوفران وبكى كل من كان حاضرا في ذلك المكان وقال له الملك الجوفران ياهذا أقلل من بكائك فنحن نأخذ لك ثارك ونبلغك منالك ونأمرك أن تضرب منهم الرقاب وترمي رؤوسهم الى الكلاب فقم وادخل الى الخيمة واصنع بهم ماشئت من العذاب ولكن لاتقتل منهم أحدا حتى اني أواقعهم وأعاتبهم فقد وكلتك بهم حتى انك تعذبهم ﴿قال الراوي﴾ فنهض الخزروف الى خيمة الاسارى التي جعلت لهم في ذلك المكان وكانت الى جانب سرادق الملك الجوفران فرفع سجاف الخيمة ونظر اليهم من خلف ظهورهم واذا بالكل مقيدين وحيارى في أمورهم لما حل بهم من ذلك الامر الذي قد ضاق منه صدورهم فعند ذلك تقدم اليهم الخزروف حتى انه قارب بعزمه وهمته فوقعت عينه على دريدين الصمة فصرخ عند نظره اليه صرخة عظيمة وقد زاد له في السب والشتيمة وقال له وحق المسيح وما مسح وحق البيعة الكبيرة والمذبح ان هذا هو الشيخ الذي قتل ولدي وأحرق عليه كبدي وأضنى بفراقي له جسدي ثم انه في عاجل الحال تقدم اليه ولطمه بين كتفيه وصار يعض أذنيه ويضربه بتلك العصا تين الذي في يده على يديه ورجليه هذا والملك الجوفران يضحك عليه ودريد يصرخ فيه ويقول يا ابن الملعونة أوضحلي معرفتك فلعن الله مرضعتك وأهلك وقومك وعشيرتك ﴿قال الراوي﴾ فتبسم

الخزروف لما سمع من دريد ذلك الكلام فعرفه الغضنفر معرفة تمام وقال لدريد يا ابا النظر لا تشمته فانه بن عمي الخزروف وما أتى الا ليسعى فى خلاصنا من هذا الامر المنكر ويتسبب فى اطلاقنا مما نحن فيه من العبر ﴿قال الراوي﴾ فقال له دريد ياهذا ومن أين للخزروف أن يقدر يأتى الى هذا المكان وانما هو ذا قد أفقره الزمان وهو من فقراء مدينة ساسان الا انه قد أحرق ظهري بالضرب هذا الالف قرنان ثم تحقق فيه بنظره فعرفه فقال له يا ابن الملعونة قد قطعت لحمي بأسنانك ومتى قتلت أنا ولدك أو نهبت مالك وبددت شأنك فتبسم الجوفران وغمز دريد بن الصمة زاد فى شتم الخزروف وفى سبه والملك الجوفران يضحك عليهم هو ومن حوله من الرجال فبينما هم على ذلك الحال واذا بضجة قد أقبلت وعشرة جوار قد ارتحلت وعلى الملك الجوفران سلمت وبينهن جارية صاحبة حلل وافتخار ولها هيبة ووقار وعليها حلة سابلة معقودة بالجواهر الكبار (قال الراوى) ولما قربت من الجوفران قام لها قائما على الاقدام وكذلك كل من كان حاضرا قام فجلست الى جانبه وهى كانها من خيار قومه وأقاربه وليس هذا عند الافرنج بقبيح وانهم يجلسون بين الرجال بالزى المليح فلما جلست واستقر بها المقام بادته بالكلام وقالت له مالى أراك أيها الملك ضحكك عاليا بزيادة وما عهدت منك ان ذلك بهذا عادة فقال لها يا أماه أضحكنى هذا الرجل الساساني فانه ليس له فى خدمة الملوك ثاني ﴿قال الراوي﴾ ثم انه قص عليها مجئ الخزروف وقصته وما سمعه من كلامه وحيلته (قال الراوى) وكانت نازلة بعيدا عنه فى غير ذلك المكان واتفق انها جاءت اليه فى ذلك الوقت والاوان فقالت له وأين هذا الرجل الساساني الذى ذكرته فقال لها انه عند هذه الاسارى الذى قد أسرتهم فقالت على به وأمرت أن يحمل فأتوا به وأحضروه الى بين يديها فرمقت له وميزت اليه بالنظر وحققت فيه العيان ثم انها التفتت الى الملك وكلمته بالاسان فلما سمع كلامها فعند ذلك التفت الى الخزروف وأمر بالقبض عليه ﴿قال الراوى﴾ وكانت

قد قالت له يا ولدي اعلم أن هذا سلال محتال قد أتى يطلب بخلاص ملك الاسارى بالمحال فوحق المسيح لولا وصولى فى هذا الساعة لكان قد تم عليك محاله وخداعه فعند ذلك أمر الملك الجوفران بأن يوثقوه كتاف بالحبال وهو بذلك الزى الموصوف ولما رأى روحه على ذلك الحال لحقته الحيرة والانذهال وكذلك دريد وعنيترة والغضنفر وما منهم الا من انذهل وتحير مما رؤا فى أمورهم وضاقت من تلك الفعلة صدورهم وكذلك من معهم من الفرسان وهم دنار وخفاق وياسر وليث الميدان لانهم كانوا قد أملوا به الخلاص من الذل والهوان وبعد ذلك قدمه الى بين يديه الملك الجوفران وقال له يا ملعون اصدقنى فيما جئت فيه من الامر والشان والا وحق المسيح ومزمار داود والدين الصحيح لضربت رقبتك وتركت دمك فى هذه الساعة على الارض يسيح (قال الراوى) فقال له الخزروف يا ملك النصرانية لا تفعل فانى تكلمت بين يديك الا بالصحيح وما أنا الا رجل من بنى ساسان وحالى وضيع وقد رمانى الزمان بالذل والحرمان وهذا من تمام الذل والهوان * (قال الراوى) * فبقى الملك الجوفران من كلام الخزروف حيران ثم انه نادى ببعض حجابه وأمرهم باحضار الغضنفر اليه ففى عاجل الحال أتى به وأحضروه الى بين يديه فقال له الجوفران يا هذا قد صح عندى انك شجاع والكذب لا يليق بالشجاع والصدق أحسن ما تزين به الرجال فبحق ما تعتقده من رب زمزم والمقام وبحق البيت الحرام والمشاعر العظام هل تعرف هذا الولد الزنا وابن اللئام * (قال الراوى) * فعند ذلك قال الملك الغضنفر وقد تعجب مما حلفه به من تلك الايمان وتحير وقال له يا ملك لا تسبه فان الكذب قبيح وما أقول والله الا الصحيح وانه ابن عمى ولحمى ودمى ومفرج همى وغمى وقد أتى ليخلصنا بالحيلة فوقع فى يدك بهذه الوسيلة (قال الراوى) * فلما سمع الخزروف كلام الغضنفر فقال الذنب ما هو لكم ولكن الذنب لمن أتى خلفكم يتعثر ويروم خلاصكم من هذا الامر المنكر فقال له الغضنفر ويلك يا خزروف والا كنت أكذب وأنا قد صرت بين العرب

معروف وهو قيد حلفني برب زمزم ومنى والمستحق الحمد والثنا فقال له الخزروف لا تكذب ياولد الزنابل أنت سلكت طريقة أبيك عنتر العبد الزنيم وأوقعتني بصدقك في هذا الهول العظيم فقاسوا الذل والهوان والعذاب الاليم ولعن الله لحاكم أجمعين ﴿قال الراوي﴾ هذا والملك الجوفران قد تعجب من فصاحة الخزروف وجسارته وصدق الفضنفر وهم في مقام الخيط وقوف ثم انه قال للخزروف ياولد الزنا وتربية الامة اللخنا لابد أن أعذبك العذاب الاليم الشديد وأربطك مع الكلاب في القيود الحديد بتهمك على مقامات الملوك وأنت فقير مملوك ثم أمر ان يقيدوه بقيد ثقيل وثيق ووكل به وبالاسارى عشرين بطريق كل واحد منهم مثل الحجر المنجنيق وأوصاهم عليهم بالاحتراز لكون علمه انه ثبت عندهم انهم فرسان الحجاز ﴿قال الراوي﴾ وبعد ذلك أمرهم بالانصراف من بين يديه وقام بعد ذلك الى منامه لاجل الراحة الى بدنه ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الطوائف وتقابلت بعضهم البعض وانتشرت الفرسان في جنبات تلك الارض وحملت الشجعان واتسعوا بالجولان في الميدان وتضاربوا بالبتار وطلع عليهم ما الغبار حتى غابوا عن الابصار وسطى السيف في حكمه وجار ونثر الرأس من على الابدان وثبت الفارس الكرار وولى الجبان الادبار وركن الى الفرار وجرى بين الجيشين العجائب وشابت الذوائب واهتزت من تحت أرجلهم الارض من ركض الجنائب وعدم الحبيب الحبائب ودارت عليهم الدوائر وقد اصطدمت عليهم العساكر وقد اختلطت العشائر حتى صار الاول منهم مايلحق الآخر ولم يزاعلى ذلك الحال وهم في قتال ونزال ومدافعة وجدال حتى حطت الحرب أوزارها وأرقدت الحرب نارها وطلبت كل طائفة الاخرى بثارها ونادت بنى عبس بكناها وافتخارها وكذلك بنى قضاعة وفارسها الامير عمر وذو الكلب وأخته قناصة الرجال تاروا في الحرب غبارها وخاضوا قساطلها وقتارها وعملت منهم

الرماح فى الاشباح ولبست الاجساد من الدماء وشاح ونادى المنادى بلى جناح وصاح وتمنى الفارس أن يطير بلا جناح وانباعت الانفس بيع السماح وصارى فى أعين الفريقين المساء والصباح وبان فى وجوههم غصص الموت ولاح وعبست الوجوه الصباح وضجت الفرسان من ألم الجراح بضجيج النوق عند الرحيل والرواح وزعق غراب البين وناح وفر الجبان وطلب الراح وضاقت على الهارب الاماكن الفساح ولم يزل السيف يعمل والدم يسيل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل وقد تحير الملك الجوفران وتبلبل من قتال بنى عبس وما عملت فى ذلك اليوم من العمل لانه ماظن انهم يثبتوا بين يديه لضرب السيوف ولا علم ان كل واحد منهم يعد بألوف لاسيما ويقدمهم الامير عمرو ذو الكعاب البطل الموصوف وأخته فتاكة الرجال وهى كانها اللبوة اذا فقدت أشبالها وعادت الطائفتين عن الحرب والطعان وكل منهم ما يصدق بالخلاص من الميدان ﴿قال الراوى﴾ وأعجب ماجرى فى هذه القصة العجائبية من أحاديث العربان ان الملك الجوفران لما نزل فى سراداقه وأحاطت به البطاوقة والرهبان من كل جانب ومكان فأقبلت أمه على جرى عادتها ومن حولها أكابر دولتها وأرباب خبرتها وكان قد انحرف عنها لاجل الكلام ومالاقى فى ذلك اليوم من الحرب والصدام فدخلت الى الاسارى فوجدتهم مما حل بهم من الاسر حيارى فتعجبت من أمرهم وأها لما عدم صبرهم فقالت لهم من أى البلاد أنتم ومن أى القبائل ومن أى العرب قد تجمعتم ﴿قال الراوى﴾ فقال لها زيد بن الصمة يا ملكة اما نحن من قبيلة واحدة وان قبائلنا من بعضها البعض متباعدة ونحن من ثلاث قبائل ولكننا من قوم كرام أصائل أنا من هوازن وجشم وهذا الفتى رفيقه ينتسبون الى بأولاد عمى وأشار الى دثار بن روق وخفاف بن ندبة وكانت رجتهم الملكة عما حل بهم من تلك الامور الصعبة وهؤلاء الاربعة من بنى عبس وعدنان وأشار الى الى العضنفر وعنترة وياسر وليث

الميدان وكذلك هذا الولد الزنا وأشار الى الخروف وامه من دوننا بالمكر والخداع موصوف (قال الراوى) فعند ذلك تقدمت الملكة أم الملك الجوفران ووقفت على رأس الغضنفر وكذلك أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وقالت له يافتى أنت من بنى عبس كما تقرر فقالت له ما يكون منك من شداد عنتر فقال لها ياسيدتى هو أبى كان فقالت ما أصابه من غدرات الزمان فقال لها الغضنفر قتل ظلما وعدوان فقالت له وابنة عمه عبلة ما فعل بها الزمان فقال لها قد قتلها شخص من بنى عامر وأحل بها الهوان وكان يقال له عامر بن الطفيل ولكن كان شجاع الزمان وكان قد تزوجها بعد أبى لما قتل وحانت منيته (قال الراوى) ثم حدثها بالحديث على جليته فقالت له وأنت أمك تزوج بها أبوك بعد عودته من عند الملك قيصر قال بل ان أمى أقرب ما يكون الى الملك من دون البشر وهى بنت أخوه وتسمى الملكة مريم وكان قد تزوجها من الملك قيصر بحضور اخيها بالمقام وكان ذلك منها اكراما لما أتى اليه الى مدينة رومة الكبرى وله فى حمايتها خدم لما سطى عليه الملك بهمند أخو الملك خيلجان الذى قتله أبى عنتر فى بلاد العجم وكان ذلك منه فيما تقدم فقالت له وما تكون منك هذه الفارسة السمرة اللون المليحة المنظر والكون فقال لها يا ملكة هذه اختى من أبى وقد حل بها من قتل والدى ما حل بى وهى تسمى أم الزعازع ولبوة الوقائع وجامعت شملنا وحامينا كلنا فقالت له وأمها تزوج بها أبوك بعد رجوعه من بلاد الروم فقال فهو كذلك أنه عاد الى الحجاز وتلك الرسوم وأمها تسمى الهيفة قناصة الرجال أخت الامير عمرو ذو الكعاب الفتى الربعاب فقالت وهؤلاء الفارسين الاخر ما يكونا يافتى منك فأخبرنى بالصدق وأبشر بزوال الضيق عنهما وعنك وكانت قد أعنت باشارتها على يا سر وليث الميدان وكانت قد ظنت فى نفسها انهما اخوان (قال الراوى) فقال لها الغضنفر يا ملكة اما هذا فهو بن أخى ميسرة بن عنتر واما هذا فهو ابن عمى ما زن أخو أبى وكان الاصغر وانا ما اجتمعنا عليهما الا بعد ان قتل

أبى وأمه ثم لانهما ربيا عند الملكة حلية بنت صاحب الشام وكان أبوهما قتل قبل أبى وربتهما أيتام ولكن عندها وعند أخيها الملك عمرو فى خيرات وانعام *(قال الراوى)* فقالت له الملكة وهذا السلال هو ابن عملك شيبوب فقال نعم هو ذلك ياقوت القلوب فقالت له وعملك شيبوب ماكان منه فقال قتل وانقبر قبل أبونا بثمانية سنين أو أكثر فقال لها الغضنفر ما أراكى يا ملكة الا عارفة بنا غاية المعرفة وتصفى أنسابنا بهذه الصفة فمن أين لكى علم وهو معرفة بهذه الاخبار فقالت له أموركم كانت تصل الينا مع السفار ولكن طيبوا قلوبكم فأنا ان شاء الله أكون السبب فى خلاصكم من ازالة كروبكم وأسيركم الى بلادكم بما تبقى من جيوشكم وأجنادكم وأجتهد فى خلاصكم *(قال الراوى)* ففرحوا الجماعة بمقالها وشكروها على ما أبدته من جميل فعالها ثم انها مضت من عندهم بعد ما أوعدتهم بخلاصهم من ضيق سجنهم وأرسلت لهم مأكول ومشروب من الطعام ثم انها أقامت الى أن انفصل القتال فى اليوم الثالث وقد خافت من ولدها لا يحدث فى حقهم شئ من الحوادث *(قال الراوى)* وبينما هم على هذا الحال وقد انفصلت الطوائف عن القتال ورجع كل جيش الى مقامه وأقبل الجوفران الى سرادقه ومحل منامه وغلمانه وخدامه وهم يمشون قدامه وكان قد أتى وهو ممتلئ غيظا وحنقا كيف لم ينال من كسر جيش بنى عبس مرامه فما أكل طعام ولا غفلت عيناه الا بشئ قليل من المنام فرأى فى منامه ما أزعجه وأنهره فضاق كذلك صدره وزاد تكدره وما رجع من تلك الساعة أخذه منام ولا التذ بأكل طعام ولم يزل على ذلك الحال حتى طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح وبطل فى ذلك اليوم القتال حتى ينظر ما يكون له من الاحوال ويفسر ما رآه فى المنام على أحد يكون يعرف فى تأويل الاحلام وكان من أمره ومنامه عجب فان كلما يأتى على الانسان له سبب وذلك انه لما أصبح الله بالصباح وجلس فى مقامه وطلب أن يفسر ما رآه فى منامه وقد انزعج لذلك وضاق صدره وزاد آلامه فأمر باحضار

القسس والرهبان حتى انهم يعبروا له رؤياه فحضر كل قسيس وبطران وأحضر أيضا البترك الكبير والمعمدان فقالوا له أيها الملك أبدى لنا ما رأيته فى منامك وتذيذ أحلامك وأعلمنا ما هو الذى أزعجك من أحلامك ﴿قال الراوى﴾ فأقبل عليهم يحدثهم بما رآه ويبدى لهم ما نظره فى رؤياه وقال لهم انى رأيت كأنى أقبلت الى سرداقى هذا وجلست على سريرى كذا واذا أنا بكتفى اليمين قد اختلج اختلاج عظيم وقد طلع منه يد مثل يدى هذه ولها ساعد مستقيم وامتدت من أصل كتفى حتى انها لحقت بأصابعى وكفى فقلت فى نفسى وحق المسيح لقد بطلت همتى عن القتال وقد عجزت عن مكافحة الحرب والنزال وانى خائف من هذه الاهوال واذا بها قد التحت وصارت يدا واحدة وعادت الى ما كانت عليه وبقيت فى أمورها متساعدة وانتبهت بعد ذلك من منامى واستيقظت من أحلامى وأنا خائف مرعوب متكدر الخاطر وفى أمرى مكروب من عاقبة ما رأيته من أحلامى فبينوا لى شرح ما أنا اليكم قائل ان كان فيكم أحدا عارف بتفسيره عاجل فبينوا لى هذا المنام وفسروه قوام ﴿قال الراوى﴾ فتعجبوا الجميع من ذلك المنام وعجزوا الكل عن تفسيره وبلوغ المرام فقالوا له بأجمعهم يا ملك النصرانية وسيد أهل ماء المعمودية اعلم اننا ما لنا علم بتفسير المنامات ولا نعلم بهذه الكائنات وحق المسيح والسبع كلمات وتربة الراهب ساحات الذى قعد أربعين سنة فى دير الزرزور ولم يغسل وجهه الا من المعموديات ما عندنا علم بتفسير هذا المنامات قال فاختلط الملك الجوفران غيظا شديدا ما عليه من مزيد من خطابهم وما أبدوا الرهبان من جوابهم فبينما هو على ذلك الحال الذى قد حصل اليه واذا براهب من بعض الرهبان قد قام قائما على قدميه وتقدم الى عنده وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك الزمان ان أردت أن تعلم تأويل هذا المنام وما فيه من البرهان فأحضر الاسارى الذى عندك من هؤلاء العربان واستخبرهم فانهم عارفين بمثل هذا ويبدوا لك ما يكون من التأويل

وما كان (قال الراوى) فاستصوب الملك كلام ذلك الراهب من دون الرهبان ثم انه أمر باحضار الغضنفر وأصحابه اليه فمضى الحاجب وأحضر جميع الاسارى الى بين يديه (قال الراوى) وكان من القضاء والقدر ومن جملة الامر الذى فى علم الله مدبران الغضنفر أيضا رأى منام فى تلك الليلة وهو منه فى همه وقعد فى ذلك الوقت يفسره على شيخ العرب دريدبن الصمة وليس عنده فى ذلك الامر حيلة ويقول له يا أبا النظر لقد رأيت الليلة فى منامى أمر عجيب وأرجو من الرب القديم أن يكون عاقبته الى خير قريب فقال له دريد يا حامية عبس ما الذى رأيت ابديه ولا تخفيه لعل أن أعرفه وأبين لك معانيه فقال له اعلم انى رأيت كانى فى حفيرة على صفة القبر وهى خربة مدثورة وكان أقواما يهددونى بالقتل وقد ألقونى فى تلك الحفيرة ومضوا عنى وتركونى فيها فقمت وقفت على أقدامى أريد الخروج منها فرأيت فى تلك الحفيرة منطقة من ذهب أحمر مرصعة بأنواع الدر والجوهر فمددت يدى اليها وقد مسكتها ومن الارض على ساعدى رفعتها وتأملت فيها وتبينتها واذا بها قد صارت منطقتين فشديت وسطى بهما الاثنين ثم تميزتهم واذا بهم قد صاروا منطقة واحدة وهذا منامى فبينه لى عسى أن يكون فيه الفائدة يا أبا النظر لانه عبرة لمن يعتبر (قال الراوى) فقال له دريد وحق الاله السميع المجيب ان تفسير منامك هذا يدل على أن يظهر لك أخ عن قريب فقال الغضنفر يا أبو النظر ان هذا لا يصير ولا يتم ومن أين يتفق هذا وأبى قد عدم فقال له دريد على طريق الملاعبة والجنون أنا أخبرك عن هذا الامر بما يكون وما فى الامر الا ان امك الملكة مريم تتزوج ببعض وترزق منه ولد فيصير أخاك (قال الراوى) فقال له الغضنفر أى شئ هذا القول المنكر يا أبا النظر فقال لهم الخزروف وقد زاد به الغضب وامتلأ غيظا وقال وربما أن يكون هذا الملك المجوفران أخوك وقد حملت به بعض النساء من أبوك فعلل نفسك بهذه العلل لانه يشابهك فى الزى واللون والقد والهيكل (قال الراوى) فعند ذلك أجابهم دريد بكلام

مدعر وقال وحق البيت والحجر والركن اليماني المطهر ان هذا الملك
الجوفران أشبه الخلق بالملك الغضنفر وقد ضحك الحزروف من هذا
الكلام فقال لا زلتم تعللوا أنفسكم بالمحال والخلاص من القيود والاغلال
﴿قال الراوى﴾ فبينما هم فى المشاجر والكلام الذى هم عليه واذا
بحاجب الملك الجوفران قد دخلوا عليهم وامرهم بالحضور الى بين يدى
الملك فامتثلوا أمره وقاموا الى الملك الجوفران ودخلوا عليه وقبلوا الارض
بين يديه ووقفوا مع جملة الحجاب القيام فأمرهم بالجلوس ليقص عليهم ما رآه
فى المنام وسألهم عن تفسير تلك الاحلام وذكر لهم الرؤيا كما وصفناها
على جليتها ﴿قال الراوى﴾ فقال له دريد أيها الملك ان الذى قد ظهر لى
من تعبير أحلامك وتفسير ما رأيته ان يظهر لك أخ ويكون له جيش مثل
جيشك وأجناد مثل أجنادك أو يقلب عليك بعض الملوك ويأخذوا
منك بلادك ويقهروا جميع أجنادك فقال له الملك الجوفران ياشيخ ان أبى
قد مات وأمى ما بقيت تتزوج أبدا على مدى الاوقات وما هو الا كما ذكرت
أن يتقلب على بعض الملوك الذى هم لى من جملة الاعداء فقال له دريد هذا
ما عندى من شرح ذلك المنام ﴿قال الراوى﴾ وانه لما سمع من دريد ذلك
الكلام وسمع تفسير المنام فأخذه هما كثيرا ووسواس حتى ضاقت منه
الانفاس وقال فى نفسه ما فى الامر الا انى الذى أسرتهم أرمى رؤسهم
الى أصحابهم حتى تحل عزائمهم وأحل بعد ذلك على عشائرهم وأبيد
دساكرهم وأعود الى بلادى عن قريب قبل أن يظهر على عدو غريب
﴿قال الراوى﴾ ولما قويت همته على ذلك عول أن يضرب رقابهم
ويسقيهم كأس المهالك ثم انه فى عاجل الحال أدعى بسيافه وأمره أن
يضرب رقاب الاسارى ويسقى كل منهم كأس تلافه فقال له الحزروف
لاسترالله عليك وأحل بك الارتباك هذا يكون جزاءنا منك على تعبير
رؤياك ثم انه التفت الى دريد وقال له وحق البيت الحرام ما جلب لنا هذا
البلاء والانتقام الا أنت بتفسيرك له هذا المنام وقد خاف على بلاده لما سمع

تفسير مامه وحسب فى نفسه اذا نحن قتلنا انكسرت عشائرنا قدامه
فقالت لهم عنترة سلمنا أمرنا الى رب العباد ومنشئ السحاب الذى اذا دعى
أجاب هذا والملك الجوفران قد صرخ فى سياقه بصوت مريع وأمره بضرب
رقاب الاسارى الجميع فأقبل عليهم السياف وأول ماوقف على رأس
الفضنفر وأشهر فوق رأسه حسام أبتر وشال يده ليتزل بالضربة عليه واذا
بأم الملك الجوفران قد وصلت وفى عاجل الحال حصلت بين يديه لان الخبر
وصل اليها بما قد عول عليه ففى ساعة الوقت أتت والى نحوه سعت
وأسرعت فنهض قائما اليها وأجلسها الى جانبه وسألها عن سبب مجيئها
فقالت له أيها الملك على ماذا عولت فانى أراك فى همة فأخبرنى على
ماعزمت عليه من تلك الملمة فقال لها قد عولت على قتل هؤلاء الاسارى
الذى فى قبضتى وارمى برؤسهم الى أصحابهم وأشفى بذلك علتى حتى تحل
عزائمهم وأحمل عليهم وأفرق جمعهم وأطرحهم على الصعيد وأطحنهم طحن
الحصيد وأبلغ منهم ماأريد وأرجع الى بلادى عن قريب غير بعيد فقالت
له أمه ياولدى ماهذا صواب وربما ينفتح من هذا أبواب لانك تعلم ان وراء
هؤلاء من لا يغفل عنهم وان قبلت الرأى فلا تقتلهم الا اذا وصلت بهم الى
بلادك وحزائرك ومعك جيوشك واجنادك حتى يعلموا سائر الطوائف
الذى كانوا يترقبوا عارك انك قتلت الذى يعايروك بهم وانك قد اخذت
ثارك ﴿قال الراوى﴾ فما هو الا ان سمع الملك الجوفران من أمه ذلك
الكلام حتى قال لها وحق المسيح مابقيت أستطعم فى ليلتى هذه بطعام ولا
أذوق طعم منام حتى أبرى رؤسهم عن الاجسام فقالت له يابنى لاتفعل
فربما تندم ويحل بك الندم فغضب لما سمع منها ذلك الكلام الذى يوجب
الخلاف وغضب من ذلك ولج على السياف وأمره أن يضرب رقابهم ويحل
بهم التلاف والسياف يقدم فى ذلك ويؤخر ويرتقب كلامها لما رأها قد
أكثرت فى ذلك اهتمامها وان أمه لما رأته مصمما على قتلهم تقدمت اليه
وقد علمت انها ان توانت عليه قتلهم وفعل ما عزم عليه فعند ذلك تذكرت

جميل عنتر واحسانه اليهم وماصنع معهم من المكرمات وتفضلاته عليهم وكيف قتل عدوهم الملك صافات وكيف سلموا اليهم جزائر الواحات فعند ذلك أقبلت بلسان الاعرنج على الملك الجوفران ولطفت له فى الكلام حتى انه لان وقالت له ياولدى كيف تطيب نفسك وتقتل اخوتك وأولاد عمك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع ولدها كلامها صارت عيناه مثل لظاء الجمر وصار كأنه قد شرب كثيرا من الخمر وقال لها ومن هم أخوتى وأولاد عمى وماهذا الكلام وما أظنك الا فى أضغاث أحلام فقالت ياولدى وحق الانجيل المكرم والمسيح المعظم وحق السيدة أم النور مريم ان هؤلاء الاثنين اخوتك ونسبتهم لاحقة نسبتك وأبوهما عنتر أبوك وهذه عنيترة أختك وهذا الغضنفر أخوك ﴿قال الراوى﴾ فلما سمع الجوفران كلامها وما أبدته له من مرامها قامت عيناه فى أم رأسه وخافت من سطوته جميع حلاسه وقال لها من شدة ماضاقت أنفاسه ويلك يالعونة أليس أبى الملك كوبرت فقالت ياولدى اسمع مابه اليك أشرت فانى حدثتك عجيب وأمرى مع أبوك غريب لانه لو كتب بالذهب على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر ثم انها انعطفت عليه وتقربت بنفسها اليه وابتدت تحدثه بحديثها وكان الكلام بينهما بلسانهما وأحكت له من أول الامر الى آخره وأعرضت عليه باطنه وظاهره وماجرى لها من أول الزمان وماسبق حدثته فى هذا الديوان من أمر عنتر بن شداد وماجرى له مع الملك قيصر لما حضر عنده الى القسطنطونية وتلك البلاد وكيف أهداها الملك قيصر لابو الفوارس عنتر وكيف باتت عنده ليالى كثيرة وكيف كان قد لحقها من رؤيته الانهار والحيرة وكيف أراد شيبوب قتلها والامر الذى كان بين كوبرت وبينها وكانت قد علقت من عنتر لما أهداها له الملك قيصر وأيضا أخبرته بمسيرة أبوه عنتر مع هرقل بن الملك قيصر وقتله الملك اللمان وابنه مرجوان وزواج الملك هرقل بالملكة سريمان ابنة الملك اللمان وأيضا حدثته بحديث الارج والقصر وماجرى لها مع شيبوب وما كان

واظهرن له سرها وبان الكتمان وقالت له يا ولدى والآن قد صح الخبر وبان الامر واشتهر وانت بعد هذا ورأيك أخبر وقد أطلعتك على ما كان من الامور المخفية ولم أكتم عنك شيئ من هذه القضية (قال الراوى) ولما سمع الجوفران من أمه هذه الاخبار أخذته الحيرة والانبهار وقال لها يا أماه أما كان من هؤلاء القوم أحد معكم فى هذا الزمان حاضر حتى أسأله عن حديثكم أول وآخر ويكون التى قلتيه عندى له تأكيد وبيان وتقوم لك بذلك الحجة والبرهان فقالت له أمه يا ولدى وحق المسيح لقد قلت قولا صحيح اعلم يا ولدى ان من صحة الخبران أبوك الامير عنتر لما دخل الجزائر ما كان معه الا هرقل بن الملك قيصر وأخوه شيبوب وكذلك هذا ابنه الخزروف الا خر فقال لها ومن هو بين هؤلاء الجماعة الخزروف فأشارت اليه وقالت له هو هذا الهلال الذى هو بالصوصة والخداع موصوف وهو الذى أتى بتلك الحيلة ليخلص منك الرجال من الشد والاعتقال (قال الراوى) فعند ذلك أمر الجوفران باحضار الخزروف اليه فقدم فى ساعة الحال الى بين يديه وجميع جوارحه تخفق من الخوف اليه فقال له الجوفران أنت الخزروف فقال له نعم أنا ابن شيبوب الذى اخوه عنتر بن شداد معروف فقال له الجوفران ويلك يا خزروف أبوك شيبوب كان قد دخل الى جزيرة الكافور وحضر مع عمك عنتر فى فتح قلعة البلورفان كان كذلك فاشتهى منك ان تخبرنى كيف كانت هذه الامور (قال الراوى) فلما سمع الخزروف من الملك الجوفران هذا الخطاب خاف من عاقبة هذه الاسباب وقال فى نفسه ربما يكون عمى قد قتل للملك الجوفران من يقرب اليه فيريد يأخذ بثاره منه ويقضى عليه فبقى مرتبك فى أمره وقصته ولكن قد علم أن لا بد له من اجابته فقال له نعم يا مولاى كان ذلك من عمى عنتر قبل موته (قال الراوى) ثم ان الخزروف تذكر أيام أبوه شيبوب وعمه عنتر بحرت دموعه على خديه كأنها المطر وتنهد وتحسر وكذلك بكوا اولاد عمه عنترة والغضنفر (قال

الراوى)

الراوى ﴿ هذا والملك الجوفران قد أخذه عند بكائهم الدمع والرجفان وقال للخزروف هل تعرف أحدا اذا رأيته من أهل هذا المكان من الرجال أو من النسوان فقال له والله يا مولاى ما أعرف غير الملكة مريم والملك كوبرت وكان من نحو خمسة وعشرين سنة من عندهم سافرت فقال له الملك الجوفران فأنت اذا رأيت الملكة مريم فى غير جزيرة الكافور تعرفها فقال له الخزروف نعم يا مولاى وحلاتها وأوصافها فقال له الملك الجوفران فهل اجتمعت عليها فى جزيرة الكافور فقال له نعم يا مولاى وفى مدينة القسطنطورية ومضى لنا فيها أيام ذوات بهجة رضية ﴿(قال الراوى)﴾ ثم انه ابتدأ يحدثه بالقصة من أولها الى آخرها وشرح له جميع باطنها وظاهرها وما جرى لعنتر وللملك كوبرت وقال له هذه حكايتى فلما سمع كلامه وافق كلام أمه الملكة مريم وما أحكت له عليه فصح عند الملك الجوفران انه بن عنتر وانه من بنى عبس وعدنان لما بانت له تلك العلائم والبرهان فعند ذلك قال له يا خزروف والجارية مريم فى ذلك الزمان كانت قد حملت من عنتر قال أى وحق خالق البشر ولاجل هذا كان يريد قتلها عمى عنتر حتى لا يخلفه منها فى بلاد الافرنج ولد ﴿(قال الراوى)﴾ فعند ذلك أمر الملك الجوفران باحضار عشرة جوار وقال لامه اذهبى واخفى نفسك عن هؤلاء الرجال الحضار فاذا طلبتك آتى الى ويكون محبتك هؤلاء العشرة جوار ويكون ملبوسكم ملبوس واحد حتى يكون ذلك أقوى برهان وأعظم شاهد فأجابته بالسمع والطاعة وقامت من حضرته فى تلك الساعة ثم ان الملك الجوفران من وقته وساعته أمر باحضار الجوار الى حضرته وكانوا كما أمرهم لبس واحد وزى واحد وصفة واحدة فأتين اليه ووقفن صف واحد بين يديه وصاح عند ذلك على الخزروف وقال له يا هذا هدى روعك وارفع عنك الفزع والخوف وأخبرنى أيما هى الملكة مريم فى هؤلاء الجوار ﴿(قال الراوى)﴾ فرمقهم الخزروف وحققهم بالنظر وناداه يا مولاى وحق العزيز الغفار ان الملكة مريم ما هى

بين هؤلاء الجوار وحاشا تلك الملكة أن تمثل الا بنساء الملوك الكبار وهى ملكة وزوجة ملك صاحب قلاع وأمصار فتبسم من كلامه الملك الجوفران وطاب قلب الخزروف عند تبسمه وأيقن بالامان *(قال الراوى)* هذا كله يجرى والفضنفر وأخته عنيترة بنت عنتر ودريد بن الصمة وبقية الفرسان الاخر قد حاروا فى أمورهم وتقطعت من شدة الخوف من القتل ظهورهم بعدما كانوا قد صبروا أنفسهم على مرارة القتل والهوان هذا والسياف واقف على رؤسهم ينتظر أمر الملك الجوفران *(قال الراوى)* وانه أستدعى بأمه فى تلك الساعة فحضرت كما أمر فى جملة عشر جوار أخر وقد لبست الجميع حلل الافتخار ووقفوا بين يدى الملك الجوفران بذلك الزى والملبوس بعدما سلموا وخدموا فأمرهن بالجلوس ثم التفت الى الخزروف وقال له بعد ان قعدت الجوار من الوقوف أيهم الملكة مريم بين هؤلاء الجوار فقال له آمرهن أن يكشفن لى وجوههن لاتحقق الاخبار *(قال الراوى)* فأمرهن الملك بذلك فكشفن عن وجوه مثل الاقمار فأطال الخزروف فى وجوههن الانتظار الى أن أتى تسعة من الجوار وآخر ما كشفت وجوها الملكة مريم فكان وجهها شمس النهار (قال الراوى) فلما نظر اليها صرخ مل رأسه وقد زال عنه الخوف والفزع وكاد من شدة الفرح أن يغشى عليه ويقع وقال له يا ملك وحق البيت الحرام وبير زمزم والمقام هذه هى الملكة مريم زوجة عمى عنتر البطل الهمام *(قال الراوى)* فعند ذلك أمر الملك لبعض البطارقة الوقوف أن يتقدموا ويحلوا وثاق الخزروف فعند ذلك قام قائما على قدميه وتقدم الى قدام الملك الجوفران ووقف بين يديه فنظرت اليه الملكة مريم بعيون أحد من السيف فانكب على يديها وهو يقلب ملهوف وصار يقبلهم وقد استقر منه فؤاده المرجوف *(قال الراوى)* فعند ذلك دمعت عين الملك الجوفران وأخذته حنة الاخوة ولحقته الرعدة والرجفان وطار قلبه الى أخوته عنيترة والفضنفر فقام فى عاجل الحال بنفسه وهو مثل الاسد القسور وقد أخذ السيف من

يد السياف فعند ذلك أيقنوا الاسارى بالتلاف لانهم لم يعرفوا ما وقع بين الملك وبين والدته من الاختلاف والى ما ذكرناه من تلك الاوصاف ثم انه تقدم الى أخوه الغضنفر وحل كتافه من يديه وفك قيده من رجليه وكذلك فعل بعنيترة وأمرهما بالقيام فقاما على أقدامهما وهما كأنهما أفاما من مقبرة وقد قبض على يد الملك الغضنفر بيده اليمنى وقبض على يد عنيترة بيده اليسرى وأجلسهما معه على السرير وقد نال بذلك الفرح والاستبشار ثم انه قدم بقية الاسارى الى بين يديه وقد أزال من عليهم الوثاق والقيود وهم لا يعلمون الى ذلك سبب محدود وكل منهم قد أقرت بذلك عينيه ولا يعرف من اين الفرج أتى اليه ﴿قال الراوى﴾ ثم ان الملك الجوفران قال لامه يا أمى أشرحى حديثك لهؤلاء الفرسان كما حدثتنى فى الاول بهذا الشان فاخبرهم كما أخبرتنى ليزدادوا بذلك يقين وبرهان ﴿قال الراوى﴾ فعند ذلك شرعت الملكة مريم تحدث دريد والجماعة المأسورين بلسان العربى الفصيح وأخبرتهم بحديثها من اوله الى آخره وما كان من ذلك القول الصحيح والخزوف يصادقها على ذلك بالتصريح وفى آخر الحديث قالت ان هذه الاميرة عنيترة وأخوها الغضنفر اخوات ولدى هذا من أبوهم عنتر ﴿قال الراوى﴾ وأعجب ما فى هذا الديوان ان الخرزة الذى كنا ذكرناها فى كتابنا من قديم الزمان الذى كانت أعطتها مريم لعنتر عند دخوله القصر من أجل الطعام المسموم لما جرى بينه وبين الخزروف ما جرى من ذلك الكلام المعلوم وكانوا ثلاثة فأعطت لعنتر واحدة وللخزروف واحدة وادخرت الثالثة عندها الامور تكون عائدة وكان عنتر لما تزوج بالقناصة وجرى له ما جرى أعطاها تلك الخرزة وأوصاها بحفظها وأعلمها بما يكون من منافعها فلما وضعت بنتها عنيترة بنت عنتر وظهر منها ما ظهر خافت عليها من مكايدة العرب وعواقبها فوضعت تلك الخرزة فى عنقها وأوصتها عليها وأعلمتها بمنافعها ﴿قال الراوى﴾ وفى تلك الساعة نظرت الملكة مريم بعين المخبرة فرأت الخرزة

فى رقبت عنيترة فصاحت صيحة عالية وقالت قد بان لى فى هذا الوقت الامر
العصيم فقال لها وما هو هذا التلويح فقالت ان الخرزة الذى أعطيتك
اياها وأمرتك ان تجعلها فى عنقك لتقيك من كل أمر حذر كنت أعطيت
لأمك عنتر خرزة مثلها وها هى فى عنق أختك عنيترة وقد بان الحق وظهر
ثم انها قالت لعنيرة يا ابنتى أرينى هذه الخرزة التى فى عنقك لعل ان يكون
كما اظهار الحق ببركتك (قال الراوى) فمزعتها عنيترة وناولتها
للملكة مريم وسألت من الخزروف على الخرزة التى ذكرها تقدم وما صنع
بها من الامر المحكم فحدثها بحديث زواجه بابيه الضمريه وكيف أعطاها
لها ليلة دخوله عليها وما جرى لها من تلك الامور المقضيه وكيف كبست
حاتها وما حل بها من السبى وما أصابها من الرزيه (قال الراوى) وما
جرى من هذه الامور وفى تلك الساعة أيقن الجوفران وتحقق انه ابن عنتر
فقام قائما على قدميه وقبل وجوه اخوته عنيترة والغضنفر وبان الامر له
ولكل من فى ذلك المقام حضر ثم انه عانق دريد وبنى عمه وكذلك بنى عبس
السادات وفى دون ساعة دقت الكوسات ونفرت البوقات وزادت
الضجات وعظمت المسرات فسمعوا بنى عبس أصوات الزمور وحس
النقاريات وصهيل الخيول الصافنات فركبت الرجال والفرسان وركب
عمرو ذو الكلب واخته الهيفة وجميع الشجعان وركب زيد بن عروة
والدبال بن الغضبان وقالوا ما هذه الفرحة التى فى جيوش أهل ملة
الصلبان الا قد قتلوا أصحابنا وسقوهم كأس الهوان (قال الراوى)
ونظرت الافرنج الى خيل العرب وقد ركبت والرجال على القتال قد عولت
فأخبروا الملك الجوفران بما قد جرى فأمر بن عمه الخزروف أن يسير الى بنى
عبس ويعلمهم بما جرى وان الملك الجوفران قد طلع بن عنتر وهو وأخو
عنيترة والغضنفر فما كانت الا ساعة كلمح البصر حتى صار الخزروف
بين يدى عمرو ذو الكلب وهو كأنه النار ذات الشرر فوجده طائر العقل
وهو على غاية الخوف والحذر فناداه يا أمير نزول عنك ويطمئن قلبك

فاشكر

فاشكر الله السماء على ما أوصلك من الفضل والنعمة فقال له عمرو أكشف لنا صحت الخبر وازل عن قلبي هذا الفكر هل خلصنا من الاسر عنيترة والغضنفر فقال له نعم يا أمير الامراء وأبشرك بشارة أخرى تسرك وتزيل عن قلبك الضرر وتبقى في الكتب تؤرخ وتذكر وقد صح الخبر بأن الملك الجوفران قد ظهر بن عمي عنتر وهو أخو اعنيترة والغضنفر فلما سمع عمرو ذو الكلب هذا الخبر قد لحقه التعجب والفكر فقال أخبرني عاجلا وأوضح لي عن هذا القول المشتهر فقال له الخزروف هو صحيح ما قلت لك وحق البيت العتيق المطهر وحق زمزم والمقام والركن اليماني والحجر قد صح أن الملك الجوفران أخوا أولاد عمي عنيترة والغضنفر وقد بان هذا الامر واشتهر ﴿قال الراوي﴾ ثم ان الخزروف ابتدا وشرح لعمرو ذو الكلب القصة بما جرى وكان وأوضح له عن طريق الهدى والبرهان فزادت لسماع تلك القصه أفرحه وكثرت مسرته وزاد انشراحه واشتاق الى رؤية أم الزعازع عنيترة وأخوها الغضنفر والجوفران ومن معهم من الفرسان فركب مع الملك زهير وزيد بن عروة وسبيع اليمن والديال بن الغضبان وسادات بني عبس ومن معهم من بني قضاعة الشجعان وركبت الهيفة قناصة الرجال وقد اشتاق قلبها الى رؤية ابنتها أم الزعازع قتالة الابطال وساروا الى ملتقاء بعضهم بعض بالسرور والاقبال بعدما كانوا عازمين على الحرب والقتال ولم يزالوا سائرين والخزروف امامهم حتى وصلوا الى سرادق الملك الجوفران ورأى الغضنفر الى الملك زهير والى عمرو ذو الكلب وسادات بني عبس وعدنان وقد أقبلوا وجوههم متباشرة بالقبول والرضوان فقال للجوفران يا أخي هذا الملك زهير سيد بني عبس وغطفان وهذا الذي بجانبه الامير عمرو ذو الكلب سيد بني قضاعة الى حد بلاد السودان فعند ذلك قام لهم الملك الجوفران وتلقاهم بالفرح والهناء والاطمان وخدم الملك زهير وتلقاهم أحسن الملتقاء وقد زال عن الطائفتين تعب الحرب والبؤس والشقاء وكذلك عنيترة والغضنفر

التقوا بعمرو ذوالكلب ومن معه من الفرسان واخته قناصة الرحال وظهر الحق وبان الكتمان وزال الشك واتضح البرهان وجلس الملك زهير الى جانب الملك الجوفران بعد ما سلمت الفرسان على الفرسان ثم انهم اجتمعوا فى السرادق وحققت لهم الحقائق وبلغوا من بعضهم البعض المراد وزالت من قلوب الطائفتين الادغال والاحقاد ﴿قال الراوى﴾ هذا والملك عمرو بن الحارث الوهاب واخته حلية على أصوار دمشق وقد أخذهم الخوف وهم يظنوا ان بنى عبس قد اصطلحوا مع الافرنج على تخليص الاسارى وضاقت صدورهم وبقوا مرتبكين فى امورهم حيارى وما خفى حالهم على الغضنفر فأرسل اليهم من يبشرهم ويعلمهم بصحة الخبر ﴿قال الراوى﴾ فسار الخزروف أبو الافراح الى تحت الصور ونادى وأعلن بالفرح والسرور وصاح بأعلا صوته أنا الخزروف بن شيبوب وقد أتيتكم بما يسر القلوب ويزيل الكروب فعند ذلك فتحوا له الباب وفى عاجل الحال أحضروه الى بين يدى الملك عمرو بن الحارث الوهاب واخته حلية قد أخذها من ذلك الامر الذى حصل الخوف والارتياب وكذلك أخوها عمرو ومن له من الحجاب وقد أوقدت فى قلوبهم نار الالتهاب فقال لهم الخزروف يا ملوك نهنيكم الفرح والسرور وازالة المحذور ثم انه ابتدأ وحدثهم بجميع الامور فهنالك دقت الكوسات ونعرت البوقات وزادت الفرحات وعظمت المسرات وأمر الملك عمرو بفتح أبواب البلد وأظهروا الزينة والسلاح والعدد وفرقوا الصدقات على الايتام والارامل وإزال عنهم المخاف وفى عاجل الحال ركب الملك عمرو فى خواص قومه وحجابه وقرائبه وأصحابه وساروا الى خدمة الملك الجوفران وأخيه الغضنفر وأختهم أم الزعازع الاميرة عنيترة بنت عنتر وقد لبسوا ألوان المنسوجات من الثياب والتقوا الملوك فى أطراف الخيام والاطناب وسلموا على بعضهم البعض بعد ما حققت الحقائق واستقر بينهم الحال وانقطع القيل والقال ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى طلوع الجوفران وفى هذه الاحوال

وأصل هذا القتال سبب عجيب وأمر مطرب لانه هو واخوته أصل هذه السيرة وأخبارها وفروعها وفى سبب أبيهم كان توقيعها حتى تكمل لذة الكمال بوقائعها وبعد ذلك أن عنتر لما كان أتى الى عند الملك قيصر وفعل مافعل من ذلك الامر الذى تحرر وكيف أهدى له الجارية مريم وباث معها ليالى عديدة كما تقدم وكانت قد حملت من عنتر وما أراد أن يظهر له منها فى بلاد الروم ولد ذكر وكانت مشيئة الله وارادته أقوى وأقدر وأذن الله تعالى أن يظهر له ولد من ذكور ويكون لهما أمر مشهور ويحدث من بعد الامور أمور وأرسل شيبوب الى خلفها حتى انه يقتلها وكان الله تعالى قد أراد بسلامتها وضربها شيبوب بالخنجر ولم تعلم ضربته فيها بالخنجر وأخذها كوبرت ونزل بها فى المراكب وسافر بها الى جزيرة الكافور ونواحيها واتفق ان عنتر سافر هو وهرقل بن الملك قيصر الى جزيرة الكافور وقلعة البلور وقتل الملك الليلمان وكذلك ابنه سرجوان وملكوا ابنته الملكة مريمان وجرى له فى تلك الديار ما قد شرحناه من الكلام وأعطى لهذه الجارية مريم الزمام وسار بعد ذلك الى جزيرة الوحات وملكها بعد ما قتل الملك صافات وكانت غيبة عنتر عشر سنين معدودة وأشهر معلومة مفهومة فوضعت مريم هذا الولد بعد مضيه الى جزيرة الواحات وكان الملك كوبرت قد تخلف عن المسير معه ليستعد لهم العلوفات ويلحقهم بها الى مدائن الواحات فولدت مريم هذا الولد وهو أسمر زائد السمار وكان يضرب لونه الى حمار (قال الراوى) فلما نظر الملك كوبرت الى صورته نفر قلبه من رؤيته وقال لها يا مريم أنا أبيض أشقر وأنت كذلك وهذا الذى وأكثر فمن أين هذا الاسود وصل لك وحق المسيح ان لم تخبرينى والا قتلتك فقالت له يا ملك اعلم ان هذا الولد من عنتر بن شداد الذى أنعم على وعليك بهذه البلاد فقال لها كوبرت صدقتى فى قولك وأنا أعلم انهم عليه غضبوك ولكن هذا الولد ان خليناه عندنا نصير به معيرة بين الملوك فقالت له كيف يكون التدبير فقال لها نقتله ونستريح فلو بنا من معيرته عند الكبير والصغير فقالت له ان كان

ولا بد فأمهل على حتى أرضعه وبعد ذلك افعل ما تريد فان قلبي ليس راضي
أن يرميه ولا يضيعه فلعل قلبي بعد الرضاع أن يسلوه وعنه يرجع ﴿قال
الراوي﴾ هذا يجري وصاحب الامر يدبر الامر بحسن الارادة وهو الذي
يكفل الولد في بطن أمه الى حين الولادة فأخذت الطفل الى حجرها وألقمته
ثديها ورضع وفتح لها عينه فوقعت الحنة في قلبها عليه وكثر عليه تأسفها
وزاد لاجل قتله تلهفها وتنافرت دموعها على وجنتها وبكت بوجدها
وحرقتها نظر اليها الملك كوبرت وكان يحبها فتقدم اليها ولاعبها وزاد
في قربها وقال لها ما أبكاك يا ملكة وقاك الله تعالى كل بؤس وملكه فقالت له
اعلم ان بكائي على هذا الطفل الصغير وما عنده علم من التدبير وهو على كل
حال ولدي وقطعة من كبدي وانا يا ملك ما يهون علي قتله من أجل أمرين
أحدهما انه كما تعلم ولدي وقلبي قد تعلق به والثاني ان عنتر بن شداد أمير
بني عبس وقراد ان رجع من جزيرة الواحات وعبر علينا فما يخفى هذا الامر
عنه وربما أخبره بذلك بعض الجواري والخدام ليتخذ به عنده وجها وأنت
أعرف الناس به من دون العباد فان قتل ولدي فهو كان يخرب هذه البلاد
ويسبي النساء ويقتل الاولاد وان كان ولا بد من قتله فاقتلني أنا الاخرى
قبله ولا تورني قتله ﴿قال الراوي﴾ ثم انها بعد ذلك أكثرت من البكاء
والانين والاشتكاء وكان الملك كوبرت يحبها كما ذكرنا في الاول فرحمها
لما رأى دموعها تجري غزار وخاف من عنتر ومعرفته به انه بطل كرار فأبقى
على الطفل الآثار فأخذته مريم وسلمته الى الدادات وأقامت له السراري
والجواري المرضعات ولم يعلم بقصته أحد لا أبيض ولا أسود ولا يقولوا الا انه
ابن الملك كوبرت ولم يزال عندها حتى مضى عنتر الى ما كان فيه وقضى
الاشغال وعاد من الحرب والقتال وكانت غيبته ثلاث سنين كوامل
لانه كان قد مضى وتركها حامل ولم يعلم بشيء من تلك الامور ولم يدري بما
في الكتاب مسطور ولما رجع من سفرته كان الولد عندها وفي حباها
مدخور ﴿قال الراوي﴾ ولم يزل هذا الولد يكبر وينشى ويد القدرة تكنفه

كل قام ومشى وهو يربى حتى ركب الخيل والجنائب وبقى حوله المماليك والبطارقة والحبائب وكل من يخدمه ويتقرب له ويسير فى خدمته له راغب ولم يزل على ذلك الحال حتى مات الملك كوبرت وشرب كأس الوبال وشاعت أخبار موته فى تلك الديار والجزائر العربيات فعصت عليهم أهل جزائر الواحات وتجهز ملكها فى عالم عظيم وسار يطلب جزيرة الكافور وقلعة البلور وما حواليها من الاقاليم ووصلت الاخبار الى الملكة مريم فخافت من الحصار فأحضرت من أصحاب الملك كوبرت المقدمين الكبار واعلمتهم بما كان من أهل جزيرة الواحات وما بلغها من القتال ثم انها أخذت رأيهم فى أمر القتال فرأتهم كما تحب وترضى وهم لها طائعين ولقولها سامعين فأمرتهم ان يأخذاهبتهم الى السفر وخرجت فى جيشها ودساكرها وهى على غاية من الحذر وأخرجت الاموال وأنفقت على الرجال واستخدمت الابطال وكان ولدها الجوفران معها صغير ولكن همته كانت عظيمة ونفسه نفس ملك كبير ﴿قال الراوى﴾ ولم تزل الجيوش سائرة وهى مع بعضها بعض متبادرة وهى طالبة فسيح الارض وهى سائرة طولا وعرضا الى أن وقعت العين على العين وهمت بالحملة على بعضها بعض الطائفتين وأرادوا أن يلتقوا الجيشين فمنعتهم من ذلك الرهبان والقسس ودخلوا بينهم بالصلح وطيبوا منهم النفوس وأستقر الامر بينهما بأن الملكة مريم تحمل الاموال فى كل عام وأن يبطلوا الحرب والصدام ويكون حمل المال الى الملك شمروط ابن دامات الذى هو فى ذلك الزمان صاحب جزيرة الواحات فلما تحرر الامر واستقر عاد الملك شمروط طالب بلاده وقد كثرت عشائره وأجناده وقد ضيق على الملكة مريم البلاد وقد دانت له العباد ﴿قال الراوى﴾ وقد نشأ الجوفران نشاء الفرسان وتفرس على ظهور الصافنات فى الميدان وعلم على الشجعان وجندل الاقران وارتفع ذكره فى بلاد الافرنج الخاص منهم والعام والدان وخافت منه جميع عبدة الصلبان وأهدوا الملوك السادات وحملوا اليه العقارات حتى لم يبق عليه الا جزيرة الواحات ﴿قال الراوى﴾

وان الملك الجوفران كان جالس فى بعض الاوقات واذا قد جرى بين يديه ذكر مدينة الملك صافات وانه كان يحكم على مدينة الواحات ولما قتل دومات تولاها من بعده أبوه الملك كوبرت وقعدت تحت حكمه سنين معدات ولما مات تقلب عليهم الملك شمروط بن دامان وملكها منهم غصبا بعدما كان فيها نائبا فأخذها بغير استحقاق فلما سمع الملك الجوفران هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وأمر فى الحال بتجهيز العشائر واخراج الدساكر وسار يفرق عليهم الاموال وفرق عليهم آلة الحرب والقتال بعدما جمع الفرسان والابطال وسار طالب جزيرت الواحات ومن حوله الحجاب والسادات وهو فى عزمة قوية وهمة زائدة فوصلت أخباره الى الملك شمروط بان الملك الجوفران واصل اليه وقادم عليه فلم يعتنى به ولا عنه سأل وأمر الآخر فى عاجل الحال بتبريز العشائر واخراج الدساكر وكان ذلك فى أقل من سبعة أيام وذلك من كثرة ما عنده من الخيرات والانعام وسار وابين يديه الابطال والاقران ليلتقى بهم الملك الجوفران (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى التقت العشائر بالعشائر والدساكر بالدساكر وقد ملؤا الارض طولا وعرضا وأوسعوا فى تلك الارض فعند ذلك قد قاتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد وتقابلت الشجعان وأوسعوا فى الميدان وسالت دماء الاقران وسارت الارض وردة كالدهان مما سال عليها من أدمية الفرسان وتقتلوا حتى جرى الدم وسال وساح وتكسرت العدد واسلاح وتطاعنوا بالقنطاريات وتضاربوا بالصفاح وامتدت الجثث فى البطاح وسمحت الفرسان بالارواح بعدما كانوا بها شحاح وعدموا أيام السماح وتقدم الشجاع وطاح وجال الفارس الجحجاح وتأخر الجبان وطلب الهرب والراح وتمنى أن يكون له جناح ولم يزالوا فى حرب أكيد وطعن شديد يفر منه البطل الصنديد الى ان أفرق بينهم الليل ورجعت الرجال والخيل وانفصلت الطائفتين وتحارسوا الفريقين الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك ركبوا الجرد القداح وعولوا على الحرب

والكفاح وقد جردوا البيض الصفاح هذا والملك الجوفران قد سطى على أعداه وبلغ منهم مناه والتقى بالملك شمروط فى وسط المعمعة وهو ينكس الابطال ويطعن فى صدور الرجال طعنا يقصر الاعمار الطوال فحمل عليه حملة بطل قد لاقى الابطال وقاسى الاهوال ولاصقه وضايقه وسد عليه طرائقه وضيق عليه الرباوالبطاح وصاح فى وجهه أعظم صياح وضربه بسيفه واذا برأسه عن جسده قد طاح وجرى دمه على الارض وساح وحمل بعد ذلك على صاحب العلم الاخضر والصليب الجوهر وضربه بالسيف على صدره خرج يلمع من خرزة ظهره فوقع الى الارض وقد مال العلم فأخذه الجوفران قبل أن يقع على الصحصحان وبعد ذلك سار يطعن به فى صدور الفرسان ويرمى رؤسهم من على الابدان وحملت من خلفه بطارقته والشجعان وعاونوه على الحرب والطعان وكان لهم ساعة تقشعر منها الابدان وتعد من ساعات الزمان مما قد سال فيها من أدمية الفرسان هذا والعشائر لما نظرت الى قتلة ملكهم شمروط وقد صار مرمى فى الميدان علموا ان ليس لهم بالجوفران ولا بجيشه طاقة ولا بحربهم استطاقة فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ومنهم من ترجل الى الملك الجوفران وطلب منه الامان فأمر برفع السيف عنهم ولم يقتل أحدا منهم وقد ملكوا أموال الملك شمروط وانقاله ودخلت تحت طاعته جميع رجاله فعند ذلك فرق الملك الجوفران الخلع على الابطال وقسم عليهم تلك الاموال وأوهبهم النوق والجمال وألف قلوب الرجال ورحل طالب جزيرة الواحات وقد رفعت على رأسه الاعلام والرايات ودقت بين يديه النواقيس باصوات مرتفعات ولم يزل كذلك حتى وصل الى جزيرة الواحات ودخلها فى يوم مشهور وقد زاد به الفرح والسرور بما ناله من تلك الامور وترجلت بين يديه عشائره وأرباب دولته ودخل القصر وجلس على كرسى مملكته وقد زادت فرحته وقعد بعد ذلك مذور فى تلك الاماكن والقصور واخذه الفرح والسرور وطابت له تلك البلاد ودانت له العباد فعند ذلك أرسل خلف والدته الملكة مريم

فلما وصلت الى بين يديه فرحت له بما وصل اليه من تلك النعم وكان الملك الجوفران يتفرج فى تلك الايام فى قصر الملك الاسكندر وهو يدور فى جوانبه وينظر ما فى المكان من عجائبه ومعه وجوه قومه وأصحابه وأمرائه وحجابه ونوابه وكان الجوفران اتخذله من جزيرة الواحات وزيرا عاقل وكان رئيسا فاضل فانتهى الملك الجوفران وذلك الوزير معه وهو يتفرج ويتأمل فى حيطانه ونواحيه وأركانه ولا يمر بمكان ولا بباب ولا بجدران الا ويسئل الوزير عنه وهو يخبره بامره وما كان منه ومازالوا يتنقلون حتى وصلوا الى قبة الاقفال الذى قدمنا ذكرها فيما سبق لما حضر ابيه عنتر الى ذلك المكان ولم يقدر على فتحها من دون الجماعة الاعنتر كما اتفق لما وجد الفرس الذى هو ملك الجن وفكه مما كان فيه من القيود والاغلال واعانه على أخذ ثاره ولده الغضبان لما وقع له ما وقع مع الجن من الحرب والقتال كما تقدم ﴿قال الراوى﴾ فلما وصل الجوفران الى هذا المكان فأمر بفتحه فى عاجل الحال فازالوا ما عليه من الاقفال وفتحوه ودخل الملك الجوفران لينظر من بعد فتحه ما قد تجدد فنظر الى صورة راكبة على ظهر فرس أسود خارا الجوفران من أمرهما وسأل الوزير عن تلك الصورة وسبب وضعها فأخبره الوزير بخبرها ثم انه دخل مخدع من جملة المخادع فوجد فيه صندوق كبير ففتحه فوجد فيه ثوب حرير وفى وسط ذلك الثوب لوح ذهب وعليه نقوش وكتابة يكاد نورها يلهب فقرأها الوزير فرأى فيه لمن هذه المدينة وانها تفتح على يد فارس أشبه الخلق بهذه الصورة وهذا أحاديث عن الاقدمين منقولة ومخبورة (قال الراوى) ثم ان الوزير جعل يشرح للملك الجوفران ما كان من قديم الزمان وما جرى فى هذا المكان لعنتر وحديث هرقل بن الملك قيصر وأخبره عن أصل مسيره الى تلك الجزائر وكيف كان حديث كوبرت وقتل عنتر لعمه الخلجان وأيضا اعمامه سوبرت ونوبرت والملك الليمان وكيف قتل بعده ابنه سرجوان وكيف تزوج هرقل بعد ذلك فى ابنته الملكة مريمان لما دخل الى هذا المكان وكيف شد مع الملك قيصر

وفعل تلك الفعلات وقتل الملك صافات وملك جزيرة الواحات وكيف سار بعد ذلك الى الجزائر الاندلس وحدثه بكل ماجرى من تلك الحكايات الماضيات قال فلما سمع الجوفران ذلك القول من الوزير قال له أيها الاب الكبير وهذا عنتر بن شداد أين يكون من البلاد حتى انني أسير اليه وأقتله وأخذ منه بالثار وأكشف بقتله عن ملة النصرانية العار فقال الوزير أيها الملك هذا في برأغبر ومسالك وعر أقفر يقال له برالحجاز وهو كثير الخطر صعب المفاز فقال له الجوفران والطريق من أين الى تلك البلدان فقال له الوزير من بلد يقال لها دمشق الشام فقال الجوفران دمشق لمن تكون من الاحكام فقال له الوزير هي من تحت حكم قيصر ملك الروم ﴿قال الراوي﴾ فعند ذلك حلف الجوفران وشدد في الاقسام وقال وحق الانجيل والصلبان وماري حنا المعمدان لاعدت أشرب مدام ولا أتلذذ بمنام حتى اني أخرب القسطنطونية وأقتل الملك قيصر وأملك الشام وأرحل بجيوشي بعدها الى الحجاز وأقطع أهله بحد الحسام الصمصام وأقتل هذا الذي ذكر تولى اسمه عنتر بن شداد وأأخذ بثار عمي ومن قتل له من الاولاد وأهلك من لنا من الاعداء والحساد ﴿قال الراوي﴾ ثم الملك الجوفران لما فرغ هو والوزير من ذلك المقال أمر جيشه بالرحيل ودق كوس التحويل وأخذوا أهبتهم وامتثلوا مقاله وما مضى على ذلك الامر الا مقدار عشرين يوم حتى فرغ من جميع أشغاله وسار في دساكره وأبطاله وسافرت والدته الملكة مريم في صحبته وذلك خوفا عليه وشفقة منها له ولكن لم تعلمه بشيء من قصته حتى تعرف آخر فعلته قال ولم يزال الجوفران سائرا الى أن وصل الى شاطئ البحر وأطراف الجزائر ونزل في المراكب بجميع ماحازه من تلك الدساكر وقد طاب لهم الريح باذن العزيز القادر حتى وصلوا الى ساحل طرابلس وطلعوا الى تلك البراري كما قدمنا ووصلوا الى مدينة الشام كما ذكرنا وملكوا البلاد على حسب ماشرحنا وسارت الملكة حليمة الى بني عبس واستجارت بهم فأجاروها كما وصفنا وساروا في صحبتها وجرى

منه الامر والقصة ما قد قدمنا وعرف الجوفران أخته عنيترة والغضنفر
وانهم الثلاثة أولاد عنتر وعدنا الى سياقة الحديث والخبر (قال الراوى)
ولما اجتمعوا الملوك فى السرادق عند الملك الجوفران وخلع عليهم الخلع
الغالية الاثمان وأركبهم الخيل العربية التى لم يوجد مثلها عند الملك كسرى
أنوشروان وعرفه أخيه الغضنفر بموتة أبيهم عنتر ثم انه شرح له ما كانوا
عليه عازمين وعلى أخذ ثاره قادمين فاتت اليهم حلمة واستجارت بهم
فاجاروها وأحكمت الى الملك الجوفران كيف أتوا معها وفى صحبتها بنى عبس
لاجل ينصروها وأخبرته بالقصة التى جرت وأيضا سأل المقدمين عن أبيه
عنتر فأحكموا له ما وقع به من الامر المنكر فعند ذلك حلف الجوفران وشدد
بالاقسام وقال لا آخذ عظام أبى وأتركها فى نطع قديم وخيط عليها وحلف
انه ما يدفنه دون ما يأخذ ثاره من سائر العرب الذى قتلوه ويأخذ بثار
بنى عبس من القبائل الذى أجتمعت عليهم لما فقدوه قال فلما سمع الملك
الغضنفر كلام الجوفران أخيه أمر باحضار الثوب الذى عليه دماء عنتر أبيه
وكان دماء عنتر من يوم ان قتل لا يفارقهم لا فى السفر ولا فى حضر فعند ذلك
أحضروه فى الحال بين يديه وهو فى ثوب أديم مخيط عليه فبكى الجوفران
وتباكت الرجال من حواليه وتصارخت الرجال تقربا اليه هذا وشيخ
العرب دريدة ناله أعظم منال وكذلك عمرو ذو الكلاب فعل مثل ذلك
الفعال فعند ذلك نهض الجوفران قائما على رؤس الملوك والفرسان ونادى
يا ملوك الزمان أشهدوا على انى وحق مكون الاكوان وخالق الانس
والجان لا بقيت أذوق شراب ولا ألبس من الحرير أثواب حتى أخذ بثار أبى
من جميع العربان وأول ما أبدأ وابهؤلاء الذي يقالوا بنى نبهان ثم انه أشار
الى شيخ العرب دريد بن الصمة دون من كان حاضر فى ذلك المكان لما ظهر
عليه من الكبر وعلو الشأن وقال له يا شيخ أكتب لى أسماء القبائل الذي
أجتمعت بعد قتل أبى على هلاك بنى عبس حتى أسير اليها وآخذ منها
بالثار ولو وصلت الى مطلع الشمس قال فعند ذلك ابتدا الامير دريد وجعل

يذكر له قبيلة بعد قبيلة ويخبره عنهم الفارس والراجل وأول ما كتب
بني جشم وهوازن ولم يكن في ذلك الامر متهاونا لانهما كانت شاركت
العرب فيما فعلت وكان دريد نهاها عن ذلك فانتهت قال ولما فرغ الجوفران
ودريد من كتابة القبائل ولم يفوته منهم لا فارس ولا راجل فعند ذلك
استدعى الجوفران بخازن السلاح فحضر الى بين يديه فامره ان يعرض خزائن
السلاح عليه وقال له آتيني بالدروع الخاص الذي هي برسمي فاحضرت اليه
وكانت مغموسة بالذهب الاحمر وقال لهم آتوني بالدروعه التي بخزانتي ففي
عاجل الحال أحضرت فصار يأخذ منها درعا بعد درع ووجهه لذلك الفعل
عابس وصار يتركها في الخل فتصير سودا مثل الليل الدامس وكذلك فعل
بالخود وسائر الملبوس ولم يزد هذا كله يفعله والملوك شاخصة بأبصارها اليه
ولم يقدر أحد ممن ينظر هذا الفعال ان يسأله عليه ثم انه بعد ذلك أدمى
بالثياب الكتان المصبوغة أسود وفصل منها أثواب وعمائم تكفي عرب
البر والفدافد ثم انه بدئ بنفسه وخلع ما كان عليه من الملبوس النفيس
ولبس عوضا عنه ثوب خام أسود وعمامة سوداء وغير حالته حتى بقي في حال
مهول وحلف برب مكة والحجر الاسود انه ما بقي يخلع لباس السواد حتى
يأخذ بثار أبيه عنتر بن شداد قال فأول من وافقه على ذلك الغضنفر وأخته
أم الزعازع عنيترة بنت عنتر ولبسا كما لبس من السواد وتظاهروا كلهم
بلبس الزرد ومن فوقه أثواب السواد وكذلك فعل ياسر بن ميسر وبن مازن
ليث الميدان وزيد بن عروة والديال بن الغضبان وكذلك فعل مثلهم عمرو
ذو الكلب ابن مقري الوحش سبيع اليمن وكذلك وافقهم الملك زهير
معه من بني عبس الشجعان وتقدم دريد بن الصمة ليوافقوا
فيه من تلك العلة فأقسم عليه الجوفران انه لا يفعل لا هو
تلك الملة وقال يا أبا النظر أهل الميت أولا بالبكاء ولا
جزاء ثم ان سائر الملوك لبست وسائر الله
وقد تظاهر ثم ان الملك الجوفران نصب

عبس وبنى قضاعة جعلوا مضاربهم كذلك وفعلت الافرنج جيوش الملك الجوفران مثل ذلك وبعدها أقاموا على دمشق عشرة أيام وبعد ذلك عزموا على الارتحال فبينما هم على ذلك الحال واذا بغبائر رومية قد طلعت واعلام قيصرية قد بدرت وكانت هذه الغبائر غبائر الملك هرقل بن الملك قيصر وكان السبب فى مجيئه الى هذا المكان عمرو بن الحارث سيد بنى غسان وذلك انه لما صح عنده ان الملك الجوفران بن عنتر فارس بنى عبس وعدنان وقد اصطلحوا وطابت قلوبهم بذلك الشان فانفذ على أجنحة الطير واعلم الملك قيصر فخار قيصر هو وأولاده من ذلك الخبر وأخذه الوسواس والفكر لانه كان حمل على قلبه هما عظيما بسبب الجوفران وظهوره من تلك الاقاليم فأنفذ ولده هرقل بهدية حسنة للجوفران وأخيه الغضنفر لما سمع انهما أولاد الامير عنتر وأنفذ اليهما يأمرهما بالمسير الى القسطنطونية ليكمل عهدا بهما ويزيدهما من العطية قال فعند ذلك ركبت الملوك والامراء والفرسان الى ملتقى الملك هرقل من أبعد مكان وترجلوا له وعظموه ومشت بنى عبس وبنى قضاعة بين يديه واحترموه وهم كأنهم الغربان السود فسألهم الملك هرقل عن حالهم وما هم فيه من ذلك الحال فعند ذلك أخبره الملك عمرو ابن الحارث بحالهم والايمان الذى حلفها الجوفران فتعجب من فعالهم وبعد ذلك نصب لهم الملك عمرو سرادق عظيم من الحرير المختلف الالوان وأنزلهم بعد ذلك فى الميدان الى الصباح ولما كان من الغد استأذن الملك هرقل فى الدخول الى البلد وكذلك الجوفران وأخيه الغضنفر فأجابوه الى ذلك ودخلوا دمشق وادخلهم الى القصر وهو لم تسعه الدنيا مما حصل له من السرور وبقى معهم الملك هرقل عشرة أيام وهم يرتعون فى حلل الانعام وبعد ذلك أمرهم الملك هرقل بالمسير معه الى مدينة [illegible] أجابوه بالموافقة الى تلك النية ورحلوا معه من الشام أولاد [illegible] الجوفران وعنيترة والغضنفر قال هذا والملك [illegible] بعلم أبيه الملك قيصر فلما بلغ قيصر ذلك الخبر فرح

واستبشروا وأمر بتزيين البلد وقد نادى المنادى فى المدينة أنه لا يبقى أحد من النساء ولا من الرجال الا ويطلع الى لقاء الملك هرقل وفرسان الحجاز وركب أيضا الملك قيصر فى عشائره وحجابه وسائر خواصه ونوابه وسار من البلد مسافة يوم كامل وهو بتلك العشائر والجحافل حتى لاح لهم غبار الملك هرقل ومن معه من الفرسان وانكشف عنهم الغبار وبانوا للعيان ونظروا بنى عبس الى رايات الملك قيصر والصلبان فأسرعوا الى أن تقربوا من الملك ودنوا من بعضهم بعضا الطائفتان فعند ذلك ترجل الملك قيصر وكذلك فعلت فرسان بنى عبس مثل ما فعل وترجلت أمراء الفرسان والعربان وترجل الغضنفر وأخيه الجوفران وكذلك أم الزعازع وليث الميدان وياسر ابن ميسرة والديال بن الغضبان وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة وخفاف بن ندبة ودثار بن روق ومن معهم من الشجعان وأقبلوا أكابر الجميع الى بين أيادى الملك قيصر ملك عبدة الصلبان وقبلوا رجله فى الركاب وأبدوه بالسلام والخطاب الا الملك الجوفران وأخيه الغضنفر فانهم لم يفعلوا ذلك الحال لان أنفسهم أنفس الجبابرة من الملوك العوال غير انهما أبداه فى أيديهما بالسلام فعند ذلك التقاهم أحسن ملتقى وتبسم فى وجوههم وقد أخذه العجب من زيهم وملبوسهم وسأل ولده هرقل عن ماهم فيه من ذلك السبب فأعلمه بما جرى منهم وما اتفقوا عليه فتعجب غاية العجب قال ولما فرغوا من السلام على بعضهم عادوا راجعين الى القسطنطونية وقد انتشروا فى فسيح تلك الارض حتى أشرفوا على المدينة وأمرهم الملك بالدخول الى البلد ليشرفوها وهم بتلك التجمل وتلك الزينة فابوا عن ذلك الشان وقالوا له يا ملك الزمان نحن علينا عهود وأيمان اننا لا نأوى الى الجدران ولا نستظل بسقف ولا حيطان ولا نحضر شرب مدام ولا نفارق لبس الخيام ولا نلتذ بمنام حتى اننا نأخذ من جميع العدا ثارنا بحد الحسام ونفنى جميع أعدائنا اللئام فقبل الملك قيصر عذرهم بذلك الشان وانزلهم فى مرج على باب القسطنطونية وأخرج لهم الزاد والعلوفات

وأقاموا هذا والملك كل يوم بنفسه يخرج ويزورهم وينزل عندهم فى ذلك المرج ويسألهم عن أمورهم ويذكرلهم الامور التى تشرح بها الصدور الى أن كان آخر يوم حضر الملك قيصر وباسطهم بالحديث وقد زاد لهم فى علو الشان فعند ذلك نهض الملك الجوفران قائما على قدميه دون كل الناس وقال للملك قيصر يا ملك الزمان ان أردت أنك تنفذ من نوابك من تختاره الى جزيرة الكافور وقلعة البلور وجزائر الواحات وأعمالها من تلك المقامات فأنا ما بقى لى حاجة بتلك البلاد ولا بقى لى رغبة فى سلطنة ولا حكم على أحد من العباد ولا بقيت أقدر على فراق أخوتى وبنى عمى الذى ينفرج بهم غمى وهمى قال ففرح الملك قيصر بذلك الكلام وأجابه الى ذلك المرام وفى عاجل الحال أحضر لهم الاموال العظام والثياب الفاخرة الذى يلبسوها حين يفرغون من ذلك الاهتمام والخيول المسومة والرايات والاعلام وقد أنعم عليهم غاية الانعام ثم ان الملك قيصر قال للملك الجوفران اعلم ان جميع خزائنك وأموالك التى فى البلاد فهى لك واذا طلبتها أرسلها اليك وأنا وأولادى وسائر بلادى بين يديك ولا ننفل بشئ منها عليك قال فشكره على ذلك الجوفران وعنيترة والغضنفر وسائر العربان ثم انهم طلبوا الاذن فى الرحيل فعند ذلك قال له الملك قيصر اعلم يا فارس الزمان دع كل شئ على حاله الى أن تأخذ ثار أباك وتوارية الى ترابه وارجع الى أهلك وبلادك لانك ملكتها بعد أبيك بقائم حسامك وما لنا الا رضاك رحم الله أباك * (قال الراوى) * فشكره على ذلك الجوفران وقبل يده وأثنى عليه ثم انهم طلبوا الاذن فى الرحيل فأذن لهم وأمرهم بسرعة التحويل فباتوا تلك الليلة الى الصباح فاهتموا وعزموا على الرواح وساروا طالبين بلاد الشام وقد سار معهم هرقل من الملك قيصر لاجل وداعهم ثلاثة أيام وبعد ذلك حلفوا عليه وردوه بالعنف والارغام ولم يزالوا سائرين ليلا ونهارا يقطعون تلك البرارى والقفار الى أن وصلوا الى دمشق الشام ونزلوا فى تلك المروج الفياحة واستقر بهم المقام وأخرجت لهم الملكة حلية الاقامات

والعلوفات وأنواع الطعام وقد أكرمتهم هى وأخيها غاية الاكرام وبعد ذلك أحضر الملك الجوفران ما تحت يده من العشائر وجهز أحوالهم وأمرهم بالسفر الى ناحية بلادهم وأماكنهم وذلك المستقر ثم ان الملك الجوفران قال لوالدته الملكة مريم يا أماه هل تختارى معى السفر مع أختى عنيترة والغضنفر وان لم ترجعى الى جزيرة الكافور وتستقيمى على ملكك وما تحت يدك من الجيش حتى آخذ ثار والدى من العدار أقر بعد ذلك أهدئ فقالت ياولدى وحق المسيح ليس لى على فراقك مصطبر لانك أنت والسمع والامر ثم انهما بعد ذلك عزما على المسير وسرعة التشمير الى ناحية بلاد الحجاز لينجزوا ما هما عازمين من أخذ الثار غاية الانجاز فعند ذلك تقدم الغضنفر بين يدى أخيه الجوفران قبل أن يركب وقدم له مركوب أبيه كوكب والمهر غيهب وقدم له الدرع الداودى والدرع المذهب وقال له يا أخى هذا مركوب أبيك وهذا سيفه الصامى وسلاحه وأنت أحق به منى لانك أنت ولده الكبير وأنا الاصغر لان أختى عنيترة كانت قدمت لى ذلك وأنت أحق به منى فقال له الجوفران وحق من خلق الشمس والقمر وأنبع الماء من الحجر انى ما أركب جوادا أنت علوته ولا ألبس ثيابا أنت لبستها ولا سلاحا قد تقلدت بها فهما أنت والله أخى بن الامير عنتر أبى ومشاركى فى حسبى ونسبى ثم ان الجوفران تقدم ومسك ركاب أخيه الغضنفر وأقسم عليه برب الركن والحجر انه يركب ما أمر وبعد ذلك ركب الجوفران الآخر وركبت سائر العربان وبقيت العشائر وساروا طالبين البر الاقفر وقد نشرت الراية العقاب على رأس الملك زهير وقد حفت به السعادة والخير وقد عاد عز ملك بنى عبس كما كان وأقوم وأعظم صولة وأثبت وأعلى شان وساروا طالبين أرض الحجاز وذلك البر والمفاز لاجل أخذ الثار وكشف العار وعنيترة والغضنفر أفرح الخلق بأخيهم الجوفران الذى ظهر انه بن ابيهم عنتر وساروا الثلاثة كل واحد منهم مقدم جيشه * (قال الراوى) * ولما تمادى بهم المسير افتكر عمرو ذو الكلب فى تقلبات الزمان وما يفعل

بالانسان وقد ذكر أيضا مصاحبته لعنتر وما كان فيه من ذلك الشان
وكذلك شيخ العرب دريد بن الصمة تذكر ما كان لعنتر عليه من الايادى
والاحسان فتجددت عليهم الاحزان ولكن زادت أفراحهم بأولاد عنتر
هؤلاء الثلاثة قد سلاهم على ما هم فيه من الاضعان فعند ذلك حلف الملك
الجوفران على شيخ العرب دريد بن الصمة انه لا يتعب نفسه معهم لاخذ
الثار بل يسير من هنا الى دياره والاوطان فعند ذلك أجابه دريد الى ما أمر
وترك عنده خفاف بن ندبة وذئار بن روق والعباس بن مرداس ومن معهم
من الناس وسار الى دياره الا ان أولاد عنتر جدوا المسير ليلا ونهارا يقطعون
البرارى والقفار والسهول والاوعار وقد اتفق بينهم الحال اذا عزموا على
الحرب والقتال يجعلوا غزوهم الى ديار بنى نبهان حتى يأخذوا منهم بثارهم
ويقلعوهم غاية القلعان * (قال الراوى) * فبينما هم سائرين
وفى سيرهم مجدين واذ قد ظهر من بين أيديهم غبار حتى أسود منه الاقطار
وتكدرت ذلك البرارى والقفار من عظم ذلك الغبار الذى أذهل النظار
وحير الافكار وأشغل الاسرار قال فتوقفت بنى عبس عن المسير
فى ذلك البر والفدافد وقد اشتغلوا بذلك الغبار الذى نحوهم وبعد ساعة
انكشف تلك الغبائر وتمزقت والى السماء تعلقت وبان من تحتها أسنة
رماح تلمع وبيض تتشعشع وصهيل خيولهم قد ارتفع فعند ذلك أشار الملك
الغضنفر الى عمه جرير وبن عمه الخزروف قال لهما اكشفا عن خبر هذا
الغبار الطائر وذلك الجيش العابر وانظرا الى أين هم قاصدين فى هذا القفار
وهم واردين من أى ديار وعودا الينا بيقين الاخبار قال فلم تكن الا ساعة
من النهار حتى وصل اليهما الخزروف وعمه جرير وقد تحققا ذلك الجيش
الكثير فوجدوهم كلهم سودان وكلهم من أولاد حام وهم دهم الالوان كانهم
الغربان فعند ذلك تبادروا منهم جماعة كأنهم العقبان وأحاطوا بجرير
والخزروف وأحضروهما بين يدين مقدم السودان والزنج والحبشان
فناداهم حاجب الملك من تحت الرايات والاعلام وقال لهم ان الملك يقول

لكم لا تخافوا ولكما الامان والزمام ان أصدقتما فى الكلام يا أولاد الاعمام
وأخبرتموه عن هذا الجيش القادم من أرض الشام وهم الى أين قصدهم
والمرام ومن يكن الحاكم عليهم فى النقض والابرام فعند ذلك قال لهم جرير
يا أولاد الخالة الكرام والله أننى أخبركم بالصدق فى الكلام وأعلمكم
بأن هذا الجيش السائر من أكرم القبائل والعشائر وهم بنى عبس أصحاب
العز والثنا والمفاخر والمقدمين عليهم الفارس القسور والبطل الغضنفر
ابن أبو الفوارس عنتر وأيضا قاتل الفرسان ومبيد الشجعان أخيه
الملك الجوفران وأختهم ام الزعازع ولبوة الوقائع الضاربة بالحسام الذكر
عنيترة بنت عنتر وكذلك مجندلين الاقران وحاويين قضب الرهان الامير
ياسر وليث الميدان وأسد الفوارس والدبال بن الغضبان وأما سبب مجيئهم
من أرض الشام وتلك البلدان فانهم طالبين ثارهم من سائر العربان وقد
جعلوا أول قصدهم الى بنى نبهان * (قال الراوى) * فوالله ما أتى جرير على
آخر ما أبداه من الكلام الا وصرخة عظيمة قد بدت من تحت الاعلام
وفارس قد ترجل عن جواده من بين تلك الصفوف وسار على عجل حتى
صار قدام جرير والخزروف ونادى وقال وحق الركن والحجر والبيت العتيق
المطهران هذا جرير أخو عنتر فعند ذلك حار جرير من معرفته وتعجب من
أمره وقصته قال ثم ان المتكلم قال له يا فتى ما أنت جرير بحق اللطيف الخبير
قال نعم وحق الرب القدير * (قال الراوى) * وكانت هؤلاء السودان
جميعها قد ترجلت وكلامهم عن جواده قد نزل كرامة لهذا الفارس الذى
نزل فى الاول ثم انه ناداه يا جرير ما أظنك حققت معرفتى فقال جرير لا والله
يا مولاى وانى قد اشكلت على قصتك فقال له أنا الملك صفوان بن معدان
صاحب بلاد السودان وأنا خالك وخال أخيك عنتر بن شداد وسبب
وصولنا الى هذه البلاد وقد وصل خبر أخيك عنتر الينا وأخبار اجتماع
العرب عليكم فصعب ذلك الامر علينا ووصل بعد ذلك الينا خبر عنيترة
أم الزعازع وما فعلت من الوقائع وما تجمع عليها من العشائر وكم أبادت

من الدسا كر وظهور أخيها الملك الغضنفر وكيف انه طلع من عنتر فلما سمعنا ذلك فاضنا الامن فرح واستبشر وأملنا بوجود هؤلاء النصر والظفر وايضا قد وصلت الينا الاخبار انهم قد اجتمعوا وقصدوا أخذ الثار وكشف العار فسر في ذلك فأتيت الى معونتهم في هذا الجيش الجرار وقد جمعت عشائري وأجنادي وملوك ارضي وبلادي وقد أتيت بهم لاخذ ثار ابن اختي زبيبة وأمحي عني ما نزل بي من المصيبة قال فعند ذلك فرح جرير الفرح التام لما سمع من خاله ذلك الكلام فقال له والله ياخال انني أعلمك بشيء يزيد فرحتك وعلوشانك وتزداد به يقينا وبرهان وذلك ان قد ظهر لاخي عنتر ولد يسمى الجوفران وقد صار ملكا من ملوك الزمان وقد ترك ملكه وما هو فيه من تلك الايسار وقد أتى معنا يساعدنا على أخذ الثار وكشف العار قال فلما سمع الملك صفوان من جرير والخزروف تلك الاخبار أخذه الفرح والاستبشار وعاد جرير والخزروف على الاثار وهما كانهما شعل النار حتى وصلا الى بين يدي الملك واخيه الملك الجوفران واخبروهما بخبر اخوالهم السودان وقالوا لهما لقد عظمت أحوالكم وزادت أفراحكم وقد بلغنا آمالكم بقدوم صفوان ملك السودان خالكم فها هو قد أتى اليكم يساعدكم على اخذ ثاركم فقال له الجوفران اوضح لنا عما معك من البرهان وبين لنا صحة هذا الكلام واخبرنا بما حدثت فيه والسلام فقال جرير اعلم يا ابن أخي ان هذا الجيش القادم أخوال أبوك عنتر والمقدم عليهم أخوستك زبيبة اخت الملك الاكبر وهذا الملك صفوان بن الملك معدان وقد أتى في عشائر السودان ليعينكم على أخذ ثاركم من العربان ثم انه اخبرهم بالخبر واطلعهم على ما خفي وما ظهر فلما منهم الامن فرح واستبشر وزادت بني عبس في الفرح والسرور وتجارت الفرسان الى بعضها بعض مثل الطيور ووصلت عشائر السودان وترجلت الملوك للملك صفوان بن معدان وترجلت أيضا فرسان بني عبس وعدنان واعتنقت بعضها بعض الطائفتان وانتشر وفي فسيح تلك الارض والمكان ﴿قال الراوي﴾ هذا

والملك زهير قد أقبل مثل الاسد الوثاب وعلى رأسه راية أبيه وجده العقاب وطلب أن يترجل فلم تمكنه عشيرته من النزول الى صفوان ليكون ذلك أعلى له قدرا وارفع شأن وكذلك الملك الجوفران لم يترجل لانه جبار من جبابرة الزمان ونفسه نفس ملك مرتفع القدر وكذلك أخيه الملك الغضفر بل أقبلوا على بعضهم بعض وهم ركاب وسلموا على بعضهم سلام الاحباب للاحباب وضربت السرادقات والاطناب ونزلوا فيها وقد تذكروا من قتل لهم من الاصحاب وعظم البكاء والانتحاب ﴿قال الراوى﴾ ولما قربهم المقام أخذوا في الراحة ثلاثة أيام وقد أجمعوا أمرهم ورأيهم على المسير لاخذ الثار فقال الملك الرأى الا نتانسير الى الديار حتى ننزل فيها ونقر بها القرار ونستأنس الديار بالسكان ونجتمع فيها الخلان وينظرها بن عمنا الملك الجوفران وكذلك خالنا الملك صفوان بن معدان ويجتمع علينا أيضا من يحبنا من العربان فقالوا له سائر الملوك ان هذا هو الرأى الصواب والامر الذي لا يعاب ووافقوا كلهم على ذلك ورحلوا في اليوم الرابع يقطعون ذلك البر والسباسب ﴿قال الراوى﴾ ولم يزالوا يقطعون الاودية والقفار ويجدون في المسير ليلا ونهارا حتى انهم وصلوا الى الديار ونزلوا فيها واستقر بهم المقرار ونصبوا بنى عبس وعدنان البيوت الشعر الذى اصطنعها لهم الجوفران وأنست تلك الديار بالسكان والاوطان بالقطان وسارت الديار أعمر وعما كانت وأكثر رجال وفرسان لان قبيلة بنى عبس كانت عدتها في سالف الازمان أربعة آلاف عنان وكلما فقد منها أحد ينشى عوضه من الشباب فلما انتهى بها الامر الى هذا الاوان اجتمعت فرسان بنى عبس الذي كانوا تفرقوا في الجبال والوديان لما كانت اجتمعت عليهم قبائل العربان وفعلوا في حقهم ما فعلوا من ذلك التشتت والهوان وقتل في ذلك المرة حصن بن حذيفة وابن أبا حارثة سنان لما كان أشار الملك قيس على بنى عبس بعرقبة الجمال وذبح الفصلان وخرجت بنى عبس وشعبت في الصحارى والوديان ولم يزالوا الى أن أتى عليهم هذا الاوان وجاءت اليهم

تلك الملوك والفرسان وقد اجتمعوا من كل جانب ومكان وأقاموا تحت ظل الاميرة عنيترة والغضنفر والجوفران فكان عدتهم ثلاثة آلاف عنان وبنى قضاعة أربعة آلاف من الشجعان والملك صفوان بن معدان فى خمسة آلاف من السودان واجتمع عليهم من أصدقائهم وحلفائهم أربعة آلاف عنان فصار عداتهم ستة عشر ألف حتى ضاقت بهم تلك الصحارى والوديان ونصبوا للملك الغضنفر وأخيه الجوفران على العلم السعدى راياتهم وصار لهم عز وشان وقول وامكان وأقامت بنى عبس تصنع الولائم ويرتع فيها القاعد والقائم وقد أخلف عليهم الزمان عوضها عنترة بن شداد وقد صارت أحسن ما كانت أبيات بنى قراد وانضاف الى عنيترة الخزروف وجرير وزخة الجواد وزيد بن عروة وسبيع اليمين بن مقرى الوحش وياسر وليث الميدان والديال بن الغضبان وكان قد نشأ الغصوب ولد فى بنى قضاعة يقال له أسد الفرسان وكان بطل مداعس وانضاف الى عنيترة مع جملة الفرسان لانه كان يعد بجماعة من الاقران وكان كل واحد من هؤلاء الفرسان بخيام ومضارب وخيل وجنائب وأموال ونعم وأصحاب وأحباب وكانوا بنو ازهير قد انقرضوا ولم يبق منهم الا زهير بن قيس وكانت عنيترة وقرته هى وأخوتها ولم يردون فى فمه كلمة واحدة ولم يعدوه الا من الملوك الكبار مثل ما يفعل عنترة مع أبيه قيس ويوقره غاية الوقار وأما بنى زياد فانهم انقطعوا عن آخرهم ولم يبق منهم ديار ولا نافخ نار ولم يبق منهم الا الشمر بن زياد قتل الحسين بن على بن أبى طالب فى أرض كربلى ومات بدعوة كانت قد سبقت عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو العطش فصار يشرب كل يوم قدر عشر راويات ولا يروى حتى انقطعت أمعاءه وانفقعت بطنه ومات وشرب كأس الممات ﴿قال الراوى﴾ وبقت هذا الثلاثة أولاد حماة لبنى عبس وبنى قضاعة ومن معهم من العرب الامجاد كما كان أبيهم على بنى عبس عنتر بن شداد وقد دار بينهم الكلام والامير الجوفران يسمع ما جرى على أبيه وعلى قيس واخوته فى بنى نبهان والاعادة

ليس لها أفاد: وكان الذى يقص عليهم هذا الاخبار الامير ورقة بن الملك زهير (قال الراوى) فلما سمع زهير بن قيس كلام عمه ورقة بكى بكاء شديدا فقالت عنيترة مالك أيها الملك تبك لا أبكا الله عيناك ولا شمت بك أعداك ولا الحساد وكيف تبكى ونحن حولك مثل الاساد وكنا لك من جملة الغلمان وكل فارس منا مقاوم بجماعة من الفرسان فدع عنك البكاء والانين والاشتكاء وسر بنا الى بنى نبهان حتى نأخذ منهم بثار أبيك وأبى سيد الفرسان وأخلى ديارهم مثل أمس كان ثم ان عنيترة التفتت الى خالها عمرو ذو الكعاب وقالت له يا خال خذ أهبتك الى الطعن والضرب فعند ذلك قال الجوفران لعمه جرير أريدك أن تريني قبر أبي عنتر حتى أنظره وأشاهد مضجعه ومقبره فقال له جرير أتبعني وأنا أوريك ذلك ثم انه سار قدامه والجوفران وأخوته من وراءه الى أن وصل قبر أبي الفوارس عنتر فعند ذلك نزل الجوفران عن ظهر جواده وقد أكثر من بكائه وتعداده وقال وأحزناه عليك ياولدى الذى ما أنت بالحياة وتنظر الى أخذ ثارك وتبصر ما يجرى فى حق العرب ولكن وذمة العرب وشهر رجب والرب الذى اذا طلب علب لآخذن ثارك الا وأنت تشاهد وتبصر حتى ينظر من ينصر منا ومن يخسر ثم انهم ركبوا وعادوا الى خيامهم فعند ذلك أقبلت عنيترة على أخوها الجوفران وقالت له ما الذى عولت لانك أقسمت لا تأخذ لأبيك بالثار الا وهو فى جملة المغار فبين هذا الكلام وكيف أقسمت بتلك الاقسام فقال سوف ترون ما أفعل ثم صبر اثنى يوم وركب وسار وأخوته معه الى أن وصل الى قبر أبيه وأخوته يتعجبون من فعاله فعند ذلك أمر عمه جريران يحفر قبر أبيه لحفره واذا بها عظام باليه ناخرة فأمر بقطع من الاديم وان يدرج فيه عظام أبيه عنتر فسألوه أخوته عن الخبر فقال لهم أنا أريد أجعل أبى قدامنا على جمل وكلما قتل أحد من الاعداء أعرضهم عليه وهو يشاهد ذلك بعينه فقالت عنيترة يا أخى هذا عظام باليه لا تدرى ما الخبر فقال وحق ذمة العرب ان لم تطاوعونى على ذلك قتلتكم وقتلت روحى بعدكم فعند ذلك

سكتوا عن جوابه *(قال الراوى)* ثم ان عنيترة صرخت فى بنى قضاعة وقالت الخيل يا رباب الخيل وأيضا الجوفران صرخ بالعبيد فقد موا له جواد النوبة فركب وركبت لركوبه جميع الفرسان وسار واطالبين ديار بنى نبهان فقال والله لابد ما أشتت شملهم فى جنبات الفلا ثم سار وابنى عبس و بنى قضاعه من ورائه وجدوا فى المسير من تلك الساعة وما زالوا سائرين الليل والنهار وهم يقطعون البرارى والقفار الى أن وصلوا الى أرض بنى نبهان وأخذوا أهبة الضرب والطعان و اتوا تلك الليلة على رمل عالج وغيرانهم فى الرهايج الى أن أصبح الصباح فعند ذلك لبسوا آلة الحرب والكفاح ولما تضاحى النهار وقاربوا المراعى والديار فأخذت عنيترة معها الف فارس وغارت على أموال بنى نبهان وساقت كل ما هناك من الخيل والجمال وجميع ما نظرته امامها ولم يبق الا الحجارة والحصى وكانت فى بنى نبهان خيول لا توجد عند سائر العربان وألقت عنيترة الضرب فى أقفية العبيد وقتلت كل بطل صنديد فعند هما وقع الصياح فى بنى نبهان وقد ركبت سائر الفرسان وفى أوائلهم المهاهل أبو زيد الخيل ومعه كل فارس قيل وكان أبو زيد الخيل ضعف ضعفا شديدا وهو فى حال عنيد وهكذا نوابنى نبهان فى سبعة آلاف فارس وقتلت كل بطل مداعس وضربت عنيترة فيهم يمين وشمال وقد أفنت الابطال والرجال وأحمت تلك الالف فارس كما تحمى اللبوة الاشبال وما زالت كذلك الى أن أدركتها فرسان بنى عبس و بنى قضاعة وكانت لهم ساعة يالها من ساعة كشف الموت فيها قناعه فعند ذلك عمل الغبار وعمل البتار وقل الانتصار هذا وعنيترة تضرب فيهم ذات اليمين وذات الشمال وصاروا الابطال من قتالها ونزالها وقاتلت الفرسان وصبرت الاقران وقل الكلام وثقل الاسان ورأت فرسان بنى نبهان من فرسان بنى عبس وقضاعة قتال ما نظروا مثله من فرسان ذلك الزمان وقد ملؤا من قتالهم الميدان وحارى من شهرة القتال من كان سكران وقضى عليهم بالفناء من لا يشغله شان عن شان الذى اذا قال لشئ كن فيكان وتقهقرت بنو نبهان

وقد لزوهم بنى عبس الى ديارهم والاوطان وفعلوا فيهم كما تفعل النسور بالعقبان وقد أذاقوهم كأس الهوان ولم يزالوا الى أن أطلع الظلام ومنعهم عن ضرب الحسام وقد افترقوا الجمعان وتحارسا الفريقان وجمع المهلهل سادات قومه وأكابر عشيرته وقال لهم اعلموا هؤلاء بنى عبس كان اسمهم بين العربان فرسان المنايا والموت الزوام وقد مات حاميتهم عنتر وذاقوا بعد موته البلاء المنكر وهجوا فى البلاد وشمتت فيهم الحساد والآن فقد أنتشت فيهم هذه المقطوعة القطاع عنيترة الذى تهرت كل بطل شجاع وقتلت كل قرم مناع وأسرت ذوالحمار وعمته الزرقة لمامة وقتلت سبع الفلاه وردت بنى عبس الى أرض الشربة وما كان تعرضنا لهم صواب وكانوا فى أيام عنتر أربعة آلاف وهم الآن فى سبعة آلاف وفيهم عنيترة وعمرو ذرالكلب وقتامة الرجال وزيد بن عروة وزهير بن قيس والخزروف ابن شيبوب وجرير الذى ماله فى الارض نظير وما لنا أوفق من البراز اعلنا فانقط فرسان الحجاز فلما سمعوا كبار العشيرة ما قاله المهلهل سيد القبيلة بقى كل واحد منهم فى حيرة فقالوا له أيها الملك من فى عشائرنا يقاتل عنيترة أو خالها عمرو وزيد بن عروة وعتيبة بن حصن وزهير بن قيس وهؤلاء فرسان البيداء وشجعان الفلاه ولولا أن يكونوا كذلك ما رجعوا الى أرض الشربة والعلم السعدى وخافتهم جميع العرب ولا قدر أحد منهم أن يعتدى ولا يبدى فعند ذلك نهض من بين القوم شاب مليح الشباب اسمه جابر بن وزر الذى قتل عنتر وقال الى المهلهل ياسيد بنى تيهان وحق ذمة العرب غدا أبرز الى بنى عبس وأقتل حاميتهم عنيترة كما فعل أبى بأبوها واسكنه المقبرة وأقتل بن عمها الخزروف وعمها جرير ولابد من قتل أخيها الغضنفر وأفعل به فعل منكر ولا أخلى من ذرية عنتر لا كبر ولا صغير فلما سمع ذلك الكلام المهلهل فرح واستبشر وقال من تشبه بأبيه ما أظلم ثم ان القوم تفرقوا للمنام الى أن أصبح الصباح وركبت الفرسان واصطفوا فى الميدان فاول من برز وطلب القتال وتقدم للحرب والنزال كان جابر بن وزر ونادى

برفيع صوته من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فانا خفي أنا جابر بن وزر ابن الاسد الرهيص فلا يبرز لي الا عنيترة بنت عنتر حتى أذيقه الموت الاحمر فما استتم جابر من كلامه حتى برزت عنيترة وسارت قدامه وقالت ويلك يا كلب أجرب واخس من مد في البيدا طنب أنت ممن يطلب فرسان العرب ثم ان عنيترة حملت على جابر وكان من الفرسان المذكورة والابطال المشهورة ﴿قال الراوي﴾ فما وقف جابر بين يدي عنيترة غير ساعة حتى صدمته صدمة الاسد وضربته بحسامها المهند فوقعة الضربة على عاتقه طلع السيف يلمع من عند لائته وسقط من على جواده الى وجه الارض وصار يختبط طولا وعرضا الى أن فارقت روحه جسده وعنيترة واقفة عنده ولما مات طلبت عنيترة البراز وما لت الانجار فلم يبرز اليها أحد لا ابيض ولا أسود فعند ذلك أشارت الى بني عبس وبني قضاعة بالحملة فحملت على بني نبهان وعمل بينهم السيف والسنان والتقت الاقران بالاقران والفرسان بالفرسان وما كانت الا ساعة من الزمان حتى انهزمت بني نبهان وطلبت البراري والقيعان وعمل فيهم الطعن بالسنان وما زالوا بني نبهان هاربين وبني عبس لهم طالبين الى أن ولا النهار وأقبل الليل بالاعتكار وردت بني عبس وبني قضاعة ورقدوا في خيام بني نبهان وقد ملكوا المال والنوال والنوق والجمال والنساء والعيال وكان قد قتل من بني نبهان أربعة آلاف من الشجعان وكلهم أبطال وفتيان وجرح المهلهل جرح وثيق وقد عدم السعادة والتوفيق ولما أصبح الصباح نهبت بني عبس وبني قضاعة جميع ما كان في ديار بني نبهان في أقل من ساعة وما تبقى غير بيت مقطوع ووتد مكسور وبقيت منازل بني نبهان خراب ومساكن للبوم والعقاب ﴿قال الراوي﴾ ثم رحلت بني عبس طالبين ديارهم وقد أشفوا غليلهم من أعداءهم وبردت عليهم نارهم وفضاله بن قيس راكب على جواده من خيل بني نبهان ما يوجد مثله في ذلك الزمان والى جانبه عنيترة بنت عنتر والى جانبه الاخر عمرو ذو الكلب وزيد بن عمرو وعتيبة بن

حصن والخزروف بن شيبوب وجريروهم راكبين على الخيول العربية وهم سائرين ومعهم من الاموال والغنائم ماسد الفضاء وهم فرحين بما أعطاهم الرب القديم من النصرة والظفر ومامنهم الا من فرح واستبشر وقد هانت العرب فى عين بنى عبس وبنى قضاعة وخافت من عنيزة جميع العربان واذعنوا لها بالطاعة فعند ذلك دار بينهم المشورة والكلام الى أى عرب يقصد فى الاول حتى يأخذوا منهم بالثار ويفنوهم بالصارم البتار ويفعلوا بهم كما فعلوا ببنى نبهان فاتفق رأيهم أن يجعلوا قصدهم الى بنى نبهان ثم انهم لم يزالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى انهم وصلوا اليهم وغاروا عليهم وساقوا أموالهم من المراعى ولم يتركوا من رجالهم ساعى ولا راعى فنفرت اليهم بنى نبهان وقد حققوا ذلك عيان وعرفوا انهم من بنى عبس وعدنان فتقدمت بنى نبهان وفى مقدمتها زياده بن عامر الجهانى الذى ماله فى زمانه ثانى فلما علموا انهم بنى عبس والمقدمين عليهم أولاد عنتر يقدمهم أم الزعازع عنيزة بنت عنتر وأخوتها الجوفران والغضنفر لانهم قد شاع ذكرهم فى القبائل واشتهر قتلقوهم بنى نبهان بحد السيف ورأس السنان والغضنفر قد أخرج يده من جلباب درعه وهو يزعق يالعبس يالعدنان الثار الثار هذا يوم كشف العار والطعن بالاسمر الخطار ﴿قال الراوى﴾ ولما وقعت العين على العين وتقابلت الطائفتين انطبقت بنى عبس على بنى نبهان من غير كلام والاوزان فالتقوهم القوم بقلوب صلاب وأخذوا فى الطعان والضراب وصار الغضنفر يهبر الرجال هبرا ويجزرهم جزرا ويرميهم الى الارض خمسا خمسا وعشرا عشرا حتى فاضت الارض بالدماء وامتلأت بالقتلاء وكلما قتل قتيل ينادى يالثارات بنى عبس فانى أفديهم بالروح وبالنفس والدماء تسيل من حسامه والابطال ينهزموا من قدامه وكذلك فعل أخوه الجوفران وقد سطى على الفرسان وأهلك الاقران واما أختهم عنيزة فكان لها هدير وزمجرة وكانت على القوم ساعة عسره زاغ فيها من الشجاع بصره هذا وفرسان بنى عبس أحلوا ببنى نبهان التعس والنكس ولم

يزال الامر كذلك حتى مضى النهار بتسامه الضاحك وأقبل الليل بظلامه الحالك فعند ذلك افترقوا الطائفتين وابعدوا عن بعضهما بعض وكان قد قتل من بني نبهان ألف ومائتين فارس من الفرسان وهزموهم بني عبس الى الخيام ولولا قدوم الظلام ما بقي منهم شيخ ولا غلام فعند ذلك قارسوا الجمعان وأوقدوا النيران ولم يزالوا الى أن أصبح الصباح وركبت بني نبهان وقد افترشت في الصحصحان من خوفهما من الهلاك والقلقان وركبت بني عبس وبني قضاعة ومن يقدمهم من الابطال وقد استعدوا للضرب والقتال واذا بزائد فارس بني نبهان قد برز الى وسط الميدان واشتهر بين الفريقان وطلب البراز وسأل الانجاز وماتم كلامه الا والغضنفر قد صار قدامه وحمل عليه حملة منكرة وصدمه صدمة مدعرة فتلقاه زائد فارس بني نبهان واقتتلا الاثنين في الميدان وثارا الغبار الى العنان وأخذوا في أسباب الضرب والطعان ولم يزالا كذلك ساعة من النهار وقام بيده الغضنفر وطعنه بالاسم الخطار فخرج من ظهره سبعة أشبار فوقع عن ظهر جواده وقد عدم صلاحه ورشاده وانبعث منه الآثار وبعد قتل مقدمهم لم يكن لهم اصطبار ولا ثبات ولا قرار بل حملت عليهم بني عبس وحمل الملك الجوفران كأنه الاسد الهذار وكذلك أخته عنيترة قد اقتحمت الغبار وأما ياسر فانه مزق الدروع والمغافر وضرب في القوم ضربا وافرا وابن مقرى الوحش سبيع اليمين فانه أنزل بهم الفتن ونثر الرأس عن البدن وأما ليث الميدان فانه خبل الفرسان وأباد الشجعان وسقاهم كأس الموت ألوان وأما عمرو ذو الكلب فانه قد تجرد للطعن والضرب وأدمى الصارم العضب وأما دثار بن رزق فانه ساق الفرسان بين يديه سوق وأي سوق وأما خفاف ابن ندبة فانه أحل بالفرسان كل بلية ونكبة وأما دريد بن الصمة فانه قد سل عليهم سيف النقمة وأما ملوك السودان فانهم أحلوا بهم الذل والهوان فهنالك طارت الرؤس وزهقت النفوس وتكاثرت الابطال الليوس من كل بطل عبوس وليث شروس وكان وقتهم وقت منحوس

وتقاتلوا

وتقاتلوا بالسيف والرمح والدبوس ولم يكن ذلك غير ساعة حتى قتلوا من
الاعداء ألف وأربعمائة قتيل والذى نجوا من الحرب والقتال تفرقوا من
بين أيديهم فى بطون الاودية والجبال وبعد ذلك تقرر حالهم واتفقوا
فى المقال على غزو بنى هلال فساروا اليهم وهجموا عليهم وأوصلوا الاذية
اليهم وحمل الغضنفر فى أوائل القوم وهو ينادى اليوم ولا كل يوم فمثل
هذا اليوم يزول العتب واللوم والملك الجوفران صاح وأبذل فيهم الطعن
بالرماح وحمل زنجة الجواد وحملت معه فرسان بنى قراد فلله درهم كم ابروا
كفوف ومعاصم وفلقوا من أكتاف وجماجم وكم أثاروا من غبار قتلوا
كل فارس كرار وكشف الغضنفر ذلك اليوم العار وأخذا الجوفران لابيه
عنتر بالثار وفعلت عنيترة فعل الجبابرة الكبار وقتلوا من بنى غير ألفين
وستمائة فارس كرار فلم يكن لهم على قتالهم اصطبار فولوا الادبار وركنوا الى
الفرار وأخلوا منازلهم والديار وساروا بنى عبس من ديار بنى نمير بعد
ما أحلوا بهم البلاء والتدمير ولم يزالوا سائرين فى ذلك السير الطويل حتى
وصلوا الى بنى هزيل فحمل عليهم الغضنفر الاسد الريال ونادى على بنى
عبس دونكم وهؤلاء الاذلال ابذلوا فيهم السيوف الصقال فلما سمعوا من
بنى عبس ذلك المقال أجابتهم الشجعان والابطال وحمل الملك الجوفران
وأخته عنيترة قاتلت الفرسان وحمل ياسر بن ميسرة وليث الميدان وسبيع
اليمن والديال بن الغضبان وحمل زنجة الجواد وحمل العباس بن مرداس
وخفاف بن ندبة ودثار بن روق وقد ساقوا الاعداء سوق وأى سوق وأما
دريد بن الصمة فانه فى هذه الوقعة ما كان حاضر بل ان الغضنفر كان قد
حلف عليه وأصرفه وطيب خاطره وقال له يا أبا النظر عد من هنا الى ديارك
وأوطانك لانك قد لقيت من أمرنا ما كفاك فسار الى داره وترك عندهم
خفاف بن ندبة ودثار بن روق والعباس بن مرداس وهؤلاء الثلاث كما ذكرنا
انهم من أقوى الناس فهنالك اختلط الجمعان وعمل السيف والسنان
وحمل الملك الجوفران حملة الاسد الغضبان وضيق على الاعداء الميدان

وأبلوا الاعداء بالذل والهوان فعند ذلك أشتد الحذر وصاح كل ليث قسور
وعلى الحسام الابتر والرمح الاسمر وطارت الرؤس مثل الاكر هذا وقد
تصادمت الخيل وجرى الدم مثل السيل ولم يزالوا بنو عبس يقتلون فى بنو
هزيل حتى قتلوا منهم ثلثمائة آلاف قتيل ولما رأوا ليس لهم بنى عبس طاقة
ولا على حربهم استطاقة فولوا من بين أيديهم الادبار وأركنوا الى الفرار
فعند ذلك رجعوا بنى عبس عنهم وساروا طالبين ديار بنو زبيد فارتكبوا
فى أمرهم وتجمعوا من كل قفر وبيد والتمت عليهم بنو طى وبنو مراد وقد ركب
فى أوائلهم عمرو بن معدى كرب البطل الجواد وهو فى أوائل الفرسان
وعزموا على ملاقات بنو عبس وعدنان لانها كانت فرقة من بنى زبيد
مقدارثمان مائة فارس قصدوا الى بنو عبس وقد تشاركوا فى دمائهم فلما
أقبلت التقتهم بنو عبس فى ذلك اليوم بذلك الجمع من العرب والسودان
وفى مقدمتهم أم الزعازع عنيترة فتقالت الشجعان وأخواتها الغضنفر
والملك الجوفران فعند ذلك احتاج عمر وأن يدافع عن نفسه وعن بنى عمه
فعند ذلك برز الى بين الصفين وأشتهر بين الفريقين وقد طلب البراز وسأل
الانجاز فبرز اليه الجوفران وقد انقض عليه بقلب من الحنق ملآن
وتلاحما وتكالحا وتحربا وتبعدا وتطعنا وتضاربا وأخذوا فى الكر والفر
والصد والرد والمزل والجد والمطاولة والمجاولة واوسعا فى الميدان وساقوا
الجوادان حتى غابوا عن الاعيان واختلف منهم طعنتان واصلتان فكان
السابق بالطعنة الملك الجوفران فطعن عمرو فى جانبه أقلبه وقد أبذل بتلك
الطعنة دمه وكاد ان يعدمه روحه * (قال الراوى) * ولما رأت بنو زبيد
الى فارسهم وحاميتهم قد تمدد فى ذلك المهاد فأطلقت الاعنة وقومت
الاسنة وقد داروا بالجوفران من كل جانب ومكان وأشغلوه عن أسر عمرو
وخلصوه من بين يديه وقد نجحوا تلك الساعة فى الحرب والجلاد وركبو
عمرو على ظهر الجواد فأخذ رمح ثانيا وحمل على بنو عبس وعدنان فحملت
أيضا بنى عبس وبنى قضاعة وكان قدام الفرسان الملك الجوفران وحملت

أيضا

أيضا السودان وحمل الغضنفر قدام الاقران خروفا على أخيه من نكبات الزمان وحملت عنيترة مع جملة الفرسان وحمل عمرو ذو الكعب وزيد بن هروة وسبيع اليمن وياسر وليث الميدان والديال بن الغضبان وكان لهم ساعة من ساعات الزمان فأبادوا من بني زبيد الرجال وأفنوا الابطال وعظم الزلزال وسطت بنو عبس على بني زبيد وأحلوا بهم البلاء والتنكيل وصارت القتلاء بين أطناب الخيم وقد سقوهم كاسات الموت ألوان وخرجت المخدرات وقد تشتت في الفلوات وعلامتهم الانتحاب على من قتل لهم من الاحباب وكان لهم ساعة يالها من ساعه وكانوا بنو زبيد قد بايوا بمنام يطيقوا له طاقة ولم يجدوا لهم على ملاقات فرسان بني عبس استطاقة فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وخلفوا غنائمهم وأموالهم ونوقهم وجمالهم فعند ذلك أمر الجوفران برد النسوان والاطفال وأمر بسوق الاموال والجمال *(قال الراوي)* وكان الجوفران سيف بني عبس والمشار اليه فيهم في ذلك الزمان وعنيترة هي فارسة الفرسان والغضنفر حامتهم من طوارق الحدثان وهو المقدم على كل من لهم من الفرسان فهذ كله يجري من هذا الامر الذي تحرر وجرى والخزروف واقفين بالجمل الذي عليه عظام عنتر ويقولوا له اسمع يا أبونا ما نقول لك وأبصر ان كان ما يرضيك ما فعالنا فحن نفعل مثله وأكثر فكان عنتر عظام بالية لا يرد جواب ولا سؤال فعند ذلك يقولوا أبونا ما رضي بهذه الفعال ولا يقنع بمن قتل من الفرسان وهو الى الآن لم يزل غضبان ثم يسيرون الى غزاة لعربان *(قال الراوي)* وانهم بعد ما فعلوا بنو زبيد ذلك الفعال ساروا طالبين البراري والجبال وقد تقدم الجوفران قدام الفرسان وهو بما فعله فرحان فأشار ينشد ويقول هذا الابيات

الا بلغ زبيد وعمرو عنا * بانا كيف نفعل بالرجال
تركناهم على البيد امرعا * ونسوتهم تردن العوال
وأرفدنا الفوارس من زبيد * بجمعهم على ظهر الجمال

وعمرو قد تركناه جريح * يجر نجيعه تحت العوال
ولولا الليل ما عادت زبيد * الى أبياتها يوم النزال

(قال الراوى) فلما فرغ الجوفران من ثلاث النظام ساروا يقطعون البرارى والآكام حتى وصلوا الى ديار بنى همدان وغاروا عليهم وأنزلوا بهم الذل والهوان ولم يزال الغضنفر وعنيترة والجوفران يقتلوا منهم الشجعان ويدمرون الاقران وكان لهم ساعة من ساعات الزمان فولوا الادبار وركبوا الى الفرار وقد قتلوا منهم الفين فارس كرار وغاروا من بعدهم على بنى جديلة وأحلوا بهم نوبة وبيلة وقاتلوا فيهم وأظهروا الحتوف حتى تقلبت فى أياديهم السيوف وتجددت المطامع وصمت المسامع هذا وفرسان بنو عبس صارت تضرب الاعداء الضرب الوبيع وأسمعوا من الفرسان الدماء النجيع وجندلوهم على الصعيد حتى أفنوا كل بطل صنديد وغاروا على فرقة من بنى شيبان وأنزلوا بهم الذل والهوان وطرحوهم على الخدمعان وقاتل فيهم الغضنفر وأخوه الملك الجوفران وعنيترة بمن معهم من الرجال والاقران وعملوا فيهم عمل النار فى الحطب وافتخروا بفعلهم على سائر العرب وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفعلوا فى حقهم أفعال ذميمة وغاروا من بعدهم على بنو تميم وأنزلوا عليهم العذاب الاليم ولم يتركوا فى ديارهم الا كل رميم وأحلوا بهم البوساوس وقتلوا منهم ألف وستمائة فارس ثم انهم غاروا على بنو هاقل وأحلوا بهم البلاء النازل ولغاروا منهم الغنائم حتى لطمت عليهم اللواطم وقد مدوا الرجال على التراب وقتلوا منهم ألف وتسعمائة من الاصحاب وغاروا بعد ذلك على بنى غيلان وأنزلوا بهم الذل والهوان وسقوهم من كاسات العذاب ألوان وقتلوا منهم ألف فارس من الشجعان ثم انهم غاروا على بنو ضهية وأحلوا بهم الرزية وسقوهم من الموت ثمربة غير هنيئة وقتلوا منهم ألف وثلثمائة وغاروا بعد ذلك على بنى ضبيان وشتتوهم فى البرارى والقيعان وقتلوا منهم الشيوخ والفتيان *(قال الراوى)* هذا كله يجرى والجمل الذى عليه عظام عنتر واقف فى الميدان وكلما قتلوا قبيلة تأتى اليه

عنيزة وأخوتها الغضنفر والجوفران وينادوا له يا أبينا هاقد أبدينا العربان وأبدنا الفرسان يكفي ما ترى يازين الشجعان والانعود على ما كنا عليه فلم ينطق بلسان لانه عظام بالية من سنين وأزمان فيقولون ان أبانا لم يزل غضبان وانه ما اشتفا قلبه من العربان الى هذا الآن سيروا بنا حتى نفني بقية العربان فهذا كله من جهل جاهلية العرب في ذلك الزمان وما زالوا في ضلال وعدم رشاد وطغيان ﴿قال الراوي﴾ ثم انهم غاروا على بني الربيع وأحلوا بهم الهم والفزع وفعلوا فيهم فعل وبيل وقتلوا منهم ألف وخمسمائة قتيل وبعدهم غاروا على بني يربوع وأخلوا منهم الأطلال والربوع لان عتيبة بن شهاب تخلى عنهم وقال لهم أنتم حضرتم وقعة بني عبس بجهلكم فحضروا أرواحكم لحربهم ولاقوا البلاء الذي نزل بكم ثم انفرل عنهم فحملت عليهم بني عبس وأحلوا بهم التعس والنكس وحمل في أوائلهم الغضنفر وعنيزة والجوفران وحمل عمرو ذو الكلب وبقية الفرسان وأنزلوا بهم الذل والهوان هذا وقد ضاقت على الاعداء المواضع وتركوا الطيور في لحمهم رواتع ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم ألفين من الفرسان الاكابر ثم انهم غاروا على من تبقى من بني عامر وأداروا عليهم الدوائر ومكنوا منهم السيوف البواتر وقتلوا منهم ألف وأربعمائة ثم انهم غاروا على بني بارق ومسكوا عليهم المضايق ومكنوا منهم الرماح الخوارق وبان الكاذب من الصادق ودارت عليهم الدوائر ولم يدعوا منهم لا بادي ولا حاضر وقتلوا منهم ألف قتيل مشاهر ثم انهم غاروا على بني ضرار وأخلوا منهم الديار فتلقتهم بنو سليم وبنو ضرار في ألف فارس من الابطال فلله درهم من رجال أقيال أجادوا معهم في القتال واشتد النزال وعظمت الاهوال فعند ذلك سالت الدماء من المناكب وحلت بهم المصائب ودارت على بني سليم وضرار الدوائر والنوائب وتمكنت منهم المضارب ولم يبق منهم لا ماشي ولا راكب فلله در الامير الغضنفر وعنيزة والجوفران وعمرو ذو الكلب وباسر وليث الميدان

و زيد بن عروة وسبيع اليمن وأسد الفوارس والدبال بن الغضبان وقد فعلوا بالفرسان الاخيار من بني سليم وبني ضرار وقتلوا منهم ثلاث آلاف قتيل من الرجال الاخيار وغاروا بعد ذلك على بني القين وأنزلوا عليهم العذاب المبين وقتلوا منهم ألف ومائتين ﴿قال الاصمعي وأبو عبيدة الرويين﴾ لهذا الكلام ولولا الاطالة لذكرت كل قبيلة بوقعتها وحربها وما جرى عليها من قصتها لان كان عدد القبائل الذين غاروا عليهم وأفنوا رجالهم وقتلوا أبطالهم وكان عدتهم مائة وسبعين قبيلة ما منهم الا كل بطل محارس قال ولما تسامعت بهم بقية القبائل وانهم فعلوا بالعرب هذه الفعائل تعلقوا في رؤس الجبال ومنهم من اختفى في بطون الاودية الخوال ولما انهم أشفوا العليل وفعلوا بالعرب ذلك الفعل الوبيل عادوا راجعين الى ناحيت العلم السعدى وأرض الشربة ليجتمعوا بمن هناك من الاحبة والملك زهير بن قيس بين أيديهم كأنه الاسد الوثاب وقد نشرت على رأسه راية العقاب والى جانبه الاميرة عنيزة وأخواتها الغضنفر والجوفران وما منهم الا كل ليث قسور وهم فرحانين بالنصر والظفر وبين أيديهم جرير والخزروف وبقية الفرسان ومن خلفهم الملك صفوان ولم يزالوا سائرين والخيل بينهم تجرى حتى وصلوا الى أرض الشربة والعلم السعدى ولما وصلوا الى أرض الشربة واجتمعوا الاحباب بالاحباب فعند ذلك نزلوا فيها واستقر بهم القرار وانست بهم الديار فعند ذلك بسطوا البسط والمفارش وجلسوا بلا مضارب ولا خيام وأقاموا هناك خمسة أيام الى ان خلا بالهم من الضرب والصدام فعند ذلك أمر الغضنفر والجوفران بحضور جماعة من العبيد الاعيان العارفين بمنازل العربان فحضروا في عاجل الحال الى بين يديه فأمر زيد بن عروة أن يكتب الكتب ويسلمهم اليهم وأمرهم أن يسيروا بها الى قبائل العرب وحماتها الذين اشتركوا في دماء بني عبس يوم اقبالها وقد داروا عليهم وأخذوا منهم بالثار وكشفوا ما كان عليهم من العار ﴿قال الراوى﴾ وكانت نسخة الكتب وما تقرر بان أمر الملك الجوفران

وأخيه الغضنفر واختهم أم الزعازع عنيترة بنت عنتر وكذلك الملك زهير
ابن قيس ملك عبس المقتضر بأن يأتون المقدمين منكم والابطال وكبار
القبائل ويأتوا معهم بالنوق والجمال لاجل النصور على قبر أبو الفوارس
عنتر بن شداد وان تسرعوا فى المجئ لاجل الفداء حتى تحضرون العزاء مع
جملة من له من الاولاد ولا تعطوا تهاون ولا احتجاج ولا ابعاد وكل من تكبر
عن المجئ أو تعذر فنحن نعود بالغزو عليه ونوصل الاذية اليه ونأخذ روحه
من بين جنبيه وقد أنذرناكم ومن لا يصدق لا يسأل عما يجرى عليه
﴿ قال الراوى ﴾ لهذا المقال الذى ما يفعله الا كل جاهل من الجهال ثم انهم
سيروا الكتب مع العبيد الى سائر الحال والقبائل وكل ما وصل
كتاب الى قبيلة تجب بالسمع والطاعة وترحل فى عاجل الوقت
والساعة ويرحل أميرها فى كبراء عشيرته ومقدمين قبيلته ووصلت
الكتب الى سائر القبائل ورجعت العبيد فى أيام قلائل فعند ذلك
رحلت القبائل وهى طالبة أرض الشربة وتلك الاطلال وقد أكثرت
فى صحبتها من النوق والجمال وقد اجمعت من الهدايا والتحف خوفا من
أولاد عنتر بن شداد ومنهم من أتى محبة ووداد فكان أول من قدم عليهم
دريد بن الصمة وفى صحبته جماعة من كل ليث محتشم وأتى سبيع بن الحارث
فى سادات بنى جبر وكل منهم يتقرب بالمجئ الى اولاد عنتر وأقبلت بنى عامر
وبنى كلاب مع عامر بن الطفيل وأقبلت بنى نبهان يقدمها المهلهل وزيد
الخيل وأقبل بعدهم الامير عمرو بن معدى كرب الزبيدى وأقبلت بنى
شيبان يقدمها الامير هانى بن مسعود الكريم الاباء والجدود وأقبلت بنى
يربوع يقدمها عتبة بن شهاب وأقبلت بنى زهل وبنى مشاجع وبنى مرج
وبنى عاملة وبنى باهلة وبنى غير وبنى قشير وبنى ضهية وبنى رياح وبنى وشاح
وبنى الطماخ وبنى الشمراخ وصارت العرب تتلاحق ببعضها البعض
وتقصد أرض الشربة والعلم السعدى وقد ضاقت بهم تلك الارض وانفرشوا
فيها طول وعرض وصارت كل قبيلة ان قدمت وتوطنت تأخذ بنى

عبس عدتها وسيوفها وسائر رماحها وجميع سلاحها (قال الراوى) وكان هذا من جملة تدبير جرير والخزروف لانهم خشيوا عليهم من الاعداء اذا اجتمعوا بكثرتهم أن ينزلوا بهم الحتوف وعلى غفلة منهم يفعلوا فعل ليقعوا به فى كأس المهالك وصاروا يأخذون سلاحهم ففرح الغضنفر والجوفران بذلك قال ثم انهم أقاموا ألفين فارس بالسلاح كل يوم بالنوبة تكون راكبة خيولها مشتهرة فى أيديهم السيوف والرماح قائمة فى الخدمة برسم حفظ القبيلة خوفا من المذمة والافتضاح كيلا يبد وامن العرب أمر من الامور فتتعب من أجله القلوب والصدور وكانت فرسان بنى عبس الذى عليها المعتمد لابسة سلاحها والزرد وسيوفها مشتهرة على ركبها والميدان مثل الغضنفر وعنيترة والجوفران وياسر وليث الميدان وأسد الفوارس والدبال بن الغضبان وزيد بن مجروة وسبيع اليمن شجيع الزمان وعمرو ذو الكلب فارس الزمان والملك زهير ملك بنى عبس وعدنان ومن يجرى مجراهم من الابطال والشجعان وذلك كله لاجل احتقار العربان *(قال الراوى)* ولم تزل قبائل العرب تتواصل مدة عشرين يوم انقطع المدد وقد علموا انه لم يقدم عليهم أحد فعند ذلك شرعوا فى حفر قبر عنترة ودفنوا عظامه ووارروه الحفر هذا وقد تقدم قدام القوم الملك زهير ابن قيس ونحر مائتين ناقة ولم يقل لائم ولا ويلى بكاء عظيم بدمع مهطول وأنشد وجعل يقول

أمن الحوادث والمنون الاروع * وأبات ليلى كله ما أهجع
ولازلت حزينا وأبكى عنترا * ولمثله تبكى العيون وتجزع
ولقد علمت بان كل مؤخر * يوما سبيل الاولين سيتبع
جاد بن شداد الكمى بنفسه * ولقد ترا ان العزاء لا ينفع
يابن الكرام أولى النهائم العلا * قد كنت فى الفرسان سيفا يقطع
يا آل عبس اجمعوا ثم اندبوا * من كان يحمينا بأرض بلقع
يا آل عبس قد شفوا بكم العدا * من بعد عنترة الكمى الاروع

يا آل عبس احزنوا طول المدا * من أجل فارسنا الشديد الاشجع
(قال الراوى) ولما فرغ الملك زهير من أشعاره تأخر وقد بلغ من العداء أوطاره وتقدم من بعده دريد بن الصمة وقد مزق ثيابه وحث التراب على راسه وتصاعدت أنفاسه وكسر سيفه وقناته ونحر على قبر عنتر مائتين ناقة وخمسين ولم يلحقه فى ذلك تهاون ولا عافة وتقدم عند القبر وبكى وأن واشتكى وجعل يقول

وهاجلدى من نزحة أى نزحة * لفقد همام ضيغم ذراحبتى
لفقد همام عبسى صميدع * يصول على الاعداء بعزم وهمتى
فيا مقلتى جودى عليه بعبرة * ولا تبخلى بل ساعدينى بدمعتى
بكته ملوك الخافقين بأسرها * وبالحزن من أمران بزود خلتى
وبيض الضيا والمهند والزرد الذى * تدرعه فى كل يوم كريهتى
فمن مات مات الفخر والجود والعلا * لفقد الذى قد كان يحمو الذمتى
أيا جوفران القيل صبرا لفقده * فحكم قضاء الله فيه المشيتى
يعز علينا أن نعز بسيفه * وسيد قوم كان عزى وقبيلتى
فلا زلت فى عز يدوم ونعمة * على حالة تعلوا على كل حالتى

(قال الراوى) ولما فرغ دريد بن الصمة من شعره حتى نهض له زهير بن قيس وشكره وأجلسه فى مرتبته وقام من بعده ذو الخمار وقد باح بالاسرار ونحر من النياق مائتين وعشرة أبكر بعدما فرق ما عليه من الاطمار وكسر سيفه البتار وأجرى دموعه الغزار وتقدم الى قبر عنتر وجعل يرثيه بهذه الابيات

يا عين ابكى لعنتر بن شداد * بكاء وفى عبر اشجوها بادى
ويا من رأى بارق قد بدت أرمقه * جاروا على الاسد المعروف بالصادى
أبا الفوارس المعروف أفقده * فقد كان حصنى وركنى عند أضدادى
جميع كل خصال الخير قد جمعوا * زين القرين وخصم الظالم العادى
يا بيبة لا تخشى فكل فتى * يصير رهينا لاسياف وأسوادى

فلا وعينك ما أسلاك يا أملى * حتى يعود من الرمس ابن شداد
أبا الفوارس لو عاينت بالنظر * يبدك شجوا ولا يسمعك من نادى
والله لا زلت ابكى عنترا أبدا * ما سارت الجياد ويجرى به الحادى

(قال الراوى) وما فرغ ذو الخمار من تلك الاشعار حتى تباكت الحضار وقام اليه الجوفران وأجلسه فى أعز مكان ونهض من بعده عامر بن الطفيل وكان قد قتل جلده والخيل وأجرى دموعه كأنها السيل ونحر ثلثمائة ناقة وجمل وقد أراد التقرب الى قلب أولاد عنتر بهذا العمل ومزق أثوابه وعلى بكاؤه وانتحابه وكسر سيفه وقناته وقد تغيرت من البكاء حالاته وتقرب الى القبر وجعل يقول

دمع كما حكم القريض مهتون * ومغرم قلبه بالبين محزون
أبا قبر عنتر هل صح الذى زعموا * مات الشجاع وأضحى بالثرى مرهون
ويلاه وآه يا مولاى لو نظرت * عيناك عبدك لا دنيا ولا دين
مات الامير ومات الجود واندثر * عين الشجاع وعين الصدق مطبون
مات الذى لم تزل راياته أبدا * وسعده بلقاء العز مقرون
مات الذى كان من جود ومن كرم * كمثل من سلفوا والقلب محزون
أعز أبلج محمود علائقه * وعزمه المنتفى والوجه ميمون

(قال الراوى) فلما تم عامر انشاده حتى تقطعت القلوب والاكباد من كثرة البكاء والنواح والتعداد وقام اليه الغضنفر وأجلسه فى مكانه المعروف وشكره وأثنى عليه واذا بصوت قد أفرح الكبود فى بكائه دمدمة ورعود وهو مسربل بأثواب سود فتبينوه القيام والقعود واذا به هانى بن مسعود الكريم الاباء والجدود وكان قد قدم ومعه مال مدود حتى نصره على قبر عنتر الفارس المفقود وشمر عن ساعديه والزنود ونحر ثلثمائة ناقة وخمسين قعود ومزق ثيابه وحث التراب على رأسه وكسر قناته وسيفه وأشار بقول

عم المصائب وطاشت الاحكام * وتهدمت لوفاتك الاعلام

قد كنت أرجوا منك يا عنتر نظرة ✻ فاغتال نحوك حادث الايام
يا من اذا جردت الملوك الى العلا ✻ منحوه بالتقديم والاعظام
يا واهب الآلاف مثلك لم يجد ✻ أبدا وهل يجرى لذاك كرام
من للعشائر والجيوش اذا انقضت ✻ يوم الكريهة للكفاح حسام
من للكتائب واللواكب ناصرا ✻ ومقدم العلياء وهو همام

﴿قال الراوى﴾ ثم قام من بعده الامير عمرو بن معدى كرب وقد أنشد أبيات تقتضى الحزن والحسرات وما بقى أحد فى ذلك اليوم من الفرسان الاجواد الا ورثى الامير عنتر بن شداد تقربا لقلب من له من الاولاد ولولا خوفنا من الاطالة وملال السامع من المقالة لشرحنا جميع ما أنشدت العرب ومارثته به السادات من ذوى الرتب وكان منهم من أنشد وارثى حزنا ومحبة ومنهم من رثاه خوفا وفزعا مما سار لاولاده من الهيبة (قال الراوى) وبعد ما سار لهم من الاشجان قعدوا على بساط العزاء والاحزان والعرب تقدم عليهم من كل جانب ومكان وعنيترة والغضنفر والجوفران لا يقطعون من التفجيع والبكاء لا صبر ولا سلوان قال فبينما هم فى ذلك الشأن واذا بغبار قد ثار وبعد ساعة انكشف للنظار وبان عن فرسان كأنهم العقبان فلما عاينوا الى بنى عبس وعدنان وقالك العربان ترجلت فى عاجل الحال الفرسان وأسرعت نحو الغضنفر والجوفران وقبلوا الارض بين أيديهم وسلموا عليهم وقالوا لهم يا ملوك الزمان قد ورد عليكم هرقل بن قيصر حتى يحضر عزاء والدكم عنتر سيد الفرسان قال وكان السبب فى قدومه الى أرض بنى عبس وعدنان كان عمرو بن الحارث ملك بنى غسان فانه كان كل قليل يأخذ أخبارهم ويكشف آثارهم فسمع انهم قد أفنوا العرب وقهروا الفرسان وأطاعهم القريب والبعيد مما عاينوا منهم من ذلك الهول الشديد فعند ذلك أرسل أعلم الملك بجلية ما سمعه من الخبر قال فلما سمع الملك قيصر بما صح له من أخبارهم فأرسل ولده هرقل يعزيهم فى أبيهم عنتر ويهنيهم بأخذ ثارهم وأمره بعد العزاء أن يخلع عليهم جميعهم على قدر

أحوالهم وكل واحد منهم على قدره الكبير منهم بكبره والصغير بصغره فأجابه ولده بالسمع والطاعة وخرج بالخزائن والاموال من تلك الساعة واصطحب معه الرجال والهدايات والجوار الروميات والخيول العوال وكان ذلك شيئا كثيرا مما يبهر البصر ويحير الفكر وسار ليل نهار الى أن وصل الى دمشق الشام وأقام بها أياما حتى استراح ورحل منها فرحل مقدمه عمر بن الحارث ونبطنا في تلك البراري والبطاح وسار الى أن قربا من الديار وبانت لهما الآثار فأرسل هذه الفرسان يخبر وابني عبس بقدومهم قال ولما سمع هذا عنترة الفشفر والجوفران التقوا بملوك الغربان وأمروهم بالركوب الى ملتقى الملكان فركب شيخ العرب زيد بن الصمة وذو الخمار والعباس ابن مرداس وعمرو بن معدي كرب والاميرهاني بن مسعود وعتبة بن شهاب اليربوعي وكان قد أتى في عقاب الناس وركب أيضا زيد الخيل والملعون عامر بن الطفيل وركبت ملوك السودان وفي مقدمتهم خال عنتر الملك صفوان بن معدان وسارت الى لقاهم حماة القبائل وفرسان العربان والتقت الفرسان بالملك عمرو بن الحارث وهرقل بن قيصر وهو الهما بطول العمر والبقاء واعتذروا لهم عن لسان أولاد عنتر ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى العلم السعدي ونزلت الجيوش ونزل الملك هرقل قريب من قبر عنتر ومشى حتى سار واقف بجانب القبر واتكأ على جانبه وبكى لما وصل اليه وأمر بألف ناقة كاغراقد ساروها معهم فاتكأها ونحرها ﴿قال الراوي﴾ ثم انه بعد ذلك بكى بكاء شديدا وأقبل راجلا يمشي على وجه الصعيد ومن خلفه الملك عمرو بن الحارث فعند ذلك نهض اليه الملك زهير والملك الفضفر والملك الجوفران والاميرعمرو ذو الكلب وزيد بن عروة وياسر وليث الميدان وجميع من كان حاضر ومنهم من مشى والتقى بالملك هرقل الى قدام وقد أجلسوه في أعلى مكان وجلست بين أيديهم جميع الفرسان وأقاموا ذلك اليوم جميعهم يتحدثون فيما صار لهم من الشأن وما فعلوا في عز والعربان قال ولما أصبح الصباح وأقبلت عليهم العبيد والرعيان

وانما

وأتوا اليهم من أبعد مكان وأخبروهم أن قد لاح لهم من الشرق غبار حتى سد الافق غباره فأرادوا أن يرسلوا من يكشف لهم الاخبار واذا بمقدمة فارس قد قصدوهم ولما تقاربوا منهم تبينوهم فعرفوا انهم من بني لخم وجذام وبني شيبان ومن ورائهم الملك المنذر بن النعمان فخرجوا اليهم الملوك والامراء والفرسان وترجلوا اليهم وتلقوهم من أبعد مكان فعند ذلك أمروهم بالركوب وجميع الفرسان والامراء وقالوا لهم اركبوا وسيروا والتقوا ابن الملك كسرى قال وكان لمجيء هؤلاء الملكين سبب عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انه وصل الى كسرى أخبار خارجي قد خرج على الدولة الكسروية وقد ملك البعض من البلاد الخراسانية فعند ذلك أحضر لوزراء والحجاب واستشارهم فيما يفعل من تلك الاسباب وكان يقال لهذا الخارجي بردبك ابن مردشمان فما أشار عليه أحد بشيء الا لوزيره الموبدان وقال له يا ملك الزمان أحسن أن ثبات ملك الا كاسرة من قديم العصر والاوان الا ان أباك اذا عصت عليه العرب ردها بالعجم واذا سطت العجم ردها بالعرب وأنزل بها الهم والرأي انك ترسل الى نائبك على العربان المنذر بن النعمان وتأمره أن يسير الى سائر البلاد لا سيما وقد سمعنا ان عنتر بن شداد قد ظهر له ثلاثة أولاد فيهم أميرة تسمى عنيترة وقد فاقت على سائر الاقران وقهرت الابطال والواحد يسمى الملك الغضنفر والآخر يسمى الملك الجوفران وقد تيسر الامر وانقضى الشغل وهان قال فلما سمع الملك كسرى من وزيره ذلك القول والبرهان فأمره أن يكتب الى الملك المنذر بن النعمان أن يسير الى أولاد عنتر عنيترة والغضنفر والجوفران وكل من في أرض الحجاز من الفرسان فلما وصل الكتاب الى المنذر فرد الجواب بحسن الايراد بأن جميع فرسان الحجاز عند أولاد عنتر بن شداد ولهم مدة ثلاثة أشهر يعملون في غزاة وكل من في تلك البلاد فلما وصل الكتاب الى الملك كسرى وعلم بما تم من ذلك الامر وما جرى فقال وحق النار والنور وتربة جدي ثابور يجب علينا نغزي عليهم ونقيم بجماعة أصحابنا لانه عنتر كان له علينا خدم كثيرة وعلى

أبائنا فقال له الوزير هذا رأى صائب فعند ذلك أمر بتجهيز العشائر والكتائب ورسم لهم بالتشاريف والخيول الخاص والجنائب بمراكب الذهب لاجل أولاد عنتر وخلع كثيرة لاجل الفرسان ثم أمر ولده وكان يقال له جرد بردبان يسير الى الحيرة ويأخذ المنذر ويسير هو واياه الى بنى عبس لاجل العزاء لاولاد عنتر ويهنيهم بأخذ ثاردم ويخلع عليهم الخلع السنية ويهنيهم بمناظرهم من علو المنزلة والشجاعة فعند ذلك أجابه بالسمع والطاعة ثم تجهز ورحل من تلك الساعة وقد رفعت على رأسه الاعلام والرايات ودقت بين يديه الطبول والكوسات ونشرت له الرايات والازدهارات ولم يزل حتى وصل الى الحيرة وهو بتلك الصفات فخرج الملك المنذر الى لقاءه وقد دارت من حوله أكابر دولته وترحب به وحياه ونزل عنده فى قصر المملكة وأقام فيه ثلاثة أيام والملك المنذر يزيد له وجيشه فى الضيافات والاكرام وبعد ذلك رحل طالبا أرض الحجاز ومنازل بنى عبس وتلك المفاز الذى هى موصوفة بأرض الشربة والعلم السعدى ولم يزالوا فى سيرهم مجدين حتى قربوا من ديار بنى عبس وهم على ذلك المعنى وسبق المنذر اليهم وبشرهم كما ذكرنا فقامت الملوك والامراء وساروا الجميع الى ملتقى ابن الملك كسرى وقامت الجيوش والعشائر من العرب والعجم وكان فارس مقدم وملك شاهم هو قال لراوى فعند ذلك دقت الكوسات والطبول وانزعجت الارض عرضا وطولا وترجلت العالم واصطفوا صفين واتفرقوا دهليزين ثم ترجل الملك هرقل بن قيصر ومشى الملك الجوفران وأخيه الغضنفر اليه فعند ذلك حلف عليهم الملك هرقل انهم لا يترجلوا فأبوا عن ذلك وحلفوا عليه لا يسير الى الخيام الا وهو راكب معزة فيه وقبلوا يديه فانحنى ابن كسرى اليه وقبل رأسه الجوفران وبين عينيه وبالركوب أشار عليه فعند ذلك ركبت الملوك والفرسان وساروا يمشون للمكان وهم راكبين الى جانب بعضهم فى تلك الفلوات والقيعان الى أن وصلوا الى أرض الشربة والعلم السعدى والملوك والامراء والفرسان بين

أيديهم ولا احد منهم يعبد ولا يبدى قال وتقدم ابن الملك كسرى الى ان وصل الى قبر عنتر وترجل وكذلك ترجل ابن الملك قيصر وكل من حضر فى ذلك المقام حضر وأمر ابن الملك قيصر ان يذبح على القبر ألف ناقة من النوق العصافير وأقبلى بعد ذلك على بنى عبس وحياهم الكبير منهم والصغير وسعى اليه الملك زهير بن قيس على أقدامه وقبل الارض بين يديه ومشى قدامه وكذلك الغضنفر والحوفران وبقية حماة القبائل والفرسان وتلقوه بالرحب والسعة وأكرموه غاية الاكرام وما منهم الا من سعى بين يديه ماشيا على الاقدام ونصبوا له كرسى عالى فجلس عليه وسائر الفرسان والامراء واقفين بين يديه وسائر الملوك تتقرب الى قلب أولاد عنتر بكل ما يصل أيديهم اليه قال فعند ذلك نهض الملك المنذر على قدميه ومشى الى عند قبر عنتر وأشار اليه وبكى بكاء شديد ما عليه من مزيد وأنشد يقول

حل المصاب ففى الفؤاد تأسا * لزلزلة قدمت وحل البؤسا
بفقد شجاع الحرب عنتر بالها * من نكبة وفجيعة وعكوسا
فلما مضى فكم أسال مدامعا * حزنا عليه وكم أذاب نفوسا
أسفى على من غاب عنى شخصه * تحت الثرى فى مهمد مرموسا
قد بكت السماء لفقده ولموته * دما وأصبح عيشنا منكوسا
هوت النجوم الزهر عند مصابه * والافق أظلم وانكسف شموسا
والبدر منكسفا غدا فى تمه * حزنا وقد أمسى بأعظم بؤسا
خلت المرا كب والمواكب من فتات * عبس وفارق ربعه المأنوسا
يا آل عبس قد فقدتم فارسا * كم قد فنا جمعا وفك حبوسا
مردى الفوارس عند مشتجر القنا * يوم النزال وكم أطاح رؤسا
قد كان ليثا فى الحروب غضنفرا * حامى العشيرة فارسا محروسا
ويل لعبس ما لقت من بعده * ذلا ونهبا من ليوث شوسا
قد طال ما صان الحريم من العدا * من بعد ما تركوا الديار هموسا

أرداهموا بحسامه وسنانه * وسقاهموا باسمر مركوسا
قد كان ذا رأى مصيب وقوة * ومقامه بين الرجال نفيسا
فلا بكين عليه ماهب الصبا * بدامع تجرى وتروى العيسا

قال الراوى فلما فرغ الملك المنذر من ذلك الشعر والنظام قام اليه شيخ العرب دريد بن الصمة والامير هشام بن مسعود وجماعة من الفرسان وأجلسوه الى جانب ابن كسرى فى أعلى مكان والى جانبه الآخر الملك هرقل بن قيصر والغضنفر والملك الجوفران ثم انهم بقيوا على ذلك أياما وهم فى أكل طعام وشرب مدام وخيرات وأنعام ثم ان ابن كسرى أمر باحضار الخلع ليخلع على فرسان العرب فلما حضرت أخلع على الملك زهير خلعة سنية وعممه بعمامة خز كوفية وأركبه على جواد بمركب ذهب وكذلك دريد ابن الصمه لاجل كبره وتوقيره ولاجل تقدمته على الفرسان وأخلع على الملك الغضنفر والملك الجوفران وكانوا خلع بالذهب حسان ثم أرسل الى أختهم الاميرة عنيترة خلعة سنية غالية الاثمان لانها كانت منعزلة فى غير ذلك المكان وكذلك أمها الهيفا قناصة الرجال لانهم كانوا مجتمعين هم والملكتين أم الغضنفر والجوفران الذى هما كانا نساء عنتر فى قديم الزمان وقد طوق للملك الجوفران بطوق من الذهب وبعد ذلك أخلع على ملوك العرب وأخلع على كل فارس منتخب ولم يدع أحدا من الامراء ولا من الفرسان حتى شرفه بذلك التشريف وخلع عليهم الخلع الحسان قال واما كان بعد ثلاثة أيام أمرهم هرقل بن قيصر باحضار الخلع الحسان وما كان أتى معه من الانعام وخلع على ملوك بنى عبس وقد ابتدء بالملك زهير والجوفران والغضنفر وبعدهم أخلع على بقية الفرسان وعلى ملوك العربان وعلى حماة الجيش وكبراء العشائر على حسب التدريج من الشجعان وكذلك أرسل الى الاميرة عنيترة خلعة سنية غالية الاثمان وأنفذ لها خلعة كذلك لتخلع على من عندها من النسوان مثل أمها الهيفا وضرتها بنت أخو الملك زهير وكذلك أم الملك الجوفران وكل من عندهم من النسوان الذى

لملوك العرب والفرسان وفعل الملك هرقل كما فعل ابن كسرى أنوشروان
وزادهم على ذلك أضعافا لاجل ما بينهم من المعرفة من قديم الزمان وأيضا
فعلت نيابهم ما قدروا عليه من الاحسان وهما المنذر بن النعمان والملك
عمرو بن الحارث الغسانى فاستبشرت بذلك جميع العربان الرجال منهم
والنسوان وفرحت بذلك جميع الشجعان وخلعوا عنهم ثياب الاحزان
وكان لهم على ذلك عشرة أيام وقد استغنت من كثرة الاموال الفرسان
ورتعت فى تلك النعم الامراء والعبيد والغلمان والشيوخ والشبان وفضوا
العزاء ومضى كأنهما كان وتفرقت بعد ذلك الجموع كأنهم لم يكونوا
فى ذلك المكان قال وبعد ذلك أحضر ابن كسرى الى بين يديه الغضنفر
والجوفران وأظهرهم على أمر الخارجى الذى خرج على أخيه من أرض
خرسان وقال لهم اذا أرسل اليكم لا تتخلوا عنه أنتم ومن تقدروا عليه
من العربان فأجابوه بالسمع والطاعة هم ومن معهم من الفرسان ثم رحلت
الملوك كل واحد طالب أرضه ومن له من الاطلال وأيضا حماة القبائل
وماتحت أيديهم من الابطال وبقيت بنى عبس هادين المسرمستريحين
من القتال مدة أيام وليالى وهم فى الولائم يرتعون وقد خافت جميع العرب
من بعدهم ومن اقترب وعاد عزهم أقوى ما كان وأخلف عليهم الزمان
بأولاد عنتر وهم عنيترة والغضنفر والجوفران وقد سارت بنى قراد أحسن
ما كانت على أيام حاميتهم عنتر بن شداد وكذلك لاجل خلفته لهذه الثلاثة
اولاد الابطال الشداد وأقاموا على ذلك الحال مدة من الزمان وهم فى أمان
واطمئنان وبعد ذلك اشتاق الملك الجوفران الى بلاده وماله من الاوطان
وكذلك والدته زادها الهيمان لان ما أعجبها ذلك الفلا ففضوا أشغالهم
وأرادوا السفر فشاور فى ذلك أخوته عنيترة والغضنفر فما قدر أحد منهم
يعارضه فيما أمر فعند ذلك أراد الغضنفر يفعل كما فعل أخيه ولما خطر له
ذلك الخاطر الذى به قد خطر فشاور والدته فى ذلك فكانت اليه أسبق
لانها قد اشتاقت الى أرضها وبلادها وقد أخذها القلق وكانت الى قلقها

أشوق فاتفق الامر على ذلك الحال وفى ساعة الحال أمروا باحضار النياق والجمال وحملا اموالهما ومتاعهما وما لهما من الاثقال بعد ما شاوروا الملك زهير فلم يتعرض لهما بحال من الاحوال ﴿قال الراوى﴾ وساروا وقد خرج الى وداعهما جميع من فى الحلة من الرجال وسائر الابطال وساروا لوداعهما ثلاثة أيام وبعد ذلك وقفا أولا دعنتر فى ذلك البر والاكام وحلفا على بنى عبس وردوهما الى ديارهم والمقام لان آخر الوداع الرجوع والمفارقة بعد الالتمام وسار كلا منهما فى طريق يريد منازله والاطلال وعادت بنى عبس طالبة ديارها الرجال منهم والابطال ولكنهم لم يمروا على حلة الا ونهبوها ولا أموال الا وكسبوها الى أن اجتمع معهم غنائم كثيرة وكانوا يفعلون ذلك الفعال فيمن تبقى من أعدائهم ويروا فيه الصواب والخيرة ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون البرارى والقفار الى أن قربوا من الديار ونزلوا وباتوا على بعض الغدران والانهار وقد وكلوا بالغنائم التى غنموها أربعمائة عبد من العبيد الذى لبنى عبس وعدنان وأيضا جماعة من بنى قضاعة الشجعان قال ولما نزلوا فى تلك الارض واستقروا والاكل الطعام مع بعضهم بعض واستراحوا الى الصباح فعزموا بنى عبس على السفر والرواح فافتقدت العبيد الموكلين بخدمة جواد الملك زهير فما وجدوه ولا عرفوا من أخذه وقد فقدوه فهاج الجيش والتذهل كل أحد وتحير فقال الملك زهير والله لقد تم علينا ما يتم على الحضر فقالت عنيترة أيها الملك لا تحزن ولا يأخذك من ذلك فكر فوحق خالق الخلق ومنبع الماء من الحجر الذى أخذ الجواد لو طار فى السهل والوعر لا ذيقنه الموت الاحمر فعند ذلك نهض جرير وقال للملك زهير لا تحزن فما أخليك ترحل من هذا المكان الا وجوادك تحتك فاما أن أقع به وبمن أخذه فيكون بسعادتك وبختك ثم ان جريرا تحزم وتعمم وكذلك فعل الخزروف الآخر وتعمم وتحزم ثم ان جريرا قال لعنيترة يا ابنة الاخ لا ترحلون من موضعكم حتى آتيكم بالجواد وبمن أخذه ولو طفنا سائر البلاد ثم انه أخذ معه ابن أخيه الخزروف وسار طالب الاودية والاوعار

وهو مثل الطير اذا طار والى جانبه الخزروف وكل من رآهم لا يظن أنهما من الانس بل من الحمار لانهما كانا معدومين المثال وسارا بسرعة قصا الآثار ويقتفي الاخبار ليلا ونهارا مدة ثلاثة أيام ولما كان في اليوم الرابع ظهر لهما أثر جواد طالب صوب ديار بني ضمرة فلما نظر جرير والخزروف ذلك فرحا وعلما انهما على سفرة مباركة قال عند ذلك جدا في المسير وغدا غدوا يعجز عنه الطير الذي يطير واذا بفارس وهو سائر أمامهما فلما نظراه تبعاه وأخفا حسهما الى أن مضى من الليل الاكثر وقد كل ذلك الفارس من السير والسفر ونزل على بعض الغدران وهو قد أمن من نوائب الزمان وعلق على جواده وقد اطمأن قلبه وفؤاده فعند ذلك وثب جرير والخزروف الى عند الجواد واذا به جواد الملك زهير والسلال الذي أخذه قاعد على جانب الغدير وهو يغسل في يديه ورجليه وله وجه مثل القمر المنير فتبينه جرير واذا به شاب أسمر عطر كأنه فلقة قمر لانبات بعارضيه فعند ذلك لاحت من السلال التفاتة فنظر جرير والخزروف وقد رمقهما بعينيه فطار الشرر من مفرقيه ووثب قائما على قدميه وأخذ خنجره بيده وحمل على جرير والخزروف وقلبه عليهما مملوء ﴿قال الراوي﴾ هذا والخزروف وجرير لما نظرا الى ذلك السلال وقد طابهما أخذا أهبتهما للهجوم عليه ووصول الاذية اليه وأخذ جرير عن يمينه والخزروف عن يساره وكل واحد منهما يجتهد في قتله ودماره ونظر السلال ذلك الحال فعلم انه في مقام الخطر مع هؤلاء الاثنين على فقال السلال في نفسه لابد أن آخذ معهما في القتال الى أن يصبح الصباح ويبان الاودية والبطاح وأنهزم من قدامهما وأطلب الرواح وان نصرت عليهما أكن من الرجال الاوقاح ثم ان السلال خرج عن الاثنين وواسع في الميدان ولهما بين يديه مثل العصافير اذا لتهم العقبان واخذا في الضرب والطعان وساريهم وقدامهما مثل همزات الغزال وكلما طلبه جرير ليضربه فلم يجد له خيال وكلما طلب الخزروف ليضربه فلم يجده قدامه ولا رأى لهما مثال فحار الاثنان في طلب السلال وهجمه

عليه هجمة أسود الدحال وانقضاعليه كما ينقض الجارح على الحمام وكان مرادهما أن يسقوه كأس الحمام ولما نظر السلال الغدر من الانسان خرج من بينهما أسرع من لمحة العين وطلب مقدم الفضاء وطار يخافقين فلم يرا غبار وقد اختفى فى أقل من ساعة عن الابصار ولا أدركه أعين النظار فحار الخزروف وعمه جرير من ذلك الحال وقال ما هذا الا من الجن ولا هو أبدا من الرجال فقال الخزروف لعمه جرير والله ياعم ما هذا من بنى آدم بل هذا بلاء مبرم فوحق بارئ النسيم ومخترع الاشياء من العدم لا سمعت ولا رأيت مثل هذا فيمن مضى وتقدم ومابقى فى الاثر الا ان نأخذ جواد الملك زهير ونعود به الى صاحبه لانه عنده أعز من أهله وقرابته وهو عنده غاية مراده ويكمد أعداءه وحساده قال فلما سمع جرير كلام ابن أخيه رآه صواب وأمرا يعاب فقال له نعم ما قلت يا ابن الاخ ثم انهما رجعا الى الجواد وهو واقف بعلائه فى لجامه وقد نحل حزامه فشد عليه سرجه وساربه معهما من وقتهما وساعتهما ولم يركبا أحد منهما بل سارا مشاة والخزروف ماسك بالجواد وقد أتعبه من السير فى البرارى والوهاد ولم يزالا سائرين ليلا ونهارا مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلع عليهما غبار حتى سد الاقطار ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى ذلك الغبار ان السلال الذى سرق الجواد من جيش بنى عبس وبنى قضاعة وطلع به فى أقل من ساعة كان هذا السلال يقال له عمرو بن أمية الضمرى وكان قد نشأ فى بنى ضمره ولم يعرف له أب وكان قد انتشا فى بيت عطارد ملك بنى ضمره وكان عنده بمنزلة عظيمة ولما انتشا وكبر خرج منه نار محرقة وصاعقة مبرقة لا يخمد لها نار ولا يعدله على عيار وهو فحل جسور وليث صبور ومقدم على كل الامور لا يهاب الرجال ولا يبالى بالابطال قال وكان هذا الجواد الذى نحن فضاله كان قد أخذه من بنى نبهان من خيل المهلهل وكان قد وصف بين يدى عطارد سيد بنى ضمره وكان لا يتعاقل عنه مره بعد مرة وكان اسم ذلك الجواد المطال وكان لا يوجد مثله فى سائر الاطلال ولما أعيت عطارد الحيل

فى أخذ

في أخذ ذلك الجواد امتنع من جفنه الرقاد وأوعد السلالين بالاموال والنوق والجمال فسارت الى بني نبهان الرجال فما نال أحد منهم منال ولا بلغ مراده من كثرة العبيد التي متولية خدمة ذلك الجواد وقد تعبت السلالين والقصاد وسمع عمرو بن أمية ذلك الكلام من الرجال والنسوان والاطفال بأن ملك القبيلة لم يلتذ بمنام على ذلك الجواد المطال فلما سمع ذلك دخل على عطارد وقبل الارض بين يديه فضحك عطارد في وجهه وسلم عليه وقال له ما حاجتك يا أمير عمرو فقال له أيها الملك بلغني من بعض الرجال ان في قبلتك ثمن الجواد المطال فقال الملك عطارد صحيح ما سمعت وأنا قد أحرمت الطعام وامتنع من جفني لذيذ المنام فقال له أيها الملك الهمام وحق من حلل الحلال وحرم الحرام أنا آتيك بالجواد ولو ان حوله قوم ثمود وعاد فقال له عطارد وحق ذمة العرب كنت أشاركك في مملكتي وأقاسمك في نعمتي فلما سمع عمرو ذلك الكلام تحزم وترسم في عاجل الحال ضرب له لثام وخرج من قدام الملك وشق بين المضارب والخيام ولما توسط البرطلع يجري مثل ذكر النعام وتم سائر يقطع البراري والآكام مدة خمسة أيام وفي اليوم السادس وصل الى ديار بني نبهان ونزل على بعض الغدران وأقام ينتظر قدوم الليل وفروغ النهار فالحق يجلس الاوغار من قدامه قد على وسد الاقطار وأظلم منه ضوء النهار وكان ذلك الغبار غبار بني عبس وبني فضاعة وقد وصلوا الى ديار بني نبهان في تلك الساعة لانهم بعد ما ودعوا الامير الغضنفر والجوفران وعادوا راجعين عطفوا على بني نبهان كسروهم وقتلوا الرجال وسبوا النسوان ونهبوا العبيد والغلمان وأخذوا المال والخيل والجمال ووقع من قسم الملك زهير الجواد المطال جعله له مركوب وقد فرح به ونال المطلوب وكان الذي أتى به عنيترة بنت عنتر لانه رأته جواد ما ملك مثله كسرى ولا قيصر فلما أخذ زهير الجواد نال به غاية القصد والمراد وساروا بعد ذلك طالبين الديار والاوطان فتبعهم عمرو بقوة جنان ولم ينزل تابعهم ثلاثة أيام ولما كانت الليلة الرابعة شق عمرو بين المضارب والخيام وتخطى

رقاب العبيد والخدام الى ان وصل الى المضرب الذى فيه الجواد فرأى حوله
خمسة وعشرين عبدا أنجاب فذبح منهم عشرة وهم الذى نائمين فى اطريق
وأعدمهم السعدة والتوفيق وسحب الجواد وتخطى به المضارب والخيام الى
أن صار خارج البيوت وهمز الجواد فطار به كأنه هبوب الرياح ولم يزل سائر
الى أن أصبح الصباح وقد أمن على نفسه بهلول النهار فى ذلك البطاح الى
الليلة الثانية وكذا الليلة الثالثة لحقه جرير والخزروف وهو على ذلك الحال
وقد نزل على الغدير يستريح من المسير وجرى لعمرو ما جرى مع الخزروف
وجرير وكان قد قرب من ديار بنى ضمره فساق عمرو ساعة من النهار حتى
وصل الى الديار وأوقع النفير وحثهم على المسير وسمع عطارد ملك القبيلة
بما جرى لعمرو من الخير فصاح الخيل يا أرباب الخيل العجل العجل قبل حلول
الاجل فما كانت غير ساعة حتى ركبت فرسان بنى ضمره وركب معها
عطارد وسار فى خمسة آلاف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس وساروا
يجدون المسير خلف الخزروف وجرير مدة ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع لحقوا
جريرا والخزروف وهما نزول على بعض الغدران وهما يظنون انهما نجوا
من نوائب الزمان فلما نظرا الخيل دارت بهما من اليمين والشمال وأحاطت
بهما الابطال فى ساعة الحال ومسكوا الخزروف وعمه جريرا وأخذوا الجواد
وأقاموا بنى ضمره ذلك اليوم ولما كان عند الصباح ركب الملك عطارد ودارت
من حواليه بنى ضمره الاقران وساروا طالبين ديارهم والملك عطارد أفرح
بأسر جرير والخزروف وأخذه الجواد وهو كأنه ملك الدنيا بطرفيها
واحتوى على كل من فيها وشد جرير والخزروف على جوادين بالعرض
وساروا يقطعون الارض ليلا ونهارا الى ان وصلوا الى الديار ونزلوا وقرهم
القرار وقد ربط الملك عطارد جريرا والخزروف فى بعض الخيام وكل بهم
العبيد والخدام وأقاما فى الشد ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع دخل
عليهما بعض النساء وبينهن واحدة كأنها بدر التمام مليحة القد والقوام
قال الراوى ولما دخلت المضرب الذى فيه جرير والخزروف ورأتهما

فى ذلك الحال وتبينت وجه الخزروف لحقها الانذهال وتساقطت دموعها بالانهمال وأرمت روحها عليه وقبلته بين عينيه وغشى عليها فعند ذلك ضمها الخزروف الى صدره وتبينها واذا هى زوجته التى تزوج بها فى ديار بنى سعد لما غار روضة بن منيع على بنى حمزة وأخذ الخزروف أمية بنت اللات عطارد وقد ذكرنا فيما تقدم وكيف غزت بنى حمزة على بنى سعد وأخذ عطارد ابنته وكيف هرب جرير والخزروف والتقوا ببنى عبس وكانت أمية حملت من الخزروف ولما بقت فى ديارها وقر قرارها ما مضت عليها غير أيام قلائل حتى وضعت أمية غلام ذكر كأنه فلقة قمر فحبه الملك عطارد لانه ابن ابنته وأمعن فى تربيته الى أن انتشى ودب ومشى وخرج منه نار محرقة وصاعقة مبرقة وكأنه ساعى معدوم فى زمانه وكان فارس خيل وخاطر الليل سلال محتال واذا ركب ظهر الجواد يقهر الابطال وان طلبته الخيل لا يلحق له غبار ويسبق فى جريه الطير اذا طار وأقام الى أن سمع جده عطارد بالجواد المطال وغلب فى سله كل سلال وسمع عمرو بذلك فسار وأخذ الجواد من بنى عبس لما نهبوا بنى نبهان وسار جرير والخزروف فى طلب الجواد وأخذوه من عمرو ولحقوهم فى الطريق أعدموهم السعادة والتوفيق وساروا بهم الى ديار بنى ضمره وسمعت أمية بذلك فأخذت معها ثلاث جوار ودخلت على الخزروف وجرير فلما عرفته وقع بها الانذهاش والتحير وعرفته معرفة خبير فوقعت فى صدره وقد حار الخزروف فى أمره وعرفها الخزروف وقال لها أنت أم عمرو فقالت نعم أنا زوجتك وعمرو ولدك وهو منك وأنت منه ثم انها خرجت من وقتها وساعتها ودخلت على أبيها وعرفته بالحال وقد شكت اليه ما عندها من البلبال وكان أبوها كان علم انها تزوجت فى بنى سعد بالخزروف ولكنه لم يعرفه فى غير تلك الايام وكانت لما انها جابت عمرو وكبر ذكر وان أبو دمات فى بعض الغزوات وكانت أمه تخاف أن تعرفه بأبويه خالها ويمضى اليه وتبقى طول عمرها متحسرة عليه فكتمت أمرها الى أن جرى ما جرى للخزروف وأتى الى ديارها فهاج عشقه

وبلبا لما وقد ذكرنا فيما تقدم انها حبت الخزروف محبة عظيمة ولما سمع أبوها كلامها بعث فى الحال خلف عمرو وقص عليه ذلك الامر وقال له ياولدى هذا الذى عندنا أسيرفهو أبوك واثانى عمه وهما من أخر العرب حسب ونسب هذا الخزروف بن شيبوب أخو عنتر الذى مات وذكره باق مابقت الشمس والقمر فلما سمع عمرو ذلك الكلام من عطارد انذهل وتحير وخرج طالب المضرب الذى فيه الخزروف وقد فرح واستبشر ولما دخل عليه ورأى أبوه وقع فى صدره وقد حار الخزروف فى أمره وبعد ساعة اتت العبيد والخدام ومعهم الخلع والانعام وقد حملت العبيد الخزروف وعمه جرير وقد لحقهم من ذلك الامر التحير هذا وقد ركبوهما على ظهور الخيل ومشى عمرو فى ركاب أبوه الخزروف وقلبه فرحان ملهوف ومازال كذلك الى أن وصلوا الى مضرب الملك عطارد فخرج بنفسه وتلقاهما ولما رأى جرير والخزروف الى ذلك الحال ترجلوا واعتنقوا ببعضهم البعض ودخل بهم الى المضرب وأجلسهما الى جانبه وقد وقفت فى الخدمة اهله وقرائبه وعملوا الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وكان عمرو بن أميه الضمرى سامحى ركاب رسول الله عليه السلام وهو ينسب الى أميه لان أباه مارآه الى أن كبر وكان اسمه بين السعاة عمرو بن أمية الضمرى يعنى يعرف ببنى ضمره واقام جرير والخزروف عندهما ثلاثة أيام وهو فى نعيم زائد وعيش راغد وبعد ذلك اشتاق جرير الى أرض الشربة والعلم السعدى فقال لابن أخيه الخزروف يابنى أنا اشتقت الى الديار فقال له الخزروف ياعم أنا كل يوم عندى مقوم بعام ورب الملك العلام ثم ان الخزروف دخل على أمية زوجته بنت الملك عطارد وكان أبوها أنزلها هى وبعلها فى أعز مكان وجعل لهما ضارب وخيام وخيول وجمال وعبيد وخدام ونوق وفصلان وبقى الخزروف كأنه ملك من ملوك الزمان ولما دخل على زوجته وأعلمها انه اشتاق الى أهله وعشيرته وانه يريد يسافر هو وعمه جرير فقالت له زوجته وأنا أروح معك الى أهلك وولدك فأعلم الخزروف ولده عمرو بذلك فقال له ياأبتى أنا مابقى صبر على فراقك

وبقيت كل ساعة أشتاقك ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الخزروف ذلك الكلام من ولده وزوجته خرج من عندهم وأعلم عمه جرير وقال له ياعم انا شاورت زوجتي وولدي على المسير والسفر فقالوا انا معك نسير ففرح بذلك القول جرير وقال له ياولدي لابد لنا انا نشاوره ونعرك في ذلك فقال الخزروف الليلة أخلي ابنته تشاوره في ذلك الحال ولما كان عند المساء أقبل جرير الى مضربه وسار الخزروف الى عند زوجته وقال لها هل أعلمك أبوك عن حال السفر فقالت له نعم وقد قلق لاجل فراقك وقصير وقال لي ياابنة أنا أعلم ان بعلك فارس الخيل وخائض الليل وكذلك بني عمه بني عبس الفرسان الكرام الذي تسميهم العرب فرسان المنايا والموت الزوام وما منهم الا كل فارس همام وبطل درغام لاسيما وقد سمعت انه قد انتهى فيهم الى عنترة بنتا اسمها عنيزة وقد قهرت الشجعان وأذلت الفرسان والابطال وأعادت ملك بني عبس مثل ما كان فان اختار زوجك أن يأخذك معه فأهلا وسهلا وقلبي يكون عليك في أمان عظيم اذا كنت في ديار بني عبس وعدنان وقد اذن لي أبي معك في السفر والمسير ولا بقي هناك عاقة ولا تقصير ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع الخزروف من زوجته ذلك الكلام فرح واتسع صدره وانشرح وقال ياأمية يكون السفر بعد ثلاثة أيام لاني لاجل الوطن قد احترمت المنام فقالت له زوجته ما بقي لك أبدا عاقة وان اشتهيت يكون السفر في هذه الساعة ثم انها قامت من وقتها وساعتها دخلت على أبيها وأعلمته بذلك ﴿ قال الراوى ﴾ فأمر العبيد والغلمان بالتجهيز الى ديار بني عبس وعدنان فأخذت أهبتها وبعد الثلاثة أيام عزموا على الرحيل وخرج الملك عطارد بنفسه وقد حمل جهاز ابنته على ستين جمل وجعلها في هودج عظيم من العرعر ومعها اثني عشر جمل محمل فوقهم البنات والجواري والخدام والاحرار وأرسل معها الف فارس ما منهم الا كل مدرع ولابس ومعها خمسمائة من النوق والجمال وثلثمائة خيل وبغال وأربعين جارية خمسين عبد وكان نعر ومقدار ألف ناقة ومائة عبد وخمسين جارية خلافا

عما ذكرنا لامية وسار الملك لوداع ابنته وقد ركبت لوداعها أهله وعشيرته وشدوا الاحمال على الجمال وساروا مدة ثلاثة أيام وليال وحلفوا على الملك عطارد وردوه الى دياره بعد ما ودع ابنته وابنها والخزروف وجرير وعمه وساروا طالبين أرض بني عبس وقد طاب لهم المسير والخزروف فرحان بما أعطاه الملك المنان الذي لا يشغله شان عن شان الى أن وصلوا الى الديار ورقوا بني عبس ذلك الغبار الذي قد سد الافق والاقطار من كثرة الخيل والجمال والبنات والعبيد والاحرار فظنوا انه بعض الاعداء فأعلموا فضالة والاميرة عنيترة بذلك فصرخ زهير في بني عبس فما أمكنته عنيترة من ذلك بل قالت له يا ملك ما هذا صواب وتضيع هيبة الملك بل أنا اركب وأكشف لك الخبر فان كانوا أعداءنا أفنيناهم وان كانوا أصدقاءنا فيا بشراهم فلما سمع فضالة هذا الخطاب رآه في غاية الصواب ثم ان عنيترة ركبت في عاجل الحال وركب لركوبها ألف فارس من الشجعان ﴿قال الراوي﴾ لهذه السيرة الحجازية العجيبة وما سارت غير ساعة واحدة حتى التقت بهما جرير وقد تقدم ليعلم بني عبس بما وصل اليهما من النعم والمال والجمال وغير ذلك فلما وقعت عينه على عنيترة وقربت منه عرفته وترجلت في الحال ونزلت عن جوادها ونزل هو الآخر أيضا عن جواده واعتنقا الاثنان وسلما على بعضهما بعض وما افترقا حتى وصل الخزروف وما معه من ذلك المال الجزيل والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وسلموا على بعضهم البعض بعد ما ترجلوا على وجه الارض وعادوا بعد ذلك الى ظهور الخيل ولم يزالوا سائرين الى أرض الشربة والعلم السعدي وكانت عنيترة أرسلت بعض العبيد على الملك زهير ﴿قال الراوي﴾ فركب في ساعة الحال وانتقاهم في أطراف البيوت فتذكر جرير ما تقي الملك لاخيه عنتر فقال سبحان الحي الذي لا يموت أبدا ودخلت القوم الى داخل المضارب وقد أمنوا من النوائب والتقت الاحباب بالاحباب وأوت بني عبس الولائم ورتع فيها القاعد والقائم وطافتهم جميع العباد وصاروا أحسن

ما كانوا قبلا في أيام عنترة بن شداد وأحيون ذكره بعد مامات وشاع ذكر عنترة بكل الحلات وسارت عنترة تركب وفي خدمتها مائة جرير أيضا بالخروف وعمرو بن أمية المعروف وبقت سائر النساء والرجال المشوف لاجل مافيه من البهاء والجمال وقد افتتن بحسنه النساء والرجال وسارت تركب الركوب عنترة أربعة آلاف فارس من بني قضاعة وعمرو بركب في ألف فارس من بني ضمرة ورحلت من عندهم العربان وقد أمنوا من معروف الردا وقعدوا في ديارهم وقد أمنوا وقر قرارهم وداموا على الافراح والمسرات واغتنام اللذات ﴿قال الراوي﴾ ولما رحلت العرب وأقامت بنو عبس في ديارهم فقال جرير لعمرو عم يابني اني كبرت في ورادي أسير الى مكة المشرفة وأزور البيت الحرام وأجدد عهدي برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرو وأنا أسير معك ثم ان عمرو استأذن أبوه في المسير مع عمه جرير فأذن له في ذلك ﴿قال الراوي﴾ فساروا الاثنين الى أن دخلوا الى مكة فوجدوها قائمة على قدم وساق وقد زاد فيها الارعاد والابراق ونظروا الى جموع غزيرة فسألوا عن السبب الموجب لذلك فقيل لهم بمكة رجل اسمه محمد يدعي النبوة وقد قاموا عليه أهل مكة وقريش ونفروا عن كثرة أيهم ومرادهم يسيرون الى عند حبيب بن مالك يشكون له من أمره فقال جرير لعمرو سيروا بنا معهم حتى نراه ونعلم السبب ونظر مايجري له مع العرب فعمروا بجملة من نفروطلعوا مع أهل قريش وهم غارتين في السلاح ﴿قال الراوي﴾ وكان السبب في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي في الفلاه فكان يتعبد في غار حرا الى أن بلغ أربعين عام ونزل عليه أمين الوحي سيدنا جبرائيل عليه الصلاة والسلام فعلمه أول آية نزلت في القرآن العظيم وهي اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال ألست بقارئ فقال ان الله سبحانه وتعالى أرسلك رحمة للعالمين وأنت رسوله الامين وأنا جبرائيل وان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تبلغ قومك وتنذرهم وتأمرهم أن كل معبود من دون الله تعالى فهو باطل ﴿قال

الراوى ﴿ فرجع النبى صلى الله عليه وسلم وجميع ما مر عليه من حجر ومدر وشجر ورمل والجميع يقولوا الصلاة والسلام عليك يا رسول الله فبلغت فما يرى غير المذكورين فرجع الى بيت خديجة الكبرى رضى الله عنها وأخبرها بذلك فقامت و راحت الى خالها ورقة بن نوفل وكان على دين خليل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان حكيما عارفا فأحكت له على ما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا خديجة ان كان ذلك وقع له فانه هو الرسول الاعظم والنبى المكرم المنتظر فى جميع الكتب و بشرت به جميع الاحبار فأول من آمن به من النساء خديجة بنت خويلد وصدقت برسالته وأول من آمن به من الشيوخ سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأول من آمن به من الصبيان سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه وأول من آمن به من العبيد بلال بن حمامة وكان أصله عبد لامية بن خلف رأس الكفار فلما علم باسلام بلال صار يعذبه بعد ما يكتفه فى رمضاء مكة فيمر عليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فيسمعه يقول الله أحد فيقول له يا بلال ان لم ترجع عن هذا الكلام والا أجعلك مطروح بالآكام فلما سمع أبو بكر الصديق رضى الله عنه ذلك الكلام توجه الى سيده أمية بن خلف فقال له الى متى تعذب هذا المسكين فقال له أعطينى عبدا من عبيدك وخذه وكان عند أبى بكر الصديق عبد مجبر وهو مقيم على كفره فلم يسلم أبدا فدفعه اليه وأخذ بلال عوضه وعتقه وكان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذو صوت حسن وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين وهو يعرض نفسه على قبائل العرب من الموسم الى الموسم ويقول هل فيكم من يحمى ظهرى حتى أبلغكم رسالة ربى فيأبون عن ذلك فأنزل الله عليه و انذر عشيرتك الاقربين ﴿ قال الراوى ﴿ فجمع النبى صلى الله عليه وسلم عشيرته وعومته ودعاهم الى عبادة الملك الديان وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان فشاع ذلك الكلام كله بمكة المشرفة وأظهروا له العداوة والحقد والحسد قال

أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بينما أنا ذات يوم من الايام خارج من شعب بنى مخذوم اذ لقينى أبو جهل بن هشام لعنه الله فقال لى يا عتيق ان صاحبك محمد جمع قومه وعشيرته وأهله وأقرباءه ولم يتبعه وليس يقول انى سيد وأمير حتى أدعى النبوة وقال انى نبى مبعوث من اله السماء وحق اللات والعزى والجبل الكبير الاعلى لان داوم على قوله هذا ليكونن ذلك وبالا على قومه وعشيرته وكل من يتبعه ﴿ قال الراوى ﴾ فعند ذلك قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه يا أبا الحكم انى من منذ أمس ما رأيته فقال له أريد منك أن تمضى اليه وتقول له أن يرجع عن هذا الكلام والا فقد دنا وباله وقرب دماره وانى قد أضمرت له العداوة فقال أبو بكر هما أنا أروح اليه ثم أنى سعيت الى أن أتيت الى دار خديجة بنت خويلد فأقبلت وطرقت عليهم الباب فقالوا من بالباب فقلت ابو بكر فأسرعوا وفتحوا الباب فدخلت عليهم واذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عمه أبو طالب والفضل أبو العباس وجماعة من كبراء قومه وباقى عمومته فسلمت على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الجماعة الحاضرين وجلست وحدثت أحدثه بما سمعته من أبو جهل بن هشام لعنه الله فوثب أبو لهب وقال لاخيه العباس ما جلوسك هنا قم وخذ متاعك وأودع مالك لانى أرى ستثور فتنة عظيمة كبيرة يكون لها صياح شرقا وغربا ﴿ قال الراوى ﴾ فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قول عمه أبو لهب والعباس أطرق الى الارض وقد نزل عرقه على جبينه كاللؤلؤ المنتظم فقالت خديجة رضى الله عنها لا تهم نفسك وأنت تعلم ان خزائنى مملوءة من الاموال فقم الآن واشدد عزمك وانفق على الرجال واجمع الابطال وقاتل من يعاديك فقال أبو بكر يا محمد هذه أموالى وما أملكه الجميع بين يديك وبحكمك وأنا وأهلى وعشيرتى فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم جزاكم الله خيرا اعلموا انى منتظر أمر ربى عز وجل ﴿ قال الراوى ﴾ بينما هو يحدثهم اذ هبط عليه الملك الموكل بالنور جبرائيل عليه الصلاة والسلام فوقف له فى الفضاء والهواء وكان النبى صلى الله عليه

وسلم اذا كشف الوحى يتطاول عنقه و يشخص بصره وتقع عمامته عن رأسه والرداء عن منكبيه لان جبرائيل عليه السلام كان يهبط عليه فى الصورة التى خلقه الله فيها وقد نشر أجنحته ولقت أنواره فيحل عليه هيبة من ذلك من هيبة الله تعالى فناداه السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد ربك يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك جل جلاله وتقدست أسماؤه يا حبيبى يا محمد وصفوتى من بين خلقى ما خلقت خلقا على أكرم منك ولا أفضل منك ولا أجل منك أتفزع من فارق منك وأنا لك أنا الله الذى لا اله الا أنا خلقت جميع الخلق ورزقتهم ولو شئت لمدتهم أجمعين فلا تحزن ولا يدخلك رعب وعزتى وجلالى وارتفاعى فى علو مكانى لامهدن لك ولانصرنك فى الدنيا ولادخرن لك العقبى حتى يدين بدينك العرب والعجم والحر وأخبرك بأن قريشا لابد أن يخرجوا من مكة ويستعدون عليك بالعرب ويأتون بحبيب بن مالك بن صعصعة وانه سيقدم الى مكة فى عشرين ألف عنان وسيدعى بك اليه فاذا دعاك أخرج اليه من غير جزع ولا فزع فانى سأجعل لك آية عظيمة ومعجزة تفتخر بها على كل من آمن بك وتبعك وتتفضل بها على سائر أهل مكة ويتم نفرك ويعلو قدرك وانه سيقدم ومعه ابنته سطيحة وانها بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر وتكون برائتها على يديك وانه قد زوجها الملك من ملوك الارض يقال له عياض بن مرة وانه قد حمل اليها مهرها ألف ناقة وألف حجرة وألف حصان وألف عبد وألف جارية غير الاموال والاثاث وان ابن مرة قد طالبه بها ويريد أن يزفها اليه ويعلم انها سطيحة بلا يدين ولا رجلين ولا سمع ولا بصر أبدا وقد قال فى نفسه أريد أن أحملها الى الكعبة وأطوف بها سبعة وأفيض عليه من ماء زمزم وأنذر للكعبة نذرا ان عادت خلقا سويا وهو يماطل زوجها ويوعده ويسوفه ويهنيه وقد قال فى نفسه أريد أحضرها الى محمد بن عبد الله وأقول له ان كنت نبيا حقا ورسولا أمينا وقولك صدقا فاسئل الملك العلام أن يردها خلقا سويا كسائر النساء فان فعل ذلك

آمنت به وصدقت برسالته ودعوت قومي الى اجابته وكنت له عونا على كل من خالفه فان سألك فأجبه وأوعده بقضاء حاجته وسل ما شئت فان ربك قريب مجيب قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أخي يا جبرائيل الا تقدر أن تهبط علي في غير هذه الصورة فقال له جبرائيل عليه السلام في اي صورة تريد أن أهبط عليك فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة رجل من أصحابي فقال له جبرائيل عليه السلام أنا أهبط عليك في صورة دحيي بن خليفة وكان دحيي حسن الوجه ذو شعرة ووفرة وهو رجل تام الطول حسن الوجه قال فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم فرحا وسار عنه الوحي ولم يخبر أحدا من أصحابه بما أخبره جبرائيل عليه السلام وخرج ابو بكر رضي الله عنه ويده في يد عمر بن الخطاب ويد عمار بن ياسر رضي الله عنهم فقال عمار لابي بكر ما تفتح اليوم حانوتك فقال لا والله من ذا تطيب نفسه أن يبيع أو يشتري حتى ينظر ما يكون من أمر قريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلما كان من الغد ركبت مشايخ قريش ورؤساهم في مائة وسبعين ألف سيد يقدمهم ابو جهل لعنه الله وبين أيديهم العبيد بالسيوف المدنية والدرق اليمانية والرماح الخطية ومن وراءه الموالي على النجب السباق والخيول العربية العتاق وقد حملوا على المطايا الماء والزاد وهم في أحسن زينة وأكمل عدة وأجل سلاح فساروا حتى قدموا على بدر واذا بالملك حبيب بن مالك وهو نازل على ماء بدر وقد طبق الارض ذات الطول والعرض وهو جالس بالخيم ومن حوله السادات والفرسان فلما نظر اليهم عرفهم وحقق معرفتهم وأقسم وقال وحق اللات والعزى ما قدمت مشايخ قريش وساداتهم بالدساكر والصفوف الا وهم في مقام عظيم وخطب جسيم وحق الاله العظيم ما الفوا الا لوقت واستعدوا بالدساكر والصفوف الا على محمد بن عبد الله ثم ان القوم لما عبروا في الجيش وتخطوا بين الخيم وسعوا الى بساط الملك حبيب ووقفوا على باب المضرب واستأذنوا عليه بالدخول فأذن لهم فدخلوا على الملك

حبيب وهو فارق فى لبس الديباج الاخضر وهو جالس على كرسى من العرعر مصفح بالفضة البيضاء وعلى جسده حلل من الحلل النفيسة لبس الملوك الكبار وهو عظيم البأس شديد المراس عالم فاهم أديب لبيب وكان رجل طويلا وكان بطلا نبيلا وكان قد دخل فى دين اليهودية وجادلهم ودخل فى دين النصرانية وجادلهم ودخل فى دين المجوس وجادلهم ودخل فى كل دين وقرء فى سائر العلوم والحكمة والبيان وكان فصيح اللسان واسع العينين فنظر الى سادات قريش وهم يخطرون فى حللهم ويجرون حلل سيوفهم فترحب بهم وقال لهم أهلا وسهلا بسادات الحرم وأرباب الحطيم وزمزم وخير الامم فيما ذا قد قدمتم وأى شئ طلبتم فلكم الاكرام والاحترام والاعظام قال فلما سمعوا كلامه وفهموا نظامه قام اليه أبو جهل لعنه الله وقال له أيها الملك الكريم والرئيس العظيم اعلم ان الدين القويم هو دين اللات والعزى وما كان عليه آباؤهم الاولين وماله ناصر غيرك لان ما بقى من ذرية جدهم سوا ربك المعاذ والملاذ لانك تعلم علما يقينا ان أصحاب البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام وانهم أهل العز والشرف والرفعة والسلف ونحن بحقهم عارفين ولقدرهم مجلون وقد ظهر فيهم غلام يتيم كفله جده عبد المطلب فلما مات كفله عمه أبو طالب وانه من حين انشئ فينا صار يكفرنا ويكفر بألهتنا ويهزء بنا وبديننا ولقد كنا نكف عنه أذيتنا حفظا لاهله وعشيرته فطمع فينا بالمحال وهو يجهد على هذا الفعال حتى انه تجرء وقال انى نبى مبعوث ورسول مرسول قد أرسانى اله السماء والارض الى سائر المخلوقات من أسود وأبيض وأحمر وحر وعبد وانا نراه فى كل وقت يشخص بصره الى السماء ويرتعد وتأخذه رجفة فنظن ان به جنون فسألناه عن ذلك فيقول ان جبرائيل الروح الامين يغشانى فاحتارت عقولنا وها نحن قد جئنا اليك قاصدين وبك مستجيرين اليك مستندين والذى نريده منك أن تدخل مكة وتنزل الابطح وتجمع مشايخ قريش ورؤساهم وتحضر بنى هاشم وتأمر باحضار هذا الغلام

وتجادله بين العرب فاننا نعلم انه لا يتصل الى عملك ولا يثبت لجدلك فعاد اليه وقف بين يديك وصمت عن جوابك القيناه من بيننا وقتلناه فان طائفة من الناس كبيرة قد صبوا اليه ودخلوا فى دينه واننا قد أحضرنا لك خلوق المسك والزعفران مع ماء الورد المسك والعنبر والكافور لوجوه خيلكم وقد أحضرنا الرماد والبول والثوم والسمام لمن دخل فى دينه وتبعه فان ذلك مما يزيدهم عارا فلما سمع الملك حبيب هذا الكلام أجابهم الى ما طلبوا وضمن لهم ما أرادوا ثم انهم أقاموا عنده فى ضيافته ثلاثة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام فلما كان فى اليوم الرابع أمر جيشه بالرحيل وخيامه بالتحويل وهم مجدين الى أن وصلوا الى مكة المشرفة وأشرفوا على الابطح ونظروا الى تلك القباب والهوادج ولاحت لهم الاعلام والاهبة والعدد الملاح واللمعات الزرد والخود والسلاح والخيل الملاح والجنائب تذف ذفا والفرسان من فوق متونها صفا صفا وقد كان أبو بكر رضى الله عنه خرج ذلك اليوم الى مكة ومعه المغيرة بن أبا شعبة وأبا عبيدة عامر بن الجراح وكان رضى الله عنه خبيرا بالرجال والسادات وعارفا بالبطون الكائنات فكان اذا نظر الفارس عرفه وعرف ما يريد ويعرف سائر الرايات والاعلام واذا سمع ذلك يقول هذا فلان وهذا فلان وهذا رايت فلان وهذا علم فلان ابن فلان ولما نظروا القباب والهوادج وكثرة الرجال فتميزا الجميع فوجدهم عشرين ألف فارس غير الرجال هذا وقد أقبل الملك حبيب كما تقدم بالابطح وأركز رايته ونصب سريره وجلس عليه وجيوشه وأرباب دولته حواليه ولما علمت قريش بقدومه فسارت اليه من كل شعب ووادى وانتشروا فى البر مثل الجراد والسيل اذا انحدر على النهار فسلموا عليه فرد عليهم السلام وقربهم وأدناهم الى أعلى مقام وأجلسهم بجانبه فى صدر الديوان وقال هل بقى من أهل مكة أحد ولم يحضر هذا المحضر فقال أبو جهل لعنه الله لم يبق الا فى هاشم وبنى عبد المطلب فانهم تخلفوا واستكبارا على الملك فقال حبيب قريش ارضوا وصهروا على ابن أبى طالب وأخبروا قومهم وعشيرتهم

فسار واليه أربعين سيدا من سادات قريش وهم المشار اليهم فهم راكبين على خيولهم وهم فى همة ورياسة وسطوة وحماسة فلما وصلوا قد طرق الباب فخرج اليهم ابوطالب وفتح الباب ولما نظرهم قال أهلا وسهلا بالاحباب ماشاء لكم وما أتى بكم وما حاجتكم فقالوا له أجب الملك حبيب بن مالك انت واخوتك واصحابك ومن يلوذ بك من أحبابك فقال حبا وكرامة ودخل الى منزله وأدعى ثيابه فلبسها وتزين بها فكان قميص آدم عليه السلام ثم استدعى بعمامة اسماعيل وحلت ابراهيم الخليل ونعل سليمان ابن داود عليهم السلام ثم طلب اخوته وكانوا عشرة وهم العباس وحمزة ومجيل وعكرمة والحارث وعقيل وابالهب وعلى وجعفر اولاد ابوطالب فلما حضروا عنده أخبرهم بما أمر الملك فقالوا له سير بنا اليه ولما أقبلوا على الابطح كان مقدمهم أبوطالب ومن حوله من اخوته وأولاد عمه وعشيرته وقد حفتهم السكينة والوقار والهيبة والانوار رفعت مجدهم وعلو قدرهم فلما أتوا الى الابطح قامت لهم العرب على الاقدام وفرجوا لهم عن طريقهم مابين الخيام حتى وصلوا الى الملك حبيب وطلبوا الاذن فى الدخول فأذن لهم فدخلوا وسلموا عليه فأحسنوا ولما بلغوا وتكلموا ما فصحوا فرد عليهم السلام بعد ما قام لهم قائما على الاقدام وأجلسهم بجانبه ولما استقر بهم الجلوس وكان بأحسن زينة وملبوس فابتدأهم الملك حبيب بالكلام وقال يابنى هاشم ان جميع العرب لم تنكر شأنكم وفضلكم واحسانكم وان الملوك بكم تستجير فى كل أمر عسير و يفتخرون بفضلكم وكرمكم اذا مسهم التقصير وان أهلها ورؤساءها قد اجتمعوا وقصوا قصتهم وهم يشكون من ابن أخيكم الذى ظهر فيكم وهو يزعم انه نبى مبعوث ورسول رب السماء وان الانبياء والمرسلين يأتوا بالعلامات والبراهين و يظهرون الدلائل والمعجزات وتكون لغير مخبرات ويجب على ابن أخيكم أن يأتى المعجزات فى هذا المحضر حتى يشهدون له العرب والحضران كان له بذلك قوة قبل أن يتكلم ويدعى النبوة فاذا العرب نظرت الى معجزاته ودلالاته صدقوا قوله واتبعوه

وصاروا حوله وان كان مجنونا أو مهزؤا أو كذابا فليجب عليكم أن تأخذوا
عنه جانبا وترجعونه عن جنايته وتمنعونه عن مراده وتعلموا ان هذا شئ لا يتم
على العرب ولا على سائر الجعل الرتب من ذرية ابراهيم الخليل فانى وحق
الخليل قد منعت العرب عن قتله وعن تبديد شمله وذلك حذرا على سفك
دمائهم وترميل نسائهم وحفظا لكم وكرما لانسابكم وقدوم أسلافكم
وفضلكم وحسن أوصافكم وأما لو نشئ هذا الغلام عند قوم غيركم من
الاقوام وهو يكفر بآلهتكم العظام ويسب آباؤكم الكرام ويهزؤ بكم
وينهاكم عن عبادة أصنامكم لرأيتم ما يجرى عليه وكنتم تسارعون بالاذية
اليه وتسعون فى هلاكه وتدميره فالواجب عليكم وعلى كباركم أن تحسنوا بين
العرب الذين بجواركم وترضوا الناس ما ترضوا الانفسكم ولا تنكروا افضل
أرحامكم وأنسابكم فأجابه أبو طالب وقال أيها السيد الكريم ان ابن أخى
لم يأتينا منكرا ولا جبرا وانما قال لنا يا بنى عمى وأهلى وقومى يجب على أن
أنصحكم اعلموا انى قد جئتكم بآية من ربكم واضحة ودلالة ظاهرة وهو انى
أدعوكم الى عبادة رب العالمين الا تنظروا الى السماء كيف رفعها والى
الارض كيف سطحها والليل والنهار كيف خلقهما والشمس والقمر كيف
أنارهما والنجوم والسحاب كيف سيرهما ومع ذلك انى أقسم عليك أيها الملك
بآبائك الكرام وأجدادك العظام أن تسأل العرب عما يعرفون منه
وما كانوا يسمونه من صغره الى حد كبره وما ينقلون لك عنه فعند ذلك سأل
الملك العرب حبيب فقالوا له نعم صدق ابن عبد مناف انا سميناه من صغره
الصادق الامين فلما سمع أبو طالب كلامهم فقال يا ملك الذى من صغره
يسموه الصادق الامين فلا يكون فى كبره كذاب مهين فقال الملك حبيب
هذا شئ لا يتفق ولا يكون وانى أحب أن أراه بالعيون وأسمع كلامه وحقق
وأسمع ما يقول ان كان عاقل أو مجنون فقال له أبو طالب أرسل اليه حاجب
من حجابك يدعوه اليك بين الاصحاب فاذا حضر اسأله عن ذلك الارتياب
فهو يرد ذلك الجواب ولا يعجز عن الخطاب فادعى الملك حاجب من حجابه

وقال له امضي الى دار خديجة بنت خويلد وأقف بالباب واطرقه اذا جاءك
أحد غير محمد فقل اني اريد محمدا فاذا خرج اليك فقول له ان عمومتك عند الملك
حبيب ويدعوك تحضر عندهم في الحين قريب وان حبيب اراد أن ينظر
الى شمائلك وأوصافك ويسمع كلامك وانصافك فنهض من بين الجماعة
أبا جهل بن هشام رضي الله عنه وقال أيها الملك ما ترسل الا الاجمع كثير حتى
اذا لم يأتون به طوعا أتون به كرها فقال له حمزة والعباس وسائر اعمامه ويلك
يا عادم السياسة ومستنفخ بالرياسة ترى اي مخافة تكون عليه ونحن
متقلدين بسيوفنا وانه لم يأت في هذه الساعة مع الجماعة طوعا من يقدر
يأتي به كرها ونحن له سيوفا قاطعة وأسنة لامعة وأسودا مانعة وانه الساعة
يحضر فاقصر كلامك ولا يطول أرغامك ويظهر لك قدام الملك حبيب
وقدام أصحابه فقال الملك امضي لما أمرتك فركب الحاجب فرسه وسار
الى نحو خديجة بنت خويلد وتلك الديار فلما وصل طرق الباب طرقا خفيفا
فطلت اليه جارية من جوار خديجة فنظرته وعادت الى النبي صلى الله عليه
وسلم وقالت يا مولاي رجلا بالباب كهلا له وجه بضيء ولباسه حسن وهو
يدق الباب فقال سيد الاحباب امضي اليه واسأليه ما حاجته فخرجت
اليه الجارية وسألته فقال لها قولي لمحمد يرني وجهه فرجعت الجارية
وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بما قاله الحاجب فوثب عليه الصلاة
والسلام وفتح الباب فلما رآه الحاجب حصل له ارتياب وخفق قلبه وطار
لبه وطاش عقله وزاد رعبه فأثنى رجله من الركاب وترجل عن دابته
ومسك أذنه وتقدم الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ يده فقبلها وقبل
صدره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم روح وريحان وكرامة
ورضوان فقال له الحاجب ياسيدي أجب عمومتك فانهم عند الملك حبيب
ابن مالك وانه قد أحب أن يرى جمالك وينظر حسن وجهك وبهائك
ويسمع الى حسن كلامك وألفاظك ويتمناك فقال صلى الله عليه وسلم
سمعا وطاعة وحبا وكرامة لله عز وجل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم

دخل منزله ولبس ثوابه التى كانت جعلتها له خديجة وهو قباطى أبيض
من قباطى مصر وتعم بعمامته وكان النبى صلى الله عليه وسلم يطيب لحيته
وعوارضه لان رائحته اركى من كل طيب بل كان يأخذ المسك والعنبر
ويضعه فى مفرقه وشعره وترى برداءه عدل فى غاية الرقة هذا وخديجة
رضى الله عنها تنظر اليه ودموعها قد بلت خدودها رقة عليه وزينب
ورقية وأم كلثوم يبكون لبكائها بكاء غير مكتوم فهبط الامين جبرائيل عليه
السلام فى الصورة التى خلق فيها رب الانام وبيده حربة الغضب ولها
شعبتان عجب شعبة فى المشرق وشعبة فى المغرب ونادى وهو نازل من
الهوى السلام عليك يا أحمد يا محمد يا خير مولود يا سيد المرسلين الله يقرئك
السلام من دار السلام ويقول لك وعزتى وجلالى ما أرسلت نبيا الى قوم
أفضل منك ولا أكرم منك ولا أحب الى وانك أنت نبى الرحمة وأمتك
المرحومة ها أنا معك عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن فوقك ومن
تحتك وعزتى وجلالى لا يخلو امنى مكان ولا يتكبر على انسان امنى الى
هذا الرجل من غير فزع ولا جزع وقد أمر الله سبحانه وتعالى الملائكة
ان يسير واحول النبى صلى الله عليه وسلم قالوا سمعا وطاعة فسمع النبى صلى
الله عليه وسلم كلام الملائكة الكرام ونظر اليهم بدر التمام يتلألأ وجهه
نورا وابتسام وسرورا وأوحى الله سبحانه وتعالى الى الشمس أن انكسفى
فى وجه حبيبى محمد فانكسفت ولمع فى وجهه نور حتى عم أهل مكة ولم يبق
منزلا ولا علوا الا ودخل به هذا النور ووحى الله تعالى الا الكمال والبهاء
والضياء والثناء والعز والفخار والوقار أن اسعوا بين يدى حبيبى محمد صلى
الله عليه وسلم وسار صلى الله عليه وسلم ونوره يزيد عن نور الشمس والقمر
وجبرائيل عن يمينه والملائكة يسيرون عن يساره ويقفون لوقوفه وهم
يهللون بالتسبيح والتقديس حامدين شاكرين لله رب العالمين وما زال
صلى الله عليه وسلم حتى دخل الكعبة وصلى ركعتين فى مقام أبينا الخليل
عليه السلام وخرج من الدار المعروفة بباب النبى صلى الله عليه وسلم فنظرا

الابطح وهو مزدحم بالخيل والرجال فعظم ربه ذو الجلال والاكرام وكان ما بقي في مكة أحدا لا وسلك هذه المسالك وقد خرج الى حبيب بن مالك لينظر ما يتم بينه وبين بني هاشم وما يجري من هذه الامور العظائم وكان الملك حبيب جالسا على سريره العرعر واكابر قريش بين يديه والعشائر جميعا حوليه في عشرين ألف غضنفر وكلهم قيام ينتظرون قدوم النبي صلى الله عليه وسلم سبقته أنواره وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه بين يديه ولما وصل الى القوم جعل يخترق صفوفهم ويتخاطى ألوفهم فهابوه ورهبوه تكريما له وتعظيما وقامت اليه قريش اجلالا له وتفخيما فلما رأى الملك حبيب في هذا الشان من القوم وما فعلوه عند اقبال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم تعجب في نفسه وقال ان هؤلاء القوم أتتني سلالتهم الكرام وأشرافهم العظام برهم جميعا يشكون من هذا الرجل العظيم ويستعدون عليه في التهليل والتحريم ومنهم جماعة يسبوه ويؤذوه ولما حضر اليهم رأهم يقروه بهذه الاشياء والله من علامات النبوة لا محالة ودلائل الهداية والرسالة وأنا أشهد انه نبي حقا ورسول صدقا ثم ان الملك حبيب أحضر له كرسي من الذهب الاحمر مرصع بأنواع معادن الجوهر ليجلس عليه النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه بيده الشريفة وأبى أن يجلس عليه وجلس على الارض وقال منها خلقنا كم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الملك حبيب في نفسه وهذه دلائل أخرى وهو التواضع وجلس النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الملك حبيب فشخصت اليه الابصار وسكنت الحركات والاكثار ونزلت الهيبة على النبي صلى الله عليه وسلم والوقار فابتدأ حبيب بالكلام اليه وقال يا أبي القاسم وما كان على وجه الارض من يكني بهذه الكناية الا هو صلى الله عليه وسلم فانه سيد محمد وكني بأبا القاسم ولا يجوز لاحد أن يكني بهذه الكناية الى يوم القيامة وانا الملك عتيق كني بأبي بكر واقب الصديق وكذلك علي رضي الله تعالى عنه كني بأبي تراب ولقب بحيدرة والكرار وألقابه كثيرة وأما حبيب

ابن مالك لما قال يا أبا القاسم اعلم ان هؤلاء الشيوخ من أهل مكة وسادات قريش ذكروا عنك أنك تقول انك نبي مبعوث بالحق ورسول أرسلك ربك الى كافة الخلق من بدو وحضر وفرس وديلم وترك وعجم هل صحيح هذا عنك فقال صلى الله عليه وسلم نعم أرسلني بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فقال حبيب اعلم يا محمد ان لكل نبي دلالة وحجة وبرهان وآيات تدل على تصديقه بأما كن فأما نوح عليه السلام فانه بعث الى البر الى أهل بن نهل وكانت آيته السفينة وصالح الى الملك جريج وكانت آيته الناقة وابراهيم بعث الى النمرود وكانت آيته النار وموسى بعث الى فرعون وكانت آيته العصا وعيسى كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله فان أنت أتيت بآية كما أتوا الانبياء من قبلك كنت من الصادقين ونتمسك بحبالك فقال صلى الله عليه وسلم أطلب ما شئت من الدلائل فربي على كل شيء قدير فقال له حبيب أطلب منك أن تسأل ربك أن يرد الليلة الصاحية ظلاما ويجعلها ذات كنادس وظلمات بعضها فوق بعض من كل ناحية الى الصباح فلا يكاد مخلوق ينظر الى ضوء مصباح ثم تصعد الى جبل أبي قبيس وتنادي للقمر ويكون في تمامه وكماله ثم انك تأمره أن يركض في السماء ركضا بليغا من مطلعه الى أن يقف على سطح الكعبة ثم يطوف بها سبعا ويسجد في مقام الخليل ابراهيم ثم تأمره أن يقبل عليك ويقف بين يديك ويكلمك بكلام فصيح عربي مبين لا يشكل على انسان ويسمعه القاص والداني ويسلم عليك ويشهد أنك نبيا حقا ورسولا صدقا أرسلك الله تعالى كما زعمت ثم يدخل في زيقك ويخرج من ديلك ويعود ثانيا ويدخل في زيقك ويخرج من كمك الايمن نصفه ومن الكم الايسر نصفه ثم يمضي نصفه الى المشرق والنصف الثاني الى المغرب ثم يعود راكضا في السماء كركض الجوادين المسرعين ثم يلتقيان فيصير بدرا كاملا مستنيرا كما كان في ليلة تمامه وكماله فقال أبو جهل لعنه الله عند تمام كلام الملك حبيب وسار يشير اليه بكمه وهو يقول له

أحسنت أيها الملك الكبير والمولى المشير والسيد الخطير لقد أفرحت القلوب وفرجت عنا الكروب اذا أنت طلبت من محمد بن عبد الله ما لا يعقد عليه لاهو ولا أبويه فقال صلى الله عليه وسلم اجلس يا كلب قومه وأخس عشيرته ثم أقبل على حبيب وقال له أطلب مني أقوى من ذلك فان ربي على كل شئ قدير فقال له الملك حبيب يا محمد فلقد طلبت منك المنا وبلوغ السائلين والحكمة المعتبرين قال فاتم هذا الكلام حتى هبط جبرائيل عليه السلام وقال يا محمد الله عز وجل ربك يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول للملك سل الملك حبيب عن ابنته السطيحة فقال صلى الله عليه وسلم فسأله عنها فقال ومن أعلمك بها فقال جبرائيل عليه السلام فقال حبيب يا محمد أيقدر ربك أن يعيدها خلقا سويا فقال نعم ان ربي على كل شئ قدير وقد وعدني أن يعيدها فتكون أحسن نساء قومها وأجملهن وأكملهن فقال له ان فعلت ذلك آمنت بك وأقررت برسالتك وأدعو اقومي الى اجابتك وأكون داعيا لطاعتك فعند ذلك وثب صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين ودعى الى الله سرا بينه بعد ما سلم ذات اليمين وذات الشمال وبعدها قال للملك قم الآن وادخل الى بنتك وانظر ماذا صنع المولى في ابنتك فوثب الملك حبيب فدخل الى بنته فوجد ابنته وهي قائمة على أقدامها وهي كالقمر المنير زائدة المحاسن والاوصاف هابكات الشعور سالمة الاطراف وهي تقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندها خرج أبوها مسرعا وأتى الى النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يقبل رأسه ويديه وأسافل قدميه وقال له يا رسول الله أمهلني حتى تظهر معجزاتك التي طلبتها وبعدها أسلم أنا وقومي على يديك ولكن وعدني في أي وقت يكون ذلك فقال له يكون ذلك عند غياب الشفق وسواد الافق وانى ما أوعدت وأخلفت قط ثم قام عليه الصلاة والسلام وسار الى منزله وتبعوه أهله وعشيرته واعمامه وأبو بكر الصديق أمام القوم يفرق الناس عن رسول الله حتى خرج من الابطح وما زال سائرا الى أن وصل

ودخل على خديجة فوجدها راكعة لله وساجدة وأدمعها تجرى فقال لها لا تبكى ياخديجة وماهذا الخرف والقلق أتظنى أن الله عز وجل يسلمنى الى عدوى كلا بل أنا الظافر ولعدوى قاهر وبعد ساعة دخل عليها أبى بكر الصديق وهو مندهش فقال له ياسيدى يارسول الله لا شك أنك عاينت هذا الجيش وكثرة هذا العشائر وانه لم يبق سيدا فى قومه ولا أميرا فى عشيرته الا وقد حضر وشهد عليك بما شتمت فهل تقدر أن تظهر لهم ما قالوه وطلبوه فانه أمر عظيم فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر طب نفسا وقر عينا فان ربى على كل شئ قدير فقال له عمه أبو طالب ياسيدى يارسول الله سألتك بالله لا تفضح هذه الشيبة فتصبح ذليلة بعدما كانت عزيزة ولا تفضح قومك بين أهل مكة وقبائل العرب فتصير فيهم شهرة ومسبة وقال عمه العباس يا ابن أختى يامحمد الله فينا وفى أهلنا يامحمد احفظنا واحفظ علينا عرضنا فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم اسكتوا ياقومى وعشيرتى ويا أهلى ويا أعمامى فانى ما آيست من رحمة ربى ثم قام الى محرابه وجعل يناجى ربه وهو ساجدا راكعا فهبط جبرائيل عليه السلام وقال له يا أخى يامحمد ارفع الآن رأسك ان الله عز وجل يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك وعزتى وجلالى لم أخلق خلقا أكرم على منك ولا خلقت شمسا ولا قمرا ولا ليلا ولا نهارا ولا فلكا دوارا الا كرامة لك يامحمد وعزتى وجلالى لقد أمرته بالطاعة لك من وقت خلقته وكرنته ثم ان جبرائيل عليه السلام قال وها أنا يا أخى يامحمد واقف عن يمينك والحربة بيدى فاذا خالفك رعدك شوته بها كما شوته قوله مرة وكان شمسا فصار قمرا فقام صلى الله عليه وسلم ودخل مقام الخليل ابراهيم عليه السلام وصلى فيه ركعتين ثم انه دعى ربه وصعد الى جبل أبى قبيس عندها ارادت العرب جميعا وقالوا يامحمد قد قبل الليل وغاب الشفق فتى تظهر لنا معجزاتك فقال لهم حتى أصلى العشاء الاخيرة وأقضى فرض ربى عز وجل فلما صلى صلاة العشاء وفرغ من صلاته نادى فى أهل القبائل

وسائر المحافل والجحافل النازلين بالمناهل وكان صلى الله عليه وسلم معه
أربع رجال من بني هاشم وهم عمه حمزة والزبير وطالب وعقيل أخيه وقيل
ان طالب بمقنب والمقنب يحسب بعشرة آلاف رجل قوية من الرجال
العتية وانه كان يلقاها وحده ويكون رابحا عليهم ويبلغ منها ما يريد ويخرج
منها وهو سليم وكان الزبير أيضا يبدي هاشم فانه شئ على كرم الله وجهه
أعمد سيفه جميع الاسياف وقد أعطاه الله من القوة والبأس والهيبة
والوقار مالا عليه بقص ولا عيار وكانوا هؤلاء الاربعة الذي ذكرناهم
محتاطين بالنبي صلى الله عليه وسلم خوفا عليه من الاعداء المبغضين ولما
ان كان وقت صلاة العشاء أذنوا وصلوا الجميع ولم يكن يومئذ بمكة من
وحد الله مع النبي صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء الرجال كانوا يعبدون الله
سرا فنادى عند ذلك حبيب بن مالك وقال يا أبي القاسم قد صليت العشاء
الاخيرة فاظهر لنا الآن ما قلته من الكلام ومن الضمان حتى اننا نصدقك
جميعا ونؤمن بك وبرسالتك ونقر بفضلك وتشملنا بركتك وتثبت عندنا
مقالتك وتأتي بحجتك فدنا النبي صلى الله عليه وسلم يده الكريمة وبسطها
الى يديه ورفع طرفه الى السماء وقرأ ما تيسر وابتهل الى الله عز وجل فأوحى
الله تبارك وتعالى الى الملك الموكل بالظلام أن يخرق مقدار سم الخياط
فأخرق الملك فانبثق منهم سائر الافق وجميع الطرق وقد أظلم المشرق
والمغرب وعم الظلام الروابي وسائر الآكام والبر والبحر وسائر الوعر
ولم تبق بنظر شيأ حتى باطن الكف صار لا يرى ولا ينظر وخمدت النيران
وأظلم الخفقان فصاحت العرب بأجمعهم وقالوا يا محمد يا أبا القاسم من شدة
الظلمة فأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى القمر بيده وقال له بأعلى صوته
السلام عليك أيها المخلق المطيع الدائر في الافلاك السريع اعلم أنني
أشهد أنك آية من آيات الله عز وجل وعلامة فاظهر لنا الآن ما فيك من
المعجزة ومن الكرامة الى لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب نبي الله ورسوله
فأتم النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى رأوا القمر قد اتسع واستدار وهبط

وارتفع ثم انه جعل يركض فى السماء مثل الجواد العربى ومازال حتى وقف على الكعبة شرفها الله ثم انه كر راجعا الى جهة النبى صلى الله عليه وسلم ووقف بين يديه هنيئة ساعة ثم انه سلم بلسان فصيح طلق وكلام مليح غير خلق وقد سمعت الناس جميعا مقالته ولم أحدا منهم ينكر معرفته وهو يقول السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبى القاسم السلام عليك يا حبيب الله أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا رسول الله ثم انه بعد ذلك الكلام انقض ودخل ذيله وخرج من ذيله وعاد ثانيا ودخل فى ذيله وانشق نصفين فخرج نصفه من كمه الايمن وخرج نصفه الثانى من كمه الايسر ثم طلع كل نصف من جهة شرقا وغربا ثم ركض فى السماء مثل الجواد العربى حتى اجتمع الا نصفين بعضهما وسار قرامنيرا كاملا مستنيرا ثم نادى ثانيا بكلام فصيح أفصح من الاول وقال أشهد أنك حبيب رب العالمين وأفضل الانبياء وجميع المرسلين والشافع لامتك المذنبين وزخر للعاجزين والفقراء والمساكين فيا سعد من تبعك وأطاعك ويا شقاوة من عصاك وخالفك وقد فاز بالرضا من نور الله والمنا من عرفك ثم ارتفع الى مكانه ووقف فى محله الجليل فاراد ابو جهل لعنه الله أما تنظر لهذه المعجزات الباهرات والآيات العظيمات فكيف تعادى مثل هذا وهذا الفعال فعاله وهذه الاقوال أقواله وهذه الاحوال أحواله فقال لهم أبو جهل اللعين ان هذا لسحر مبين وأما حبيب بن مالك فانه قال للعرب الكرام ومن اجتمع فى هذا المقام هل بقى لكم على أبوا قاسم حجة أخرى أما أنا فقد آمنت به وبرسالته وصدقت بنبوته وأنا أقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم فى ذلك اليوم سبعين ألف وثمانون رجلا ووقعت المشاجرة بينهم وبين أبو جهل وأصحابه وجردوا السيوف وكادت الحروب أن تقع بينهم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يا بنى هاشم ويا بنى عبد الله اعلموا انى قد بعثت ولم أبعث بالسيف والفتنة فسكنوا نفوسكم وأخلاقكم وكل من أطاع الله

ورسوله يترك من يده السيف والرمح ومن خالف الله ورسوله يفعل كما يشاء ياقومي امتنعوا الى أن يظهر لهم الحق المبين فسكتوا لما سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم ثم انهم انفصلوا من ذلك اليوم وكل منهم قد رجع الى موطنه ومضى حبيب بن مالك الى منزله بعد أن سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف ابنته على عياض بعد أن أخذ عليه شرط الاسلام والدخول الى دين الاسلام فوافقه على ذلك وأخذوا السلاح حالهم فهذا ما كان منهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم رجع الى منزله ودخل على خديجة بنت خويلد وأبو بكر الصديق بين يديه فلما وصل الى منزل ملاقته خديجة رضي الله عنها من باب الدار وقبلت صدره ويده وقالت له ياسيدي اني رأيت لك معجزة أخرى فقال وماهي قالت لقد خاطبني هذا الجنين الذي أنا حاملة به فقال لها سيدنا حمزة وما الذي خاطبك به فقالت يا ابن الاطيبين كنت قائمة فنادتني وقال لي ماهذا الجزع واقلقي وبعلك محمد حبيب الله ورسوله وصفيه وخليله وهو المنصور المؤيد على أعدائه قال فتبسم صلى الله عليه وسلم من كلامها وقال لها تبارك وتعالى ما أعطى نبيا معجزة الا وقد أعطاني مثلها وخصني بها وكذلك أخبرني بها جبرئيل عليه السلام بأن هذا الجنين الذي خاطبك وأنت حاملة به هي ابنتي وان الله عز وجل سماها فاطمة الزهراء وهذا ما انتهى الينا من معجزاته صلى الله عليه وسلم في انشقاق القمر وقيام السطيحة لسيد مضر عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأنشد بعضهم يقول

الا معشر الاسلام يهنيكم البشرى * نبيكم شق الاله له البدر
قد امتحنوه الجاهلين بجهلهم * أرادوا به جهلا فأعقبهم خسرا
وأوحى له الرحمن ان سطيحة * بدا رأمير القوم ادعى لها تبرا
فقام رسول الله صلى وادعا * وقال يامن يعلم السر والجهرا
الهي الهي قيها فأقاما * كعادتها تمشي سويا على الغبرا
فقامت باذن الله تزهو كأنها * هلالا مضيئا كاملا بدر

واخيرا

واخرانا فى الدين قد آمنوا به * أماناً أمينا صادقا ناطقا جهرا
وقد كان هذا من ألست بربكم * سعيدون فى الدنيا شهيدون فى الاخرا
وأما أبو جهل اللعين بجهله * رأى معجزات المصطفى ظهرا سحرا
وقد قال عنه ان هذا الساحر * وأسرافنا كى تستطيع له أمرا
وساروا عليه حاقدين صدورهم * وصلى عليه الله فى كل ذكرا
بما ناله من ربه من كرامة * فكانت له فتحا وآخرها نصرا
وكان امام المرسلين وكهفهم * وأولاهم نفرا وأعلاهم قدرا
وأرحمهم قلبا رؤفا بقومه * اذا أظهروا غيظا يضاحكهم بشرا
وفى يوم بدر والحديبية التى * أتى مدحهم فى الذكر مذ شاهدا بدرا
وقد بايعوا المختار عهدا موافيا * وقد اشترى الرحمن ميثاقهم طرا
وأولاهم دار السلام فهم بها * نعيم مقيم لا تجوع ولا تعرا
وأعداؤهم فى النار كلما * أتت أمة للنار تلعنها الاخرا
وأمته فى الحشر تحت لوائه * فلا مسهم برد ولا يشكوا حرا
يهللون بالتسبيح والحمد والثنا * فشكرهم حمدا وحمدهم شكرا
وتفرح أصحاب النبى اذا * نسير مع المختار بجمعنا زمرا
ومن غاب منا يفتكره بحلمه * ويسجد تحت العرش سجدته الكبرا
ويكفيه نفرا الذى يقول أنا لها * ورؤيته الرحمن فى ليلة الاسرا
ويشفع فى كل العصاة ولم يدع * سوى مشرك بالله يتبعه الكفرا
عليه صلاة الله ثم سلامه * سلاما زكيا فائقا راثقا عطرا
ما دامت الدنيا وما دام أهلها * وان زالت الدنيا بما دامت الاخرا
كذا الآل والاصحاب ما شمس اشرقت * وما دامت الظلما يعقبها فجرا

قال الاصمعى ولما انتهى الامر من انشقاق القمر وآمن من آمن من بنى البشر قال جرير لعمرو بن أمية الضمرى هل أنت أبصرت المعجزات وبعينك رأيت وعرفت طريق الهدى اذا اهتديت فهل أنت على ما عزمت عليه من الدخول فى دين الاسلام فقال له عمرو نعم رضيت بذلك وارتضيت فقال

وقد جاء ليلك وهو على دين الاسلام ملهوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا به يا عمرو ﴿قال الراوى﴾ فتقدم الخزروف وأسلم على يد النبى صلى الله عليه وسلم المظلل بالغمام وقد شرح الله صدره للاسلام وأضاف النبى صلى الله عليه وسلم الخزروف الى سعاته وأنزله فى بعض أبياته وقال لعمرو بن أمية الضمرى ولد الخزروف يا عمرو أنت المقدم على جميع السعاة فأمر أبوك أن يسير الى بنى عبس ويأمرهم بالقدوم الى ليسلموا على يدى وكذلك عنيترة تكون من جملة المهاجرين فى دين رب العالمين فقال عمرو لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ما قلت وبه علينا أشرت ثم ان عمرو أمر أبيه أن يسير الى بنى عبس ويميل قلوبهم الى الاسلام ﴿قال الراوى﴾ فسار الخزروف طالب أرض الشربة والعلم السعدى وبقى جرير حتى يرسله صلى الله عليه وسلم لبعض قبائل العرب وبقى عمرو بن أمية الضمرى مقدم السعاة وسار كل ما طلب رسول الله حاجة منه يرسله فيها حتى أفتقر على أبناء جنسه ﴿قال الراوى﴾ وأما الخزروف بن شيبوب فانه سار حتى وصل الى أرض الشربة والعلم السعدى ودخل الى زوجته أمية وطمن قلبها على ولدها عمرو وأحكالها على ما صار لهم من الامر وعن أسلامه هو وجرير وولدها عمرو وقال لها أنا ما جئت الا انى آخذك وأسير الى مكة نقيم فيها باقى أعمارنا بمالنا وعيالنا وجمالنا ونوقنا ومتاعنا فعند ذلك فرحت أمية بذلك الكلام وأكثرت الضحك والابتسام وقالت له نعم ما فعلت بدخولك فى دين الاسلام وأسلمت من وقتها وساعتها وفرح الخزروف بذلك الهداية والاطاعة واجتمع بابنة عمه عنيترة وأحكالها على ما جرى له من الامور العظائم ودخوله فى دين الاسلام وأعلمها باسلام جرير واسلام ولدها عمرو واسلام جميع العرب وانهم قد أتوا من كل نفر وسبسب الى خدمة النبى صلى الله عليه وسلم المنتسب والرسول المنتخب صاحب الحسب والنسب وانه قد أطاعته أرباب المعالى والرتب واسلامهم على يد خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿قال الراوى﴾ وأعلم

فضالة وعمرو ذو الكلب وعتيبة بن حصن ومالك وزخمة الجواد ومن تبقى من أعمام فضالة الاجواد ومن جماعة بنى عبس وبنى قراد الاجواد ﴿قال الراوى﴾ ولما سمعوا بحديث الاسلام من الخزروف بن شيبوب فالت اليه منهم القلوب واجتمعوا بعنيزة واستشاروا أيها وقالوا لها يا أم الزعازع وابوة اوقائع ماعندك من الرأى وبماذا تأمرينا فقالت لهم الرأى عندى اننا نسير الى حضرة هذا النبى العربى وهو أجل نبى ومطلبى فعند ذلك قال فضالة بن قيس بن زهير وعتيبة بن حصن بن مالك وزخمة الجواد وورقة وجماعة قليلة من بنى عبس الذى حضروا بمكة فى الاول وكتموا اسلامهم كما ذكرنا فيما تقدم فلما تحقق الخبر من الخزروف وأرتضت عنيزة دين الاسلام قالوا لها والله يا أميرة نحن على دينه من مدة طويلة وأما ما عدد دة ولنا زمان نكتم أمرنا فوافقينا على ذلك لنخلص من الشرك والمهالك فلما سمعت عنيزة ذلك مال قلبها للاسلام واشتاقت بالنظر الى وجه المظلل بالغمام فعندها أجابتهم فى الوقت والساعة وفرحت بذلك الجماعة وأسلم عمرو ذو الكلب وأخته قناصة الرجال وأسلم أكثر من بنى قضاعة وأسلمت بنى عبس هن بكرة أبيها وأسلم معهم جماعة من بنى غطفان وفرسان كثيرة من بنى ذبيان وأسلمت فى تلك الساعة خلق كثير وقد عولوا الجميع على المسير ﴿قال الراوى﴾ فبينما هم كذلك واذا هم بجرير قد أقبل من نحو البر أسرع من الطير الذى يطير وقد أقبل على بنى عبس وهو ينادى البراز البراز الى مكة والاسلام على يد من المختار صاحب المعجزات والانوار فهو سيد زمزم والمقام والمشعر العظام والبيت الحرام ﴿قال الراوى﴾ فلما سمعوا قوله عرفوه الجميع الرفيع منهم والوضيع ﴿قال الراوى﴾ وكان السبب فى مجئ جرير الى أرض بنى عبس حديث عجيب وأمر مطرب بديع غريب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أرسل جريرا الى بعض قبائل العرب يدعوهم الى الاسلام وأن يحضروا كلهم الى عند زمزم والمقام ويعرفون الحلال من الحرام فسار جرير من وقته وساعته وطاف قبائل العرب ووقوفهم الى نظر النبى المنتسب

والرسول المنتخب وسار الى بنى هوازن وجيشم وسليم وسار العباس بن مرداس السلمى طالب بنى عبس ومعه خفاف بن ندبة ودثار بن زوق وأما دريد بن الصمة فانه لم يسر معهم لما سبق له من الشقاوة وقال أكون شيخ العرب من بعدمنها ومن اقترب وأحول عن مذهب العرب فهذ لا يكون أبدا ولم يشمت بى أحد من العدا وكان قوله هذا لاجل شقاوته وعماوة قلبه لان الله تعالى قد اضله فقاتله ولا رحمه وجعل النار مستقره وموطنه وموطن كل من طاوعه على كفره وجهله ✻قال الراوى✻ هذا وجرير يطالب قبيلة بنى عامر فلم يجبه أحد منهم ولا تبع مقاله لانها قد منا كفر عامر بن الطفيل وكيف انه طلب قتل النبى صلى الله عليه وسلم ودعى عليه صلى الله عليه وسلم ومات عامر لعنه الله وجعل النار مثواه ✻قال الراوى✻ وسار جرير بعد ذلك من ديارهم يريد بنى عبس لانهم قد قربوا منه وما زال كذلك سائر حتى اتى فى ذلك الوقت الذى أسلموا فيه الجماعة ولما وصل جرير الى بنى عبس وجد عندهم العباس بن مرداس السلمى ودثار ابن زوق وخفاف بن ندبة وكانوا قد سبقوه الى بنى عبس واستبشرت بنى عبس لما نظروه وفرحوا به غاية الفرح واتسع صدر كل واحد منهم وانشرح واعلم بنى عبس وبنى قضاعة جريران سائر العرب أسلموا الجميع الرفيع منهم والوضيع ✻قال الراوى✻ فعند ذلك أخبر واجريرا أن الخزروف أخبره عن الاسلام وانهم أسلموا ففرح جرير بذلك واثنى عليه وقال لهم جرير خذوا أهبتكم الآن للمسير وسرعة التشمير فعند ها أخذوا الجميع أهبتهم للسفر وكلا منهم قد فرح واستبشر وأقاموا يجهزون حالهم ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع استقبلوا الطريق ولا بقى لهم عايق يعيق ولا بقى فى العلم الهدى وأرض الشريعة لا ديار ولا من ينفخ النار وساروا الجميع طالبين مكة والخزروف قد شد لزوجته أمية على بعض الجمال هودج وهو بالزينة يرتهج وقد دارت بالهودج العبيد والغلمان والخدم وكل فارس محتشم والخزروف راكب على جواد أدهم أقب ارخم بغرة كالدرهم وفى خدمته

جماعة

جماعة من عبيده وكذلك ركب جرير على جواد أحمر اغرة كأنها كوكب الصبح اذا أسفر فقال جرير والله ما أركب جوادا وأنا في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول العباد الهادي الى طريق الرشاد فقال له الخزروف ياعماه اركب الى أن تصير بالقرب من مكة وسير أسبقك وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قال الروى﴾ فاستحى جرير من الخزروف بن شيبوب وركب ذلك الجواد وسار وابنى عبس بالاموال والعيال والنياق والاثمال ومازالوا سائرين حتى وصلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه ما أتى به من الاحكام وهو يبين لهم الحرام من الحلال وسمعون مايقول من الاقوال وهم قيام بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة المشرفة حماها الله تعالى وزادها حرمة واكراما فنظروا الى الاصنام وقد اندثرت والاوثان قد رميت فعندها دخلوا فى الاسلام رغبة فيه وحبوه غاية المحبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الحرام جالسا بين أصحابه كأنه البدر بين الكواكب فتسارع كل أحد منهم اليه طالب وهو فى تقبيل أياديه راغب فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وفرح باسلامهم وقد جددوا أسلامهم عليه وأظهروه بين يديه وأسلم فى ذلك الوقت العباس بن مرداس السلمى وخفاف بن ندبة ودثار بن روق وجميع من وصل من بنى عبس وعدنان وبنى قضاعة الشجعان وأسلمت عنيزة وجددت اسلامها هى وخالها عمرو ذو الكلب وأمها وأعمامها وتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظم صورتها وكثرة هيبتها مع ماسمع عنها من قوتها وشجاعتها وفروسيتها وبراعتها فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى وجهها وقال ياعنيزة ان قاتلتى فى دين الاسلام مثل ما كنتى تقاتلى فى الجاهلية ضمنت لك على الله الجنة فقالت يارسول الله وحرمة دين الاسلام لاقاتلن بين يديك فقال تقصر عنه الاوهام وتعجز عنه جميع الانام فدعى لها رسول الله عليه السلام وقال لها بارك الله فيك يا أم الزعازع وقواك على قتال الكفرة اللئام فى سائر المعامع وضربت بنى عبس خيامها فى مكة فى المنزل المعروف بهم طول

الزمان وأقاموا هناك فى أمان واطمئنان هذا والخزروف قد نظر الى ابنة عمه عنيترة بعين المحبة فأراد زواجها وقد زاد فيها رغبة وأى رغبة ولما زاد به الامر وهو من مزيد شوقه اليها والعشق يتلظى على الجمر وأراد أن يتزوج بها على زوجته أمية فقصد الى زهير بن قيس وأعلمه بذلك القصد وقال له يا ابن العم أريد منك أن تخطب لى عنيترة بنت عنترلانى قد اشتهيت ذلك قبل أن أموت وأقبر فقال له زهير السمع والطاعة ولا بد أن أدعوها الى وأشاورها فى هذه الساعة فقال له جرير أيها الملك امض أنت اليها واخطبها والى أرغبها ✻ قال الراوى ✻ فعند ذلك قام زهير ودخل على عنيترة من وقته وساعته وشاورها فى زواجها بابن عمها الخزروف وأعلمها انه على زواجها ملهوف فقالت له أيها الملك المفضال معاذ الله أن أتزوج أبدا ولو شربت كأس الردا ولا أشمت بى العدا ✻ قال الراوى ✻ فلما سمع الملك زهير ذلك من عنيترة لم يرد عليها جوابا ولا خطابا وخرج من عندها وأعلم الخزروف بذلك فزاد به الامر وعلم انه هالك لا محالة وزاد وباله فقام من وقته وساعته ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم وقبل يديه وسلم عليه وعلى من كان حوليه وقال يا رسول الله أريد أن أتزوج بابنة عمى عنيترة على سنة الاسلام بأنى يا رسول الله بها مستهام زائد الغرام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى حلال من عيب ولا رهبانية فى الاسلام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفذ خلف الاميرة عنيترة عبده بلالى بن حمامة يدعوها اليه فسار بلال فى الوقت والساعة ودخل عليها وأبداها بالسلام فردت عليه بالتحية والاكرام فقال لها أيها الاميرة ان النبى صلى الله عليه وسلم يدعوك اليه وأن تحضرى بين يديه فقالت له سمعا وطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ثم انها أقبلت تهرول نحو المسجد وبلال خلفها وهى أمامه وما زالت عنيترة سائرة الى ان وصلت الى النبى صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه وقالت له السلام عليك يا صاحب المعجزات ويا من أنزلت عليه الآيات فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام

ورحمة الله وبركاته اجامى يا أم الزعازع ولبوة المعامع فجلست عنيترة واستقرت بالجلوس فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اعلمى يا عنيترة انه لا رهبانية بالدين الاسلام وأريد أن تقبلى منى وتتزوجى بابن عمك الخزروف قال فلما سمعت عنيترة ذلك استحت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله افعل ما تحب وتختار فلست أخالف لك أمرا أبدا يا صاحب لا نوار فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وأدعا بالخزروف وزوجه بابنة عمه عنيترة على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح بذلك الخزروف غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وعمل الخزروف الولائم وأكل منها القاعد والقائم وزفت عنيترة على الخزروف وحضى منها بذلك الحسن والجمال والبهاء والدلال ✻ قال الراوى ✻ وأما أمية والدة عمرو فانها أقامت بعد زواج الخزروف بعنيترة سبعة أيام وهى مريضة من الغيرة وتوفت الى رحمة الله تعالى على دين الاسلام وأستقرت بنى عبس وعدنان بمكة حول النبي صلى الله عليه وسلم وما عادوا رفعوا لهم راية فى البر أبدا ولا أقاموا عمدا ولا ضربوا لهم وتدا وكانوا يحضرون الغزوات مع المسلمين فى سائر الاوقات ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة الشريفة ولما فتحت مكة رجعوا اليها وأقاموا فيها ✻ قال الناقل ✻ وأما الامير عمرو ذو الكلب فانه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن فى المسير الى دياره والاوطان ليبشر أهله والخلان فأذن له بذلك وسار عمرو ذو الكلب ومعه بنى قضاعة الابطال بعدما ودع عنيترة وبنى عبس وساروا بمن معه قبل طلوع الشمس وهو طالب بلاد شريف وسار سيرا عنيف وقد كساهم الاسلام خلعة التشريف وأما قضاعة الرجال فانها أقامت عند بنتها عنيترة فى بقية بنى قضاعة الابطال تحضر الغزوات وتصلى الصلوات المفروضة مع الجماعات وقد حسن اسلامها وأكثرت من صومها وقيامها ✻ قال الراوى ✻ ورزق الخزروف من عنيترة خمسة أولاد فى دين الاسلام اسم أحدهما شيبوب والثانى عمرو وثالثهم المطال ورابعهم ميسرة وخامسهم غصيب كل واحد

كأنه ريح الهبوب أو كالماء اذا اندفق من ضيق الانبوب واذا ركب جواد يقاتل قتال الاسد الوثوب ويناصل مناصلة النمر الكلوب وقد قاتلوا مع والدتهم عنيترة في الاسلام وأقاموا كذلك مدة من الزمان وعدة من الايام وهم يقاتلون في ركاب سيد الانام ورسول الملك العلام ساقي من للكفر كأس الحمام صلى الله عليه وعلى أصحابه الكرام ماغرد القمري وماتاح الماء وتوفي جرير في بعض الغزوات وأقام الخزروف بعده مدة سنة ومات وقد حزنت عليه عنيترة حزنا عظيما وكانت تقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم في سائر الغزوات وتطلب الشهادة في سائر الاوقات ومازالت كذلك الى أن قتلت في غزوات الاحزاب وماتت شهيدة على السنة والكتاب وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحزن عليها وقال زملوها في ثيابها لتلقى الله وهو عنها راض يوم القيامة لانها قد فازت بكل الكرامة وسار عمرو بن أمية الضمري مقدم سعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم على اخوته من أبيه أولاد عنيترة وكلا منهم له صولة ومقدرة وسارت بقية بني عبس تقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سائر الغزوات الى أن قتل الملك زهير بن قيس في بعض الغزوات وقتل ابن حصن في غزوة تبوك واما قتل زهير تأمر بعده ولده ياسر وكان قد رزقه من امرأة تزوج بها في الاسلام من نساء المهاجرين والانصار فرزق منها ياسر وحكم على بني عبس ومن تبقى منهم وأقام كذلك مدة خمسة أعوام وقتل في بعض الغزوات وخلف ياسر ولدا اسمه عمار بن ياسر العبسي وهو من جملة الصحابة المذكورة ﴿قال الراوي﴾ وأما قناصة الرجال فانها أقامت بعد ابنتها ثلاثة أعوام ومات على دين الاسلام ودفنت في بطحاء مكة ﴿قال الراوي﴾ وهذا جرى هناهن الكلام وأما ما كان من عمرو ذو الكتاب فانه بعد مسيره من مكة الى بلاده بثلاثة أعوام اشتاق الى أرض زمزم والمقام فسار بمن معه من بني قضاعة الى أن وصل الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وطلب منازل بني عبس فما نظروه بني عبس سلموا عليه وقبلوا يديه وقد سمعوا به أولاد عنيترة

فأتوا الآخرين اليه وسلموا عليه وبل شوقه بهم وبكوا على والدتهم عنيترة بكاء شديدا مما عليه من مزيد وكذلك بكى على أخته قناصة الرجال ولما شفى عمر وذو الكلب غليله سار وا الى المدينة المنورة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن قتل عمر وذو الكلب فى بعض الغزوات وقضى نحبه ومات منهم بعض جماعة وبقى من بنى عبس وبنى قضاعة بعض جماعة وسار الحاكم عليهم الامير عمار بن ياسر بن زهير بن قيس بن زهير بن خزيمة بن رواحة بن يفيض بن عيسى بن غيلان ﴿قال الراوى﴾ وقد سار عمار بن ياسر بن زهير وقد حكم على الجميع الرفيع منهم والوضيع وأولاد الخزروف الخمسة الذى من عنيترة سار وا كبراء بنى عبس وأما عمرو بن الخزروف هو ابن أمية الضمرى فانه كان كبيرهم والحاكم على بنى عبس وأميرها وكان الامير عمار بن ياسر يستشيره فى كل الاحوال ويستشيروا من عمرو ستائر الابطال وقد كثر الاسلام واشتهر الايمان ورميت الاصنام وبان الحلال من الحرام وسار عمرو بن أمية الضمرى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعلا مكان وهو مقدم على سائر السعاة والفرسان والامير عمار بن ياسر سار من كبراء الصحابة والمشار اليه وكل من كان من بنى عبس من زمان الجاهلية قد اتبع دين الاسلام وتركوا ما كانوا عليه من الضلالة ومن فعل الحرام وشرب المدام وتقلبت بهم الدهور والايام وشربوا كأس الحمام وهم الذين كانوا بقيوا من بنى عبس وعدنان ودخلوا الى الاسلام فى أيام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فسبحان من لا تغيره الليالى والايام ولا الشهور والاعوام ولا يغفل ولا ينام الذى احيى العظام وأجرى الاقلام وفجر الانهار وأنبت الاشجار وخلق الوحوش والاطيار وكل شئ عنده بمقدار العالم بما كان ومايكون الذى أمره بين الكاف والنون ساقى القرون الماضية كأس المنون وأدار عليهم من الموت دولابا وطاحون ﴿قال الناقل﴾ لهذا الرواية والفنون ولقد رأيت من سير الاولين وأخبار المتقدمين ومن نقل عن القرون الماضيين وقد تمت هذه السيرة العنترية

كاملة الشمايل بربط القوافى والنثر العظيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه بلغ اللهم صلاتنا منا عليه يارب العالمين اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا ممن فازبمتابعته وأتم بشريعته واقتدى بصحابته وامتدى بسنته اللهم أوردنا حوضه وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته واجمع بيننا وبينه فى مستقر الرحمة والرضوان برحمتك ياذا الجلال والاكرام قال مؤلف هذه السيرة الجمازية فهو الاصمعى رضى الله عنه كان الفراغ من تأليفها يوم الجمعة المبارك فى أواخر جمادالثانى سنة ٤٧٣ من بعد الهجرة النبوية فى أيام الخليفة أمير المؤمنين هارون الرشيدى العباسى وقد أرشدنى الى تأليفها رغبة فى سماع قولها ونثرها ونظمها وقد جمعت ماعندى من الاوراق التى سمعتها عن عنتر ابن شداد فى سائر الآفاق وأيضا مارأيته بعينى وقد رتبت القوافى على بعضها بحسن نظام من غير زيادة ولا نقصان من زيدى الكلام وهذه السيرة الجمازية قد رويتها بروايات القوية عن الحمزة وعن أبوطالب وعن عمرو بن معدى كرب الزبيدى وعن حاتم طى وعن امرئ القيس الكندى وعن هانى ابن مسعود وعن حازم المكى وعن عبيدة وعن عمرو بن ودى العامرى وعن دريد بن الصمة وعن عامر بن الطفيل وبعد عنترقد وات أفعاله على ألسن العرب فالذى رأيته وسمعته صرة أكتبه عندى بالاوراق من أشعار ومن أفعال فى الاقوال الصحيحة والذى لم رأيته ولم سمعته فهو ترتيب القوافى على بعض والله أعلم بالصواب ﴿وبعد﴾ فان الادب والفصاحة والرياسة والمعرفة جسد من هذه السيرة الجمازية العنترية التى هى مفقودة بهذا الزمان وقد تقلدت برسمها سير مقتصرة البيان وتنفحت مابين لطائف غزل أغزل من لواحظ الحور وطرائف نسيب أزهر من محاسن الزهور وتوابع حكمة محكمة الآيات ومحاسن أدب متشابهات غير مشتبهات وفكاهات يتفكه بها كل لبيب ويترو ح بريحانها كل أديب أريب فاهى الاروضة أنس قطوفها دانية ومنيه نفس تريد أن تبيت من الهموم خالية وقد انتدب

بتصحيحها الافاضل الشيخ خليل جنبلاط والشيخ محمد المنياوي والشيخ ابراهيم السواهجي والشيخ صالح رشوان ومن اهل فنها الشيخ جعفر رقد حسنوا دقة شعرها وربط الفاظها وقد طبعت على نسخة مؤلفها وكل انسان لا يخلو من النسيان وقد انتدب الى هذا التاريخ الملتزم هذه السيرة الحجازية المعترمة الفتى الاديب والوزع اللبيب النبيل محمد افندي شاهين الصغير بن العالم العلامة والبحر الفهامة الخير الشيخ محمد شاهين الشامي الدمشقي وانشأ يقول

أعنترية برزت من الابكار * غرزت غصون الود بالافكار
أم ريح مسك فاح من عرف الشذا * مذ لاح روح المسك بالاسحار
أم بلبل غنى على بان بان * شخصت له الاطيار الاسحار
أم عندليب صاح في قرية * فتيقظ النوم بالاقمار
أم ذي سيرة لعنتر تضمنت * لوقائع الدهر القديم الآثار
قد الفها أصمعي عن ابن شداد * حفل الفصحاء ساطع الاخبار
فغدت عروسا تجتلا بدرا بدا * وقرت من التبيان خير الاعصار
وهبت عجائب من مضى قد أسفرت * وتزينت بمحاسن الاعطار
تحكي الاخبار بافظ رائق * يشفي الصدور برائق الاذكار
تحكي تفاصيل الوقائع وما حوت * من كل مكنون من الآثار
فاذا اطلعت على رقة طبعها * شاركت أماضين في الاعصار
تعطيك أسرارا بايسر برهة * كم معمر قد فاق في الاعمار
دمشق خذها واعلمي ان لية * تمر بعودي نعشها ليلة القدار
محمد أتى بشاهينين لم يرعاك بصرة * بعيدة مهوى القرط طيبة الانشار
ما تمت وقائع الامن محاسنها * والمح منها امكان الشمس بالاقمار
قل للذي طلبها من عائب حنق * اقصر فراس قد عبت بالازهار
كنا كغصنين في جرثومة سفا * حينا بأحسن ما يسمو له الاشجار
حتى اذا قيل قد طابت فروعهما * وطاب قدامها واستنظر الاثمار

أخفى على وحدى ريب الزمان وما * يبقى الزمان على شئ من الازار
قد اعتدى والصبح مجر الطرر * والليل يجده وتباشير الاسحار
وفى تواليها نجوم كالشرر * بسوق المبعة ميالة الاعزار
كان يوم الرهان المحتضر * وقد بدا أول شخص للانظار
دون أتانى من الخيل عشر * ضار غدا ينفض صيبا الامطار
عن زف ملهاج بعيد المذكر * أقنى تظل طيرة على الاحذار
يلدن منه تحت أفنان الشجر * من صادق الورق طروح الاغمار
بعيد توهيم الوقاع والنظر * كأنما عيناه فى حرة فى الاحجار
وبداجال بيانها متبرجا * متبلجا كالبدر من بينها الاقمار
وأنى من الاداب كل رقيقة * تزهو محاسنها فتهزبالازهار
طيف الخيال عن النيابتين سدى * الى الحجاز فوافى مضجعى الاسحار
سرى على بعد دار بنمابه * روح النسيم فيهدى منهلا الاعطار
فكم وكم جاز من سهل ومن جبل * ومن وعر الى أم القرى الاوقار
أفديه من زائر ما زار فى أبدا * وذا كر ما نسى ودى من الاذكار
وحاضر نصب عينى وهو مبتعد * عنى فما غاب عن عينى من الاحضار
ليت الاراك التى مر النسيم بها * تدرى بشكواى بل ليت النسيم الادار
ما صبر صب له فى كل جارحة * جرح أعاد عليه صبره الاصبار
وطال لما هاجت الشكوى له شجنا * فذكرته زمانا مر الافكار
من لى بلاطفن من خلقى كأنهما * رغب القطا أذ غدمن الماء بالاسحار
فارقت ريحانتى قلبى ومارضيت * نفسى الفراق ولا اخترت الذل بالابطار
ولم يكونا حبيبين افتقدهما * فى غربتى بل فقدت السمع بالابصار
هما وديعة من يرعى ودائعه * ومن يرى وهو دانى القرب ليس الانظار
فى ذمة الله محفوظان أسأله * يكفيهما المكر والمكروه والاحزار
يا قطعة من فؤادى ان عصيت فما * كفاك والدك اللائى بالاجهار
وانما هى أحكم مقدرة * موصولة بقضاء سابق الاقدار

لا كلت الريح أن تبدى لنا خبرا * من المحبين أو تهدى لهم سائر الاخبار
حسبي من الوجد اني ماذكرتهم * الا تكفكف ماء العين كالانهار
رحلت عنهم غداة البين من برع * وفي الحشاء لهب النيران بالاسعار
وسرت والشوق يطويني ويبشرني * موصلا بهجير دين لادسار
عسى لطائف ربي أن تبلغني * قبرا يقر بعيني رؤية الانظار
قبرا بطيبة بسم انوره صعدا * فيخجل النيرين الشمس بالاقمار
حيث الكرامات والآيات ظاهرة * لمن حوى الفخر تعظيما بالانفار
وحيث مهبط جبرائيل ومصعده * يتلو على أحمد الآيات بالاسوار
فرد الجلال فرد الجود مكرمة * فرد الوجود عن الاشياء بالانظار
أعلى العلا قدرا وأمتعهم * دارا وجارا واحيا في السماء أذكار
سر السرارة لب اللب منتخب * من هاشم خير مدفون بخير الامذار
هداية الله في الدنيا وصفوته * فيها وخيرته ممن ذرا الآثار
ان كان في الكون موجودا وآدم في * ماء وطين حماء لم يكن بالاظهار
نبوة قبل خلق الخلق سابقة * ان الامام أمام والورى بالانظار
السهلة السمحة الغراء ملته * وآله الطيبون السادة الاخيار
أتى وأمته أحيا قد حملت * اضر الضعف أثقالا وحل الآزار
على شفا جرف نار فأنقذها * لما أقال بحسن البشر من الاعثار
وقام يتلوا من التنزيل معجزة * تمحو الاناجيل والتوراة بالازمار
دينا قويما أحل الطيبات لنا * لا دين من سيب الانعام بالاخبار
وحرم الدم والميتات محكمة * وما أهل لغير الله بالانذار
يكفيك ان الفتى المكي بعلمته * في ظلمة الشرك بدرا ساطعا الانظار
فقل لمن لم يحط علما برفعته * على النبيين سل من قد خص بالاقرار
يمس فيه وطس امتداح علا * والطور والنور والفرقان بالانذار
كم عائدته قريش وهي عائلة * بأنه خير من فوق الثرا الابصار
وكم رعى بالتعنى حق حرمتهم * مبالغا فيهم التحذير بالاذار

يلقى السيئين بالحسنى كعادته * ويوسع المذنبين العفو بالانذار
المدعو أعطى صموا نحو الطهم * بالرمح باسل قلبوا السيف بالاشهار
وشن غاراته فى كل ناحية * وقام لله والاسلام بالانصار
بفتية من قريش الابطحين ومن * أبناء قيلة أهل التقى الاقار
قوما أقاموا حدود الله وابتدروا * ظل السيوف ليعطوا أجر بالاصبار
وأخلصوا دينهم لله واعتصموا * بالله وامتثلوا لله بالانذار
باعوا نفايسهم منه وأنفسهم * بجنة الخلد بيعا رابح الآثار
ودمروا كل باغ عز جانبه * بالسيف حتى أطاعوا البدو بالحضار
محبة النبى بين أظهرهم * قام الدين فى الآفاق بالابتار
مبارك الوجه يستسقى الغمام به * غوث الارامل والايتام بالافقار
كهف المرجين كنز السائلين اذا * غير السنين كمت أثوابها كالامطار
هدية من أسير الذنب مرتجيا * أن يطلق الله بالغفران من الاسار
اليك يا صاحب الجاه العريض رمت * بى الامان وألباع لدى بالاقصار
مستعد يا من زمان لا نصير به * يرجى سواك ولا ملجأ للوزار
أرجو السعادة فى الدارين حائزة * لاحرف فيك منى تشبه الاقرار
فاعطف حنانا على محمد شام ومن * يليه بالعطف حتى يبلغ الاوطار
فأنت مالى ومأمولى ومعتمدى * وحسبى يوم ألقى الله بالاوزار
لعل ظل لواء الحمد يشملنى * مع الحبيب اذا النار ارمت الاشرار
منى عليه تحيات مباركة * تنمى فستغرق الآصال بالابكار
ما لاح زهر الربيع الغر مبتسما * أو عانق الريح غصنا يابس الاخضار
تخص أرواح قوم هاجروا معه * والتابعين ومن آوى من الانصار
موصولة بسلام الله دائمة * ما برق لاح من علويات الحجاز الآثار
تحصى كل آداب تقرأ رخت * بمصدق يحوى بجميع نظارى